



قصة أيام مذكرات الشيخ كشك



الشيخ عبد الحميد كشك

عبد الحميد كشك

قصة أيامي
مذكرات الشيخ كشك



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحى الصالحين وأشهد أن سيدنا ونبينا
وعظيماً وحبيبنا محمداً رسول الله نَحْنُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلِينَ وبعد .. فإن الدهر مدرسة ..
أستاذتها الأيام والليالي وعلى كل عاقل أن يكون بصيراً بزمانه !!

والأيام مطية ابن آدم . فهنيئاً من استعملها في طاعة الله ، قال صلوات الله وسلامه
عليه : اغتمت خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك . وصحتك قبل سقمك . وغناك قبل
فقرك . وفراغك قبل شغلك . وحياتك قبل موتك .

وقال عليه السلام : لا تزول قدما عبد من بين يدي الله عز وجل حتى يسأل عن أربع :
شبابك فم أبليت ؟ وعمرك فم أفنت ؟ ومالك من أين اكتسبته ؟ وفيم أنفقته ؟ وعملك
ماذا صنعت فيه !! والكيس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه
هواها ، وتغنى على الله الأمل .

وجبل جلال الله إذ يقول : ﴿ ثم إنكم بعد ذلك لميتون ﴾ ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ﴿
وإذ يقول : ﴿ هو الحسيب ﴾ إنما خلقناكم عبداً وأنكم إلينا لا ترجعون ﴾ ؟!

فعل أولى التدبُّر أن يعبروا ويعلموا أن الحياة ألم يخفي أسل ، وأمل يخفقه عمل .
وعمل ينهيه أجل ، وبعد ذلك يُجزى كل أمرى بما فعل ، فما الإنسان في جبل إلا ذرة في
فضاء ، وما الجبل في الزمان إلا لبنه في بناء ، وما الزمان إلا مقدمة محدودة لعالم البقاء !!

دقات قلب المرء قائلة له :

إن الحياة دقائق وثوان

فارفع نفسك بعد موتك ذكرها

فالذكر للإسان عمر ثان

واصبر على نعم الحياة وبؤسها

نعم الحياة وبؤسها سيان

هذه قصة أيامي بجنوحها ومرها ، وضحكها وبسوها ، وليلها ونهارها ، أقدمها
إلى الذين يريدون أن يأخذوا من الأيام عبرة ؛ فهي تجربة نصف قرن من الزمان كان فيه
الغرق والدموع ، واليقظة وهجوع ، والحرية والسجون ، عسى الله أن ينفع به من أراد
أن يأخذ من الأيام عبرة .

عبد الحميد كشك

قصة أيامي

أكتبها بما تيسر من التقدير ، وتقدير من التيسير . وأمرکز عناصرها لأساسية ،
وأعصر مراكزها الأصلية ، والله ولي التوفيق .

الاسم : عبد الحميد عبدالعزيز محمد كشك

المولد والنشأة

ولدت في العاشر من مارس ١٩٣٣ في بلدة شبراخيت إحدى مراكز محافظة البحيرة
بجمهورية مصر العربية من أبوين ليسا من ذوى البسطة في المال ، فالأب ظل راعٍ وعارياً
منه . وكان ترتيبى الثالث بين ستة من الأخوة ، ولدت سليماً معافاً ، من الأمراض
وما إن بلغت السادسة من عمري حتى أصيبت عياني بمرض صديدي اختفت بسببه
إلى حلاق القرية ، ومازلت أذكر وأمى تعلمنى إلى محل اخلاق حيث كان يعبت بمروده في
عينى مما أدى إلى ضياع العين اليسرى ، وبقيت اليمنى وبها ضعف كأنها تشكو ضياغ أختها ،
فظللت بها أصارع شدائد الحياة حيث ذهبت إلى جمعية تحفيظ القرآن الكريم لأعوض عن نور
البصر بنور من كتاب الله الكريم ، كان والدى يعمل تاجراً في محل صغير ، وأشهد أنه لم يكن
من الذين يجدون ما ينفقون ، بل كان ممن يلهث وراء الحصول على لقمة العيش يشق لأنفس حيث
أعباء الحياة ثقل بها كاهله . وقد كان جدى لأبى من الذين تحفظون القرآن لأبناء البلدة وترى على يديه
أناس يتبعوا مكانة كبيرة في علوم الإسلام ويوم مات جدى لم يترك درهما ولا ديناراً ، إنما ترك لنا تقوى
الله ، فكانت الأسرة المكونة من الوالدين وستة من الأولاد وجدة لأبى تعيش قناعة راضية سعيدة ، إذ
ليست السعادة في الانتشاء بالكثوس المربعة أو الاستمتاع بالغيد الأماليد ، إنما السعادة في الرضى
حيث يقول الصادق المعصوم عليه السلام : « أرض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس » كما جميعاً في مراحل
التعليم مما ضاعف أعباء الحياة وتكاليفها حيث لم يكن أحد منا يستطيع أن يسعى تحسب الرزق .

وبعد أن حفظت القرآن في البلدة التحقت بمعهد الإسكندرية الدينى ، وكان هذا المعهد
ميزرة حيث كان الطلاب ينجثون إلى مسكن على حساب الأزهر ، وكان بين مبنى الدراسة

ومبى سكن مزرعة اكتسبت حوب احضر من زرع النصارى ، وأذكر أن هذا المعهد كان به نخبة من الأساتذة العلماء أذكر منهم شيخين جليلين كان هما أثر طيب في تكوين شخصيتي : الأستاذ أحمد الكومى وهو عالم غزير المعرفة في لغته وأحدث والتفسير ، وقد عوضه الله عن نور النصارى دكاء القلب ، وكان له موقف أدكره بالعرفه والشكر في تحويل مجرى حياتي وسوف أعرض له في حينه .

ولاستاذ محمد مصطفى جاد وكان له بهع أضوي ، ومعرفة واسعة بعلوم العربية من النحو والصرف والأدب مما جعلنى أعشق هذه العبدية وأهواها وكأنها بالنسبة لي الماء والضبء وافوه .

عندما كنت في السنة الثالثة الابتدائية وقد بلغت من العمر ستة عشر عاما لأننى التحقت بالمعهد بعد حفظ القرآن وكان عندي ما يقرب من ثلاثة عشر عاما .. أذكر بعدما أدبت متحان سنة الثالثة الابتدائية وعدت إلى بدنى لفقه عطلة الصيف جلست مع بعض الإخوة زملاء بعد ما وصلنا النصارى وأحدنا بصرف الأحديث يب ضرح أحدنا سؤالا قال فيه : من منكم يستطيع أن يلقي درس على نصيين في أحد مساجد نبيدة ؟ وجاءت الإجابة منى بى استطيع ذلك بمشيئة الله تعالى : وكان بيلدا ثلاثة مساجد : المسجد البحرى ، والمسجد « الوسطانى » ، ومسجد جمعية وخرت المسجد البحرى لإلقاء أول موعظة ، وحددت الزمان بعد صلاة الفجر ، وسألت رفيق أن يلهمنى ما أقول . وصلينا الفجر وما أن سلم الإمام تسليمتين حتى انتفضت وقد دون ما تردد وكسرت حجز الخوف الذى كان يبنى عظمة الناس . لم يكن عندي في المعهد استدانى من الزاد العلمى ما يمكننا من إرشاد الناس ووعظهم فقد كانت العلوم تدور بين النحو والصرف والفقه والتاريخ والجغرافيا والقراءات السبع للقرآن الكريم ، لذا وقفت أجول بخاضرى في أى علم أتكلم وما إن ذكرت المقدمة التى اشتبكت على البسمة والشهادتين حتى حضر بذهنى هذا الحديث الجامع : « سبعة يظلهم الله تحت ظهه » مع شيء من سيرة النبوة التى كنا ندرسها في السنتين الأولى والثانية من القسم الابتدائى .. واستغرقت موعظة حولى ثلث الساعة تلقيت بعدها لتهانى لطيفة من المصلين ، والتشجيع عبارات الكاء والقبول ، مما دفعنى إلى الأمام فمكثت على قراءة التفسير لبعض الآيات ، والشرح لبعض الأحاديث ، وبعد أن كنت أعظ الناس في الفجر في المسجد البحرى أضفت إلى ذلك درس لعصر في المسجد « الوسطانى » ، والشىء الذى لم أكن أتوقعه من الإخوة الزملاء أنهم سرع ما فاصوني العدا حسداً من عند أنفسهم ، لكنى استعنت بالله عليهم وتذكرت ما قاله العلامة ابن هشام في أول كتابه : قطر الندى :

إن يحسدنى فإلى غير لانهم غيرى من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فم لي ولهم ما لي وما بهم ومات أكثرنا غيظاً بما يجد

صعود المناير

كان عبدالملك بن مروان يقول : إنما شينا صعود المناير ، ذلك لان أسر مسئولية فضيلة المنير لا تحفل التمثيل لأن الواقف على درجة إنما يتأسى بسيد الخلق وحبيب الحق .

كان عمى الشيخ عبدالفتاح كشك مأذون البلد يقوم بإلقاء خطبة الجمعة في الجامع « الوسطانى » وذات يوم وبعد ما بلغه أننى أقوم بإلقاء الدروس في المساجد كفى إلقاء خطبة الجمعة في مسجده ، وكان هذا المسجد أكبر مساجد البلدة ويضم نوعيات مختلفة من البشر : ما بين تاجر وموظف ، وصانع ، واستعنت بالله ، وصعدت المنير لأول مرة ودار موضوعها حول عاربة الفساد الإدارى في البلدة ، وبدأت في الكلام عن تحريم رشوة في نطاق قوله عليه : « لعن الله الراشى والمرتشى والرائش » وتناولت فيها ما يدور في مستشفى من إهمال للمرضى وسوء معاملة مما دفع مديرها إلى أن يتقدم بشكوى ضدى إلى مأمور المركز . وبدأت المشاعب عندما هاجت عقارب الحقد في قلوب الشائنين ، لولا انتهاء العطلة الصيفية وبداية العام الدراسى . مما أسدل ستارا مؤقتا على تلك المأسمى ودخلت العام الدراسى : السنة الرابعة الابتدائية وهى شهادة . وأعلنت جمعية الشبان المسلمين عن مسابقة في القرآن الكريم حفظاً وتويدا .

وعكفت على قراءة القرآن العظيم ودراسة أحكامه ودخلت المسابقة . ثم ألفت إجازة نصف العام وكنت قد شعرت بعينى اليمنى تأخذ في الضعف وداخلى شعور رهيب بألم دفين وكأنتى كنت أنظر من وراء الحجب لأستشف ماذا ينتظرني كمن يساق إلى موت وهو ينظر ، فحياتى حياة علم ومدايسة وحاسة البصر بعد حاسة السمع في تحصيل العلم ، فماذا أصنع لو فوجئت يوماً بأننى في حاجة إلى من يأخذ بيدي بعد أن كنت حراً طليق ؟ ثم ماذا أصنع عندما أكون في حاجة ثمس إلى من يقرأ لي علومنا أدخل به الامتحان وأحرص بها على ترتيبى في النجاح ، وكان صوت السنين السابقة الأول ؟ ثم ماذا أصنع قبل هذا وبعد عندما أجدنى رهين الحبسين : « حيت والعمى » مقيد الحرية محدود الحركة ؟ وبين علامات الاستفهام تتعاضد أمامى وتيرة كأنها الجبال الشوانخ إذا بوالدى يقطع على هند حصمت الرهيب بشرى طيبة . قال ر : إن جمعية الشبان المسلمين أرسيت بطريق التليف . أنت قد حصلت على جائزة قدرها خمسة جنيهات . وكان هذا النبأ وقع ضيق على نفسى غير هامت عني اهتمام كاتبه وكأنهم حمدة وصقور ، ولكن سرعان ما تنشر خبر في أحد بندا

وصارت الجنيئات الخمسة خمسمائة على ألسنة الناس . وتوفعت بعد ذلك أمرا : أن عين
حق وأن الله أمرنا أن نستعبد من شر حامد إذا حسد

هي الأيام لا تبقى عزيزا وساعات السرور بها قليلة
إذا نشر الضياء عليك نجم وأشرق فارتقب يوما أقوله

وصحبنى والذى إلى الإسكندرية ليصرف الجائزة مستعيبا عن بعض شدائد الأيام
بعد ما عطفه الدهر بناه وأناخ عليه بكلكله .

كان والذى يعطينى كل شهر خمسة وأربعين قرش - إضافة إلى بعض الخبز وحين
الذى كنت أحمله إلى الاسكندرية .

ومرت الأيام سريعة وكلما اشتق فجر وأضاء به بردت الظلمة في عيني وقيل
الامتحان بشهر عدنا إلى بلدنا لذكر وقد أوشكت الدب - تحكم حقانها من حولي . وكأني
أمشي نحني سريعة إلى سجن العمى . ولما عزم على الرجوع لأداء الامتحان كانت تروني
فكرة هزتي من الأعماق هذا عيب : هل إذا ذهبت لأداء الامتحان وحدي سأستطيع
أن أعود من هنالك وحدي ؟ وتوكلت على الله وأدبت امتحن شهادة الابتدائية وما أن فرغت
من أداء الامتحان حتى كنت إذا أخرجت يدي لم أكدره . وبخبري من نظيفة لم يتركوا
أننى كلف بصرى : ذلك لأننى كنت أنقل في أماكن عديدة حفصة أيام كنت بصيرا فكنت
أحسب الخطى بناء على عهد مضى . لكن الموقف الذى كنت فيه في حرج هو أننى كيف
أعود ؟ وكيف أسافر وحدي ؟ هل أرسل إلى والدى ؟ وكيف ؟ من الذى سيكتب لى
الرسالة التى تحرره بحالى وأنا الذى لا أستطيع أن أكتب ؟ وأحير كما لا بد أن انصرف فقد
أوشك الطلبة على الرجوع إلى بلادهم فهل سأظل وحدي ؟ . وهذا الله إلى أن أقصد زميلا
عهدت فيه طيبة القلب أمليت عليه خطابا بحجة أننى منع لا أستطيع الكتابة وقد كنت
كذلك . ووصلت الرسالة إلى والدى وعلى جناح السرعة رآه يأتى مهرولا . كنت قد
ركن من أركان الغرفة كئيبا كسف البال ، قليل الوجد ، يتصرف الجوع ، وبعضى
البؤس . وقصع على صمى العميق صوت والذى يلتقى على حلاه . ومذ يده مصافح دون
أن أراه . فأحطأت يدي الطريق إلى يده . وكان رحمه الله تعالى ذكيا سرعا ما أدركت لى
الأمر شدي . وبيرة حزينة قال لى : ماذا حدث ؟ وعلى من سرعة فتت له : لقد أصبحت
لا أرى شيئا . فما كان منه إلا أن قال : لا تحزن ، وسوف نعمل على علاجه حتى ولو
بعت نوى هذا ، وأخذنى من يدي وتوجهنا إلى يده . وغفت عزم على لزوم جنى
والأقرب أحد .

ورغم أن والدى قد نابت بكاهنه الأعباء وأثقلته الأرزاء ، فالأولاد كثر ، وجسده قد
ضعف حيث أصيب بمرض صدرى ، إلا أنه أخذ يعمل على توفير شيء من المال للعلاج .

وأت يوم أحدنى إلى يد مجاور حيث هناك ضبيب قد ذاع صيته . وكان نصرانيا وبعد
توقيع كشف عني مسمى في ذن والذى بكلمات جعلته يفقد اثراته . ولكنه أتبعها بقوله :
سأجرى به عملية ولا بأس مع الحياة . وأخذنى والذى عاتدين إلى منزلنا . وعلى درج سلم
عبادة أحذته إعانة خفيفة فحسنا حتى يفتق فأجرى الله على لساني هذه الآية :

« وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون »

فذل بصوت خفيض فيه رنة حزن عميق : اللهم أنزل علينا البصر ورضنا بما
برضيت . وعدت لى نيت لى أن أن الله لنا بالرجوع للعلاج حيث ظلمت عاما كاملا أتورد
عن عبدة هذا الضبيب الذى جعل من عيني حقلًا للتجارب ، وبحكم وجودى هذه المدة
قصوية تحت علاج عرفت ماذا اشتر هذا الطبيب . قد تصاب العين بما يسمى
« الكتركت » أى نياه البضاء . وهى لا تؤدى البصر لكن ضبيب العيون لا يستطيع
أن يجرى جراحة عين إلا بعد أن تفقد الإبصار تماما وعندئذ يقال إن المياه قد استوت
فيدخل المريض ومعه قائد يقوده . وبعد إجراء العملية وكشف الضمادات عنه يرى أحسن
بما كان يرى من قبل . عندئذ يقول الناس إن هذا طبيب قد أبرأ الأكمه فقد ذهب إليه فلان
وفلان فعد البصر بعد فقده . فما ما أصبت به أنا فكان يسمى الجلو كوما « المياه الزرقاء »
وهى أخضر ما تصطب به العيون إذ أنها تأكل البصر كما تأكل النار الحطب ، ودون جدوى
رجعت كما أتيت . كل ذلك والأسرة في حالة بؤس ، فالوارد قد ضعفت وأعباء الحياة في
زيادة . وذات يوم نشرت إحدى المجلات المصرية صورة لطبيب في القاهرة يجرى عملية
ترقيع مقترية ، وقالت عنه كلاما يشعر الفارئ بأنه « المسيح بن مريم » في القرن العشرين .
والكتب يهدى إلى فخجور . وفخجور يهدى إلى النار .

وهكذا عودتنا الصدفة التى تلثت وراء المادة والإثارة ، والتى شعارها « أعذب
شعر كنديه » وكما يقولون « العريق يتشبث بالقشرة » . فقد عزم على الذهاب لى هذا
« ضبيب » - القاهرة ووقعا الكشف ، وقال بعد توقيع الكشف إنه يترجم عملية بالعين يسرى
ونسبة نجاحها خمسون في المئة .. ويترجم خمسون جنيه تدفع قبل إجراء العملية . وكان
لحاجة قيمة يومها في عام ١٩٥١ . وعشنا حاولنا إقناعه بأن يأخذ نصف الأجر مقدما ونصف
الأخر بعد إجراء العملية وقد باللفظ نصريح : نحن لا نبيع ترمس . وقال لى والذى
ما دمنا - القاهرة قد صرنا لو دفعا إلى مستشفى قصر العبي . وفي نصباح توجهنا إلى هناك
ولكن وجدنا قويا يقوينا ونقوسا حيث من نرحمة بس الفقراء موضع قدم هناك !!

فقدنا أديراً، جناً لتدبير المال الذي سنجرى به العملية عند هذا الطبيب . كانت شقيقتي الكبرى تملك بعض الحلى فصصمت على بيعه وكان عندنا مذهب بعناه ثم توجهنا إلى الضيب وصمم على إجراء العملية وقت صلاة الجمعة - على الرغم من أنه مسلم ، وعيناً حاولت أن أؤخرها إلى ما بعد الصلاة ، ولكنه أصر وأجريت العملية ، وتمت على ظهر خمسة عشر يوماً ، وجاءت الساعة الرهيبة وهي ساعة حل الرباط ، وحل الرباط وحرك به أمامي هل ترى شيئاً ؟ فأجبت بالنفي !! فرد في عصبية وعنق قائلاً : إني ترى ويكف تكبر ، فأجبت : وم الإنكار ، وأنا الذي أتمنى أن أرى : وكما خدعت في الطبيب لأول خدعت في هذا حيث ضمت عاماً أتردد على عيادته وقد أقمت في أنسكن مع شقيقي الأكبر الذي كان طالباً بكلية الحقوق فقد استأجرنا غرفة في شقة في حي حدائق القبة ، ولما لم أجد في علاج فائدة فقلت راجع إلى بلدي وقد انقطعت عن الدراسة حولين كاملين ، فماذا حدث ؟ تحركت الأحداث حده بسرعة عندما دخلت البيت عائداً من القاهرة وجدت خدار عرفة التي كنا ننام به قد سقط ، وقمت على أعمدة من خشب فبعث هذا في يومه لما عصف ، وانضوت عن نفسي ، وذات ليلة كنا نجلس جميعاً فقال لي الوالد في صوت حزين : ما ضرك لو وصت التعليم وسأضحي عليك زملاءك أن عروك ؟ وثارت في عني ذكريات لألم !! من سني سأخذ بيدي ويقوم على خدمتي ويذكر لي العلوم ؟! وتحركت علامات الاستفهام أمام ناظري كأن كنتة اللهب لولا أن أضفاتها دموع غزير فأنس السنين على هذا استنهد الكتيب !!

مرض الوالد

في أصيل ذات يوم من أيام شهر أغسطس كنت أجلس على إحدى درجات سلم استقبل سمات في حر الصيف إذ دخل الوالد قادماً من محل تجاري ولكنه دخل مسرعاً حيث سمعت وقد ذرعه القوي فاستدعته ثم أوى إلى السرير فسمعت له نباحاً كأنني من دبح وحيد في حجرها ، وكنت أضربها سحابة صيف ما تبت أن تنفث ، ولكن كنت في تقديره ثم مر قضاه وكانت الأسرة تضي ما زالت غري في نفسي أننا لم نجد من الدواء ، ولم نجد غيبوب تضي تحمل مثقال ذرة من رحمة ، إنما وجد قلوب كالحجارة أو أشد قسوة . ونفوس هـ شيا وبغالب ، ونفوس تضي وجدت نفسي أمام هذه الأسرة ، ولا حول ولا قوة . فحدثني أغدو وأروح كصبر يمشي من الألم وهو مسجوح ، فلاهين والأقرباء تكرو لنا من ساءت أحوالنا المادية وهكذا سنينا !!

إذا قل مالي فلا خل يصاحبني وفي الزيادة كل الناس خلالي
كم من عدو لأجل المال صادقني وكم من صديق لفقد المال عاداني

كنت أأزم والدي في مرضه فقد أعدته شدة المرض كما أقعدني فقد البصر، وكان إذا جن عليه الليل يشتد أساه وكأنه كان ينتظر الموت كل ليلة أو كأن الليل كان سفير الموت إليه !!

وفاة الوالد

في صبيحة يوم السبت السادس من سبتمبر ١٩٥٢ ولأمر ما انتقل الوالد من حجرة داخلية إلى حجرة تطل على الطريق، وكانت الأم مشغولة في هذا اليوم بصناعة الخبز في فرن البيت، و يوم الخميس كما يسمونه ثقبيل على نفسي، وكنت في هذا اليوم - أيام الطفولة - أغادر البيت فلا أعود إلا ليلاً، وعادتنى أيام الطفولة في يوم لم استطع فيه حراكاً حيث كنت رهين الخمسين. كنت أجلس بجانب والدي ومررت جنازة في طريقها إلى المقابر وخلفها صبية صغار يكون أباهم ، كان ذلك في تمام العاشرة صباحاً وإذا بالوالدي يهيم في أذني قائلاً : إني عما قليل سأخفق بهذا الميت ! قائلاً وقد ملك الإعياء عليه كنهه وكأنه كان يشعر بشبح الموت يرفرف من فوقه وقام لينام على السرير ، وفي الساعة الثانية نادى على أخى الأصغر وكان يلعب حيث كان طفلاً ، واستغاث به أن يذهب مسرعاً إلى الطبيب ليحركه ، ولكن كان ملك الموت أسرع من الطبيب إليه ، وما زالت هذه الكلمة ترن في أذني وهو يقول لي : « أسأل الله أن يغفر لي » وسرعان ما غسل وكفن ووضع في سرير المنايا وودعته من البيت حيث سبق إلى شواه الأسير وبانتفاض ليلة النائم انفض الأمل والأسباب !!

الواقع المر !!

لم يكن هناك بد من مواجهة الواقع فقد الهدم ذلك خدار الذي كان يمثل في حياتي حاجزاً متيناً ضد عوامل التعرية . وشعرت بالعواصف الهوج تتور من حولي ، وزججرت الرياح القواصف ترعج حياتي . فقد حضر إلينا أحد الأقرباء - بل هو في مقام الوالد - إنه خالي وشقيق أُمي ، الذي سلبها حقها في ميراث أبيها وقام بتوزيع الأدوار علينا : أشار على أخى الأكبر وكان يومها طالباً بالسنه الثالثة من كلية الحقوق . أشار عليه أن يترك التعليم ويعمل كاتب في إحدى المحاكم . كما أشار علىي وكنت يومها أحمل شهادة الابتدائية الأزهرية . أشار

على أن أعمل مؤذناً في أحد المساجد مقابل ثلاثة اجتهات . كما أشار على أخى الذى بصغرى ، وكان يومها تلميذاً في المدرسة الثانوية أن يعمل في محل البقالة الذى تركه والدى . وكان ذلك المحل يومها خاويًا على عروشه ، فلم يبق فيه ما يسد الرمق وكأنه أصبح حزينا على موت صاحبه !! فالوفاء في الأشياء قد يكون أكثر منه في ابن آدم !!

مررت على المروءة وهى تبكى فقلت : علام تتحب الفتاة
فقلت : كيف لا أبكى وأهل جميعا دون خلق الله ماتوا

كما أشار على أصغرنا أن يتحق بإحدى الصناعات ليتعلم ويأكل لقمة عيشه . ولكن إرادة الله لا تتبع هوى أى إنسان ، فإن في السماء ملكة استوى ربه على العرش :

(عبيد أنت تريد وأنا أريد ولا يكون إلا ما أريد . فإن سلمت في فيما أريد ، كيفك ما تريد ، وإن لم تسلم في فيما أريد أتعبتك فيما تريد ولا يكون إلا ما أريد) .

كان نعام الدراسى الجديد قد أوشك أن يبدأ . وفي خلوة بين وبين شقيقى الأكبر أشار على أن ألتحق بمعهد القاهرة الدينى لأواصل مسيرة التعليم بالأزهر . على أن يقوم بتحويل أوراق من معهد الإسكندرية إلى هناك . وقد كان المعهد قد حسب العاملين بسين انقصت فيه عن التعليم للملاح - قد احتسبهما رسوبا بحيث لم يبق سوى سنة استثنائية ، إذا رست فيه كان المصير فصلا من التعليم لا يقبل شفاعة شافعين . وتصورت نفسى كأنى أضع قدمى على شفا جرف هزل لو زلت لكانت الهاوية . وما أدبر ما همى !!

وفي يوم من أيام أكتوبر ١٩٥٢ وقبل أن تبرز الغزاة من خبرها وتطل علينا بقرنها والناس ما زالوا في يومهم ، اصطحبني شقيقى إلى القطار ، وخرجت من بلدى أتسلل تسلي القفأ مستخفيا أتجنب أسئلة المصولين ، وما أكرها ! ، وما أسوأ وقعها على النفس التى تناوتها السهم من كل جانب . ومزقتها رياح الشدائد من كل اتجاه ! ووصلنا إلى مدينة دمهور . وتفتت الصعداء فقد تجاوزت حدود البلد . وركبنا القطار إلى القاهرة حيث كان شقيقى قد استأجر غرفة يقم بها وهو طالب . وأخذ يسعى جدوا في تحويل أوراقى قبل أن ينفرد عقد الأية فضيع السنة الاستثنائية . وكان أن المنصر لا بصغر . كذلك لا استثناء في الاستثناء .

ولم أنسى موقف هذا الشيخ الجليل : الشيخ سيد الجراحى الذى كان يعمل أستاذ في كلية الشريعة . والذي كانت تربطه بالدى صداقة ، حيث كانا رفيقين في كتاب الجدة . فإن الناس ما تنكروا لنا ، بل وتنكر لنا الأهل والأقرباء . ظل هذا الشيخ وفيًا ، فقد سعى سبع جتيا . حتى قدم الأوراق إلى معهد القاهرة وإن كان ذلك قد تم بعد أن انصرم نصف العام لدرسى . ولكن كان له مما ليس منه يد . فكان برأى على أن أحرض على حضور

خاصة وأن في السنة الأولى الثانوية علوما لم تكن قد درستناها في القسم الابتدائى مثل : الحديث الشريف والبلاغة والمنطق والقروض . فكيف أقرؤها من غير أن أفهمها ؟

بين المسكن والمعهد

كانت الغرفة التى أفلتها أنا وشقيقى في بحى شين . بدير الملاك ، وكان المعهد الذى اختلف إليه بحى الدراسة بالقرب من الأزهر ، وكان ذلك يمثل عبئا ثقيلا على نفسى ويكلف أخى الكثير من وقته وجهده . فكنا نركب من دير الملاك وننزل بالعينة ثم نقطع شارع الأزهر والسير فيه صعب لازدحامه وطوله . كنا نقطعه مشيا على الأقدام . فأصل إلى قاعة الدرس وقد بلغ الإعياء متى مبلغه عندما أجمع أنفاسى المبعثرة ، ثم يأخذ أخى طريقته إلى كنية الختوق بجامعة عين شمس على أن يعود إلى المعهد ليصحبني إلى المسكن . وكثيرا ما كنت أنتظره طويلا حيث كان مرتبطا بمواعيد الدراسة . ولم كان يحز في نفسى أن ينصرف الطلاب فرحين بانقضاء يوم ملء بالعلوم . فرحين لأنهم ذاهبون إلى مساكنهم ليأخذوا نصيبهم من الراحة . وأقف أنا وحيدى تمر على اللحظات كأنها سلسلة من الجبال ، وتساورنى الظنون وتشد الأوهام أذنى : ماذا تأخر أخى ؟ .. وهكذا إلى أن يقطع هذا السكون الرهيب صوت أخى يلقى عنى السلام فينزل سلامه على قلبى كما تنزل قطرات الندى على الزهرة الظمأى فتزرع الطريق إياباً .

ورأيت بمشاعرى أن أوفر بعض الراحة لأخى حتى يتمكن من مذاكرة دروسه . فأشرت عليه أن يأخذ يدي إلى الحافلة « الاتوبيس » ويتركنى وحيدى على أنزل محطة العينة مستعمنا بأحد الناس الداهين في طريق المعهد . واستعنت بالله فقد كنت أملك عزيمة صلبة أواجه بها شدائد الأيام إذا عصفت ، وخطوبها إذا ادلمت . فقد عزمت بعون من الله أن أواصل الطريق مهما تراءى أمامى العقبات . فقد رأيته محفوقا بالأحراش والأشواك التى أوت إليها المقارب والخيأت . إذا سلم السالك فيه من لدغة العقرب فقد لا يسلم من نبهة الثعبان .

بحى الأم إلى القاهرة

كانت أمى تقيم بالبلدة مع بعض إخوانى ، ورأينا أن نجتمع كلها في القاهرة حتى يكون في ذلك نوع من الاستقرار ، فجتا ببقية الأسرة إلى القاهرة ، بعد ما استعنا بالله وبعتا على إحدى كان يعمل فيه أبى ، كما بعنا بعض الضروريات التى أردنا أن ننفق من ثمنها ولكن سرعان ما نفذ ذلك المال القليل أمام مطارق الأيام الشديدة التى نهالت فوق رؤوسنا . ثم صصر

أخى إلى أن يذهب إلى أحد الأقرباء ، وكان يملك المال الكثير . كان يملك ثمانين فدانا من الأرض الجيدة ، وما أن علم ذلك الثرى بمقدم أخى حتى ولّى هاربا مخفيا ، فكلم أخى زوجة ذلك الثرى وكانت على صلة القرابة بنا ، وأنه جاء ليقترض ثلاثين جنيها ، ويضع أوراق البيت الذى كنا نملكه فى بلدنا تحت يديّ ذلك الثرى ليكون فى ذلك استيثاق ببرد الدين . ولكن جاء ذلك الكلام كله دون جدوى . وعجيب أمر هذه الدنيا ، إذا أقبلت على أحد خلعت عليه محاسن غيره فإذا أعرضت عنه سلّته محاسن نفسه !!

وعاد أخى إلى القاهرة والحزن يعتصره فقد عاد بحقّ نحى وباتت الأسرة حزينة كثيرة كاسفة البال . فبينا بعض ما تبقى من الأثاث ، ولم نجد بدا من أن نبيع البيت الذى ورثناه عن أبينا وعرضناه للبيع ، وكانت المأساة بل الملهاة فى موقف الناس منا : إذا عُرض ثمن مشرف من أهل الشر فى أذان المشتريين بأنه لا يُساوى هذا الثمن حتى بعناه ببيع المضطر بثمن بخس دراهم معدودة . وتلك طبيعة الناس إذا فقدوا المروعة والوفاء :

يمشى الفقير وكل شيء ضده والناس تغلق دونه - أبوابها
وتراه ممقوتا وليس يمدّ يده ويرى العداوة لا يرى أسبابها
حتى الكلاب إذا رأت رجل الغنى حثّت إليه . وحركت أذنانها
وإذا رأت يوما فقيرا ماشيا نبحت عليه وكشّرت أنيابها

وهكذا حكموا على الأشياء حكما باضلا ، فكل حسنة لفقير اعتبروها سيئة ، وكل سيئة للغنى اعتبروها حسنة ، فالفقير إذا كان فصيح اللسان قالوا : إنه ثرثار كثير الكلام ، وإذا كان كريما قالوا : إنه مسرف متلاف ، وإذا كان شجاعا فى الحق قالوا : إنه متهور سفيه والغنى إذا كان عفى اللسان قالوا : إنه عاقل رزين ، وإذا كان بخيلا وإذا كان جباناً . قالوا : إنه حكيم راجع العقل .

إن الغنى وإن تكلم بالخطأ
وإذا الفقير أصاب قالوا كلهم
إن الدراهم فى الجالس كلها
فهى اللسان لمن أراد فصاحة
وما أجمل ما قاله أحد الحكماء :

رأيت الناس قد مالوا إلى من عنده مال
ومن لا عنده مال فعنه الناس قد مالوا
رأيت الناس قد ذهبوا إلى من عنده ذهب
ومن لا عنده ذهب فعنه الناس قد ذهبوا

رأيت الناس منفضة إلى من عنده فضة
ومن لا عنده فضة فعنه الناس منفضة

لم يكن تحت أيدينا سوى ثمن هذا البيت الذى مثل الجولة الأخيرة فى حياتنا المادية ، وكنا حريصين على ثمنه لا تنفق منه إلا فى حدود الضرورة حرص السجين على طعامه . وقد صدق الصادق المعصوم حيث يقول : « لن يجهد الفقراء إلا ببخل الأغنياء » . وحيث يقول : « ليس منا من بات شعبان وجاره جائع ، وهو يعلم » .

وإذا تحول المجتمع إلى قوم يستحبون الصخر ، وقوم تتمرغ النعمة فى أعتابهم ويستهبون إلا أن يبدسوها بأقدامهم ، تهب عليهم النسمات معطرة بالأريج . وغيرهم يلفحهم فيظف المواجير من نبح جهنم . يوم يصير المجتمع هكذا فقد حقّ فيه قول الله تعالى : ﴿ فكأن من قرية أهلكناها وهى ظالمة . فهى غاوية على عروشها وهى معطلة وقصر مشيد ﴾ . وحتى « قوله جلّ شأنه : ﴿ وما كنا مهلكى القرى إلا وأهلها ظالمون ﴾ . وقوله جلّ جلاله : ﴿ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ﴾ .

على أبواب الامتحان

ذكرت فيما سبق أن هذا العام الدارسى كان عاما استثنائيا .. الرسوب فيه يؤدى إلى فصل من العهد . وكان عاما مليئا بالمشاكل مفعما بالأحداث الأليمة . وقد فانتى شطره ، لكنى بقيت فى الله وثقتى به قد عزمت على أن أخوض غمار هذه الشدائد حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا . وجرت عادة الطلاب أن ينصرفوا قبل الامتحان بشهرين . يتفرغون فيهما استعدادا لدخول الامتحان ، وهنا لاحت أمامى أسئلة وعلامات استفهام كان لها وقع السهام على نفسى : من الذى سيذاكر هذه العلوم التى فانتتنى ؟ وإذا لم أجد من يذاكر لى نياى شيء أدخل الامتحان ؟ . وكنت أحمل ذاكرتى أكثر مما تحتمل إذ كنت أحرص على أن أظلم ذاكرتا ما يلقى على الأستاذة فى قاعات الدرس حتى لا أنساه فأحتاج إلى من يقرؤ لى . ورأيت من الحكمة أن اتفق مع أحد الطلبة لنذاكر سويا ، والاتفاق مع أحد الطلبة يمثل مشكلة بعانها المكفوفون فليس ذلك بالأمر السهل إذ أن الذين يعملون الخير ابتغاء مرضاة الله قليلون . فما الذى يدفع البصير إلى أن يذاكر للكفيف إلا أن تكون المنفعة المتبادلة بينهما . فالكفيف : وقد عوضه الله عن نور البصر ذكاء القلب ، حريص غالبا على حضور الدراسة ، مواظب على السماع من شفاة المدرسين . وذلك جوانب قد تفوت الطالب المبصر ، فيجد فى مذكرته مع الكفيف ما فاتته . مهما يكن من شيء فقد اتفقت مع أحد الطلبة على المذاكرة معا . وتفتنا على ذلك وظننت أننا قد اجتزت هذه العقبة وما أدراك ما العقبة ؟ لقد ضلّ على

عهدته معي بحمة أهام بعدما اخففته فلم أجده . وكنت لا أعرف عنوانا فقد كان يأتيه
لنذهب سويا إلى أحد المساجد إذ كان ضيل المسكن لا يسمح لنا بالذاكرة فيه . وبارك الله
في بيته ، فقد كانت وما زالت وستظل مهابط الرحمة ومساكن الملائكة .
في رحابها تعقد مجالس العلم والذكر ففضاهم الرحمة وتحفهم الملائكة وتزل عليهم السكينة
ويذكرهم الله فيمن عنده في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه . يسبح له فيها
بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة
يحافظون يوما تغلب فيه القلوب والأبصار .

مفاجأة !!

فوجئت بعد بحمة أهام من مذاكرتي مع هذا الصديق بانقطاعه وقلت : لعله أمر
عارض يعوق حده فواصل ما بدأت ، فإن الأمر جد وما هو بالمر . ولكن مرت الأيام .
واقربت ساعة الامتحان دون أن يذكر لي أحد ، ولم بعد ذلك ابرق إلا أنني فوجئت منه
برسالة يقول فيها : لقد سافرت إلى أهل الأناكر هناك ، وحاجت الرسالة متأخرة عما يدل على
أن هناك نائب لا يخبرهم شعور الآخرين ولا يحسون بحساساتهم ولا يقيمون للمسئولية
وزنا . هؤلاء ضل سبيلهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . وأخذت حلقات
السلسلة تضيق وكأن يقول أحد الحكماء :

رمان الدهر بالأرزاء حتى فزادى في غشاء من نبال
فكنت إذا أصابت سهام تكسرت النصال على النصال
وقول آخر :

هانت على نفسي المصوم كأنها وكأني فريسة وصلور
بالبل أين السور إلى قاته هل تطعن أه ليس بعدك نور

إن الفرج مع الضيق !!

صنعت ياربا فإن مع الصبر يسرا . إن مع العسر يسرا . أنه لن يظلم عسر يسرين
وبين ذلك أن اليسر جاء في الآية منكرا وفكرة إذا أعيت حجة كانت غير الأولى والعسر
جاء معرة . والمعرفة إذا أعيت معرفة كانت عين . أول . من يظلم عسر يسرين .

رأيتني أمام باب الجنة ، وكان الامتحان للمكفوفين شفويا وكان في الغرفة جنتان :
إحداهما تشدد في الامتحان وتطوى رقاب المتحنيين ، يفتح الحاء . كما يطوى البرق منغصيرات
الغمام والأخرى سهلة ميسورة . فكان الطلبة يجتنبون الفرصة التي تمكنهم من الامتحان أمام
اللجنة التي ترفق بهم وفوجئت بمن يأخذ يدي فيجلسني أمام اللجنة المشددة . وحاول أخى
أن يخلصني من يد هذا الذي أخذني حتى يذهب لي إلى اللجنة الأخرى . ولكن دون
جدوى .

مرت أمامي أشباح رهبة قبل أن أجلس أمام اللجنة فقد فوجئت بهذا الطالب الذي
عبر بالعهد وتركى ، فوجئت به يقول لي على باب اللجنة : إن رست فسوف أقوم
بالمذاكرة لك حتى لو نجت أنا وسبقتك . وأنا من الذين يتفاملون بالكلمة الطيبة ولا أحب
أن أسمع الكلمة التي تجرح المشاعر ويضيل صدرى ولا ينطلق لساني إلا بقول : إن الله
معي ، وقلت له : إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يقول الصالحين .

كما مر في شبح رهيب وأنا على وشك أن أتلقى سهام الأسئلة من اللجنة . قلت في
نفسي : لو لم أوفق في الامتحان أمام لجنة شديدة الجراس فماذا يكون المصير ؟ وكيف يكون
أحوال أمام متاعب الأيام ومصاعبها ؟ . ولكن سرعان ما زال هذا الشبح أمام قول رسول الله
ﷺ : لا يقولن أحدكم لو كان كذا لكان كذا فإن لو تفتح عمل الشيطان .

أمام اللجنة

يا صاحب الهم إن الهم منفرج أبشر بخير فإن الفارج الله
التيأس يتطلع أحيانا بصاحبه لا تيأسن فإن الكافي الله
الله يحدث بعد العسر ميسرة لا تجزعن عن فإن الصانع الله
إذا هلت قتل بالله وارضى به إن الذي يكشف البلى هو الله
والله مالك غير الله من أحد فحسبك الله في كل لك الله

جرت على لساني آيات ودعوات قبل أن أتلقى سهام الأسئلة من لجنة سبقها سمعها في
التشديد والصعوبة كت أردت قوله تعالى : ﴿ قل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني
مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصورا ﴾ . وقوله جل شأنه : ﴿ رب اشرح لي
صدرى ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يلقيها فو لي ﴾ . كما رددت هذا الدعاء
المأثور : يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث .

وجلس أمام اللجنة ورأيتني وأنا جالس على مفترق لغرق فيما نحاج بفتح الباب أمام مستقبل زاهر ترتوى فيه النفس بماء المعارف وإما يخفاق يؤدي إلى سلسلة متصلة الخلفات من الشدائد لا يعلم إلا الله وحده مداعا . وبينما تنقادني تلك الأمواج العاصفة إذ تبيت على صوت أحد لعضوين سألني عن اسمي . وقلت في نفسي إن هذا الصوت ليس غربيا عنى . ورجعت أتقهقرى ثلاث سنوات وعلت أنه صوت لأستاذ الفاضل الشيخ أحمد الكومي . وهو رجل معروف بالعلم فهو ذو قدم راسخة فيه . ولئن أكون مبالغا إذا ما قلت : إنه رجل ينشر العلم من جوانبه . وكان قد سبق أن تلمذت عليه في القسم الابتدائي بمعهد الإسكندرية . وحلست أمامه في خان الامتحان ، وبتزك صوتته وهو الرجل الكفيف . فتأبى الأمن لدى أعضاء في ليل كموج البحر أرحن سكونه عنى بنوع المعلوم . سألني الشيخ بصوت مرن بالرحمة : بأي العلوم تحب أن تبدأ الامتحان ؟ . وفهمت من هذا السؤال أنه يريد أن أختار علما أكون متسكنا فيه ليبحث في نفسي راحة الخاش ول قلبي برد اليقين . وطلبت أن تسأ يعلم الحق لأتني والحمد لله أحبه . بل هو يمثل في نفسي متعة عظيمة فقد تلمذت فيه على يد عالم فاضل صحت منه قدوة طيبة لي هو شيخ محمد مصطفى جاد . فيه سحائب لرحمة فقد كان شابا عاكفا أثار الله قلبه بمعرفة . وحكى ذلك النور من قلبه على وجهه . كنت تعرف في وجهه نظرة العجب . نعمم التقدير

ليس الجمال بالثواب ترهبنا إن الجدل حال العلم والأدب

كمد لرجل يؤدي عمله كرسالة بهينا عن قيود حرجية . فكان العام الدراسي إذا أولئك أن يقضى دعانا إلى الحضور لبلالتلقي على يديه من لبروس الإضافية ما شاء الله أن نتلقى حتى يكمل لنا المسح وتنصرف بعد الكمال واتقاء . هذا رجل والرجال قليل . وهذا القليل فيه خير والنفع العظيم .

تعبنا أنا لليل عبيدا فقلت يا إن الكرام قليل
وما ضربنا أنا لليل ودينا صحيح ودين الآخرين قليل

زارني محمد ابن الشيخ محمد مصطفى جاد وكان صدي في كلية أصول الدين ، زارني بجامع كنت وقتا إمام المسجد . وجد أن عرفني بنفسه أحدي والدته قد لول . وقد وصاه أن يعود برفقة ما اختلفوا في مسألة من المسائل أن يرجع بين في الخلاف وسألته أن تحدثني عن شيء من حياة أبيه فأل أحب الصالحين وأعلم أنه إذا ذكر الصالحون نزلت الرحمة . ففعل على منب مهيبا : كان أبوه رحمه الله إذا فرغ من أداء وجهه ومن إلقاء الدروس بمعهد انصرف حصة مسجد مجاور لبيت يقوم فيه بالإمامة برفقة درس في التفسير وحديث والفقه . ومن انصرف المصلي بعد صلاة العشاء قد شعيت المسجد بما في ذلك دورة

المياه . وفات يوم . وقف على مسة منقل لمسقط من فوق درجة وانكسرت ذراعاه اليمنى . ووضع في الجبس وبات راضيا عن قضاء الله وقدره . فقضاء الله لا يقابل بغير التسليم وليس له عدة سوى الصبر الجميل . ولكنه وهو الرضى عن قضاء الله كان حزينا على كسر ذراعاه حيث لم يتمكن من القيام بواجبه في تنظيف المسجد . ولكنه وهو الرضى الحزين ما أن حرا الكرى غيبه حتى رأى في المنام رسول الله ﷺ ورؤياه حل فقد أحر : ه من رأى في المنام فقد رأى حقا . فإلى الشيطان لا يتمثل لي . لقد مد الرسول يده إلي مضافا وشد على ذراعاه الكسور تقام من نومة وقد شفاه الله وعافاه . عكست شخصية هذا العالم انطباعا حياشا من حب العلم والأعتراف من حياض مما حملني أعتر به ويعلمه . فكان علم العربية حبا إلى مدى .

مع الشيخ أحمد الكومي

بدأنا يعلم الحق والرجل لا يريد أن يعرف نفسه وكأنه لا يعرفني ولا أعرفه حتى لا يشعر العضو الآخر بذلك فيشدد عنى في أسئلته وأنا أعلم أن الشيخ الكومي رجل لشاح الذكاء . وفي الإشارة ما يقنى عن العبارة ، وفي التلميح ما يقنى عن التصريح . ودخلت في نقاش عفيف مع العضو الآخر في مسألة من مسائل الحق تقول : كل ما جاز أن يعرف عطف بين جاز أن يعرف بدلا إلا في مسألتين وتدحل الشيخ الكومي وهو يعلم أنني كنت على حل . فدخل بصوت خفيض وحاطبني بقوله : إن فضيلة الأستاذ يريد أن يصير بمائة طال فيها الخلاف بين النحاة ، لكن على بية من ذلك . وعلمت أنه يريد أن ينهي هذا الجدال . لم انتقلا إلى المواد الأخرى وقلباها على بساط البحث والأسئلة . وجاء موضوع الإنشاء وكما حل وشك الانتباه من الامتحان فأراد الشيخ أن يعطيني إشارة أستدل بها على أنه يذكرني حينما يعرفني فقال لي : صف لنا ذلك المطر البدع عندما تشرق الشمس فتبدع عباب الطلمات ويطلق الناس معها وراء لقمة العيش والأمل بملا تقوسهم وقد بدد غراب الهأس فقال العضو الآخر وكان شيخا طريرا : إن هذا الموضوع يحتاج إلى إسك مصر وهذا الطالب كفيف . فقال له الشيخ : لقد كان مبصرا وكف بصره بعد سبعة عشر عاما . وأنا أعلم من حياته الكثير وتحدث في موضوع الإنشاء ما شاء الله لي أن أتحدث ، وكان مسك الحنا في الامتحان القرآن الكريم . وأراد الشيخ أن يعلمني نتيجة الامتحان وذلك بسؤال في القرآن الكريم بالآيات البشرية . أراد أن يسلط أصواء الأمل على قلبي فقال لي : اقرأ من سورة الزمر : **لَقُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْلُوا مِنَ رَحْمَةِ اللَّهِ شَيْئًا** . وخذ الأسئلة في القرآن الكريم بسورة الضحى ووقف

لن عند قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ يَعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ . وانصرفت وقلبي يلهج بالرضا
ولسانى يردد الحمد لله . فقد كنت أشعر بنعمة لا تعدلها نعمة وهى أن الله تعالى سيجعلنى
من حمة الإسلام وحراس العقيدة .

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعاً وعند الله منها المخرج
صافت للما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرج

إن يد الله تعمل فى الخفاء فدعوها تعمل بطريقها الخاصة ، فليس لأحد أن يستعجلها
أو يفترج عليها .

وإذا رميت من الزمان بشدة وأصابك الأمر الأشق الأصب
فاضرع لربك إنه أدنى لمن يدعو من حبل الوريد وأقرب

سبحانه وتعالى عز كل ذليل وغنى كل فقير وقوة كل ضعيف ومفرج كل ملهوف .
من تكلم سمع نطقه ومن سكت علم سره ، ومن عاش فعليه ربه ، ومن مات فإليه منقلبه .

لا تضيقن بالأمور فقد تكشف عماؤها بدون احتيال
ربما تكره النفوس من الأمر له فرحة كحل العقال

سبحانه لا ينقصه نائل ، ولا يشغله سائل واحد ، عدد ، قدم بلا عمد ، دائم بلا
أمد :

دع المقادير تجري لي أعنتها ولا تبتغ إلا غالى البال
ما بين طرفه عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال

البحث عن صديق

استقبلت العطلة الصيفية ولم يكن لى صديق أو رمز فى وحدتى إلا كتاب الله أنوره
أناء الليل وأطراف النهار ، فهو كما يقول الإمام الشافعى

وعبر مجلس لا يُمل حديثه ولرداده زوداد فيه تحملا
وحيث الفتى يرتاع لى ظلماته من التقر بنقاه منا منهللا

فمن أراد مؤنساً فالله يكنه ، ومن أراد حجة فالتقى بكفيه . ومن أراد الفتى فالتقاه
تكنفه . ومن أراد واعظاً فالمرتوى يكنه . ومن لم يكنه شيء من هذا فإن النار تكنه .

ظهرت النتيجة وجاءنى شقيقى عبدالمنار يحمل كشف الدراجات فرحاً مسروراً فقد
كانت النهايات الكبرى فى العلوم تزين الكشف كما تزين النجوم سماءها . وحمدت الله تعالى
فقد كان الكشف بالنسبة إلى ضوءاً أخضر ينير لى الطريق ويضع معاله على الجانبين مبشراً
بمستقبل طيب كريم . لكن كان يهكر على صفوى ما ساعانيه من عدم وجود رفيق يلازمى
فى غدوى ورواحى إلى المعهد ، ونقرأ لى الدروس حتى تسير سفينة الحياة فى جو معتدل ،
فكان لابد من البحث عن صديق وفى يصدق الوعد أقيم معه فى مسكن قريب من المعهد .

العام الجديد

انقضت العطلة الصيفية وأقبل العام الجديد وتحركت مواكب الأيام وكما قال القائل :

غداً يصبح أمسى لا يعارضنى فى ذاك حى وأمسى لن يصير غدى

فأبانا خمسة : يوم مفقود ، يوم مورود ، يوم مشهود ، ويوم موعود ، ويوم
ممدود ، أما اليوم المفقود : فهو الذى مضى ولن يعود ، وأما اليوم المورود : فهو اليوم الذى
يأديك فجره : يا ابن آدم أنا خلق حديد وعى عملك شهيد فاعلم مى فإنى لا أعود إلى يوم
القيامة . وأما اليوم المشهود : فهو اليوم الذى لا يعلم ما فيه إلا علام الغيوب فهو فى خمسة
أمر من الغيب لا يعلمهن إلا الله .

رأى الإمام مالك بن أنس رضى الله عنه ملك الموت فى المنام فسأله : كم بقى من
عمرى فأشار له الملك بأصابعه الخمس فقال له الإمام : أخمس سنوات أم شهور أم أيام ؟
ولكن الإمام استيقظ قبل أن يحيه الملك فذهب إلى من يعبر له الرؤيا فقال له يا إمام : ما أراد
الملك بها سنوات ولا شهوراً ولا أياماً إنما أراد أن يقول لك : إن سؤالك هذا فى خمسة أمور
من الغيب لا يعلمهن إلا الله . ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى
الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم
خبير ﴾ .

واليوم الموعود : هو اليوم الذى يتم اللقاء فيه بين الروح وخالقها :

دقات قلب المرء قاتلة له إن الحياة دقائق وثوان
فأرفع لنفسك بعد موتك ذكرها فالذكر للإنسان عمر ثان
واصبر على نعم الحياة وبؤسها تعمى الحياة وبؤسها سباق

اليوم الممدود : هو اليوم الذى لا يوم بعده ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾
﴿ يوم التلاق يوم هم يارزون لا يخفى على الله منهم شيء . لمن الملك اليوم . لله الواحد

الفهار . اليوم تجزى كل نفس بما كسبت . لا ظلم اليوم . إن الله سريع الحساب ﴿

الفنس تبكى على الدنيا وقد علمت	أن السلامة فيها ترك ما فيها
لا دار للمرء بعد الموت يسكنها	إلا التي كان قبل الموت يبيتها
فإن بناها بخير طاب مسكنه	وإن بناها بشر خاب بانيها
أين الملوك التي كانت مسطرة	حتى سقاها بكأس الموت ساقيا
أموالنا للذوى الميراث نجممها	ودورنا لخراب الدهر نبنيها

هل من صديق ؟

بدلت الجهد الجهد بخا عن صديق نعيش صوباً سعياً وراء طلب العلم ، ورزقنى الله إنساناً قضيت معه أربع سنوات حتى حصلت على الشهادة الثانوية الأزهرية وكانت المرحلة الثانوية يوماً خمس سنوات . كان هذا الصديق هو الأخ محمد الطوخى . والحق أنه كان معي وقتاً وى خفياً . فقد استأجرنا غرفة في أحد الأحياء القريبة من الأزهر في بيت أكل الزمان عليه وشرب وأناخ عليه الدهر بكله فقد كان عريق في القدم قد كاد يهدمه السبع . وكادت تنزوه الأعاصير . وتره من فوط الغزال تكاد تنقبه النوضر .

كان هذا الطالب قد مات أبوه في صغره وكفله حده لأبيه وكما يقولون : وهبة للعلم . وذات يوم زاره جده في تلك الغرفة التي كما نقيم بها وسأله عنى فقال له : إنه طالب أهل علم وأدب ، فسأ الرجل إذ وجد من يلزم حفيده في طلب العلم فأوصاه في حيرا . كما أوصاه أن يأتي في معه عند انتهاء العام الدراسي قبل الامتحان لنتذكر مع . ووقعت هذه الكلمة من نفسى موقع الماء البارد في فم نضمان ، فوحدت مكاناً خالياً في القلب فتمكنت منه فضل تمكن . فقد كان في نفسى فراغ رهيب يحتاج إلى من يضع النسمات الصادقة ، وذلك من حيث من يقوم معى باستذكار العلوم .

كثيراً ما كنت أعانى من فقد الصديق الصلوق .

فما كل من تنواه يواك قلبه	ولا كل من صافته لك قد صفنا
إذا لم يكن صفو الروداد طيبة	فلا خير في ود يحيى تكلفنا
ولا خير في خل يخون خليله	ويلقاه من بعد المودة بالجفا
ويكر عيشاً قد تنادم عهده	ويظهر سرا كان بالأمس في خفا
سلام على الدنيا إذا لم يكن بها	صديق وفى يصدق الوعد منصفنا

أوشك العلم الدراسي أن ينقضى ، وقد أخذ الطلاب ينصرفون إلى بلادهم لذاكروا لدروس استعداداً لدخول الامتحان . وكنت في العام الماضي أعانى من هذه الأيام التي يصرف فيها الطلاب فرحين مقبلين على الجد وتحصيل الدروس ، وأنا الحزين الذى أبحث عن صديق يلازمنى في القراءة فلا أجده . لكننى والحمد لله كما قال تعالى : ﴿ فاعلم ما لي قلوبهم فأقول السكينة عليهم وأنتاهم فتحاً قريباً ﴾ . لقد علمت أن هذا الأخ سيصبحني إلى بلده - كمر صوباً ومن ثم فإننى سأدخل الامتحان وقد اغذت له عدته فيصير خولاً وأنا وقلتي ضمانية ﴿ إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً ﴾ . وأنا من الذين يتحملون شظف العيش وقسوة الحياة في سبل العلم . فمن أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم . ومن أرادهما معاً فعليه بالعلم .

العلم فيه حياة للنفس كما تحيا البلاد إذا ما مسها المطر
والعلم يجلو المعنى عن قلب صاحبه كما يجلو سواد الظلمة القمر

واعلماء دولة الأنبياء . في سبيل هذه المبادئ هانت على شذائد الأيام . لم يكن سفرى إلى بلد صديقى أمراً ميباً على نفسى . ذلك والحق يقال أننى شديد الحساسية في منامى ويقضى وأكل ومشى وملبى . فليس كل مأكّل أقبل عليه متادياً في ذلك الحديث الشريف : « ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط إن استشهاه أكله وإن كرهه تركه » وفي منامى أحب أفدوء ويؤلى الصخب . وفي ملبى أحب النظافة ، والبساطة لا أطيع عرفة إذ أشعر عندها باحتناق . أحب الماء لأنه يعطينى ذمة قوية . وقد صدق الله تعالى إذ يقول : ﴿ وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان ﴾ أحب وضوءاً وغتسالاً ، وأحب شرباً بارداً وأحب سماعة خريراً متديفاً . وقد حلّ حلاله الله إذ جعل من نعيم الجنة أنهاراً تنوعت حشماً وجمالاً ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ﴾ .

فهل سأجد هناك حيث الإقامة التي تستمر نحمة وأربعين يوماً هل سأجد هناك ما أشتده من هذه المطالب وتسترخ له نفسى ؟ لكن كل هذه التساؤلات قد زالت في سبيل هدف الأعلى .

﴿ ولئن صبرتم هو خير للصابرين . واصبر وما صبرك إلا بالله ﴾

ومن تكن العلاء -مة- نفسه فكل الذى يلقاه فيها محب
إذا أنا لم أعط المكارم حقها فلا عزى خال ولا ضمنى أب

وقال آخر :

وإذا كانت النفوس كباراً . تعبت في مرادها الأجسام

وقال ثالث :

لأسهلن الصعب أو أدرك النى . فما انقادت الآمال إلا لصابر

وقال رابع :

لا تحسب المجد غمرا أنت آكله . لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبر

حقيقة أن الله تعالى يموض عن نور البصر ذكاء القلب . ولما كف بصر الإمام عبدالله

بن عباس قال :

إن أذهب الله من عيني نورها . ففي فؤادي وعقل منها نور

عقل ذكي وقلبي ماحوى دخلا . وفي لى صارم كالسيف مشهور

سافرتا إلى بلدة صديقي وكانت إحدى قرى محافظة القليوبية . وتمتاز قرى القليوبية

بحدائقها الماء وأزهارها الفواحة الأربع وهوائها العليل . وكانت القرية التي يقيم بها صديقي

تسمى « كثر الجمال » وتشتهر ببراعة الذهب الأصفر وحدائق البرتقال . فكنا نخرج في

نسيم الفجر إلى تلك الحدائق ونفتح كتب العلم ونقرأ ماشاء الله لنا أن نقرأ . وقد أذن لنا

أن نأكل من تلك الثمار بين آونة وأخرى .

وبين الأشجار قد نبتت خضروات نسميها نحن « بالسريس والمعضيض » فحولت

الأرض إلى سباط سندس أخضر . أمانا جداول الماء تنساب وحرارة وحولنا الهواء نظيفا نقيا

غنيا بالأكسجين . خمر الماء وحفيف الأشجار وتفريد الأطيار وأطياب النار وجنى

الجنان : كل هذه نعم أنعم الله بها علينا لا نستطيع أن نقوم لله بشكرها فالحمد لله على كل

حال حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده .

وكان لهذا الصديق عم كريم الخلق ، عندما انصرفا إلى القاهرة لأداء الامتحان رأى

الرجل أن يقدم لي هدية ، فعبر عن ذوق رفيع فقد كانت هديته قطعة من القماش أعطاها

لخياط القرية فصارت ثوبا جميلا خفيفا في حر الصيف ساعد مع ثوب الذي كان يشكو ألم

الوحدة كما تعطاني جنبها جذبا وكان الجنيه يومها ذا قيمة . كما كان لهذا الصديق جدة لأبيه .

كانت سيدة صالحة . كان لسانها دائما رطبا من ذكر الله . عندما علمت بسفري زودتني

بخيرات تشتهر بها القرية المصرية من خبز وزبد وجبن . وما من شك في أن المعنى الكبير الذي

اشتمل عليه ذلك الموقف كان بمثابة لدواء لداء طالما استعصى علاجه إنه يحمل معنى الوفاء

والمرودة . فالمدائيات في ذاتها لا تحل حيزا كبيرا في الله فيسبغا ما يحمله من قيم ومثل ، قال

عليه السلام : « صاحب الحروف لا يقع وإذا وقع وجد متكل » وقال : « البر لا يمل والذنب

لا ينسى والدنان لا يموت » . اعلم ما شئت كما تدين ندان » وقال : « اصنع المعروف في

أمله وفي غيره أهله . فإن صادف أهله فهو أهله وإن لم يصادف أهله فانت أهله » .

أزوع جملا ولو في غير موضعه . فلن يفتني جميل أبنا زوعا

إن الجميل وإن طال الزمان به . فليس يحصده إلا الذي زوعا

روى أن رجلا من بني إسرائيل كان يتناول الطعام مع زوجته وكان أمامهما دجاجتان

فطرق الباب مسكين فبهر الرجل ورده ردا غير جميل واستأمت زوجته لهذا التصرف السيء

زدارت الأيام دورها وافقر الرجل وطلق زوجته وتحرك الفلك ومضت الأيام وتزوجت تلك

المرأة بغيره . وفي ذات يوم كانت تتناول الطعام مع زوجها وكان أمامهما دجاجتان وطرق

الباب مسكين فأمرها أن تعطيه إحدى الدجاجتين ففعلت ولكنها عادت باكيا فسألها أتبيكين

من أجل دجاجة تصدقنا بها ؟ قالت له لا . قال : فما يبكيك إذن ؟ قالت له : أتدري

من السائل ؟ أنه زوجي الأول !! قال لها : أتدريين من أنا ؟ أنا السائل الأول !!

« وتلك الأيام نداؤها بين الناس » . (يا ابن آدم أنفق أنفق عليك) . (الأغنياء

كلان والفقراء عيال . فإذا بخل وكلان على عيالي أخذتهم ولا أبالي) . ومن أراد الله

فليتمسه في الفقراء والأكباد الجامعة أول بالصدقات من بيت الله الحرام .

لا يمن الفقير عليك أن تركع يوما والله قبله رفعه

قال حكيم :

إذا جاءت الدنيا عليك فجديها . على الناس واعلم أنها تحلب

فلا الجود يلبسها إذا هي أقلت . ولا البخل يلبسها إذا هي تذهب

وقال آخر :

هي الأيام لا تبقى عزيزا . وساعات السرور بها قليلة

إذا نشر الضياء عليك نجم . وأشرق لأرتقب يوما أقوله

بحمد الله تعالى ويتوفى منه جل شأنه اجتزت الامتحان وكان ترتيبى فيه الأول .

وكانوا يصرفون للأول مكافأة سنوية قدرها خمسة جنيهات ، وكنا نلاق الأقران في صرفها

والنسيب فيها ، وكان الموظف البائس إذا صرفها لا يدر أن يحيطها بكلمات مسمومة مثل :

لماذا لم يكن على أماننا مثل هذه المكافآت ؟ وماذا يذلم من المتاعب حتى تستحقونها ؟ وكنا

نلتصص له الأعذار فكلنا في أهم شرق . إنه الآخر قد عصفه الدهر بتابه وأناخ عليه بكلكله ،

حتى صار بمن يجوز عليهم الصدقة ، بل وحلّول بها من قوم احترقوا المسألة . أما هذا وضرباؤه فمن يقول الله تعالى في شأهم : ﴿ فيهم المجهول الغيباء من الصفف . تعرفهم بسماهم لا يسألون الناس إخالاً . وما تفقوا من بحر فإن الله به عليم ﴾ . . .

وجاءت السنة الثالثة

تجعت أما وصديقي والله مزيد الحمد والمدة . وقد كان حاضرا لاجا لي . وتفايل بأهله ثم أفاقته لي . وليس لمة أدل شك في أن الصاحب الطيب والخار الطيب والمرافق الطيب من بجمع الكبري التي يجمع الله بها على عاده . قال ﴿ لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي ﴾ وقال : « غير الأصحاب من إذا ذكرت الله أعانك وإذا نسيت ذكرك . وشر الأصحاب من إذا ذكرت الله لا يهينك وإذا نسيت لا يذكرك » . لذلك أوصانا مولانا تبارك اسمه بالإحسان إلى هؤلاء قال تعالى : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والخارجى والفقراء والمحب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان غافلا فخورا ﴾ .

كان الإمام الغزالي رضي الله عنه يقول : إذا انتهى على الرجل حيراته في الحضر ومرافقه في السفر ومعاملوه في الأسواق فلا تشكروا في دينه . ومن سعادة المؤمن الزوجة الطيبة والجار الطيب والدار الوسيمة والذابة الشريفة .. نعم :

عن المرو لا تسأل وسل عن قرينه لكل - قرين بالمقارن يفتدى

في السنة الثالثة من القسم الثانوي حصل تحول في حياتي فقد أشار عليّ أحد الأصدقاء وهو الأخ عبدالعزيز ندا ، وكان شابا مستقيم الحلال ، هادئ الضام ، أشار عليّ أنه يلحق بوجاهة بالجمعية الشرعية ليقوم بخطبة الجمعة في مساجدها ووجدت هذه الفكرة صدى في نفسي وسألت : هل لذلك من شروط ؟ وكانت الإجابة من أحد العاملين بها أن الشروط سهلة منها : حفظ القرآن الكريم وبعض الأحاديث النبوية والفترة على الخطابة . واضطجعت الأخ عبدالعزيز بعد ما كتب كل ما خبب الالتحاق . ولما بين مقر الجمعية الرئيسية في المغربتين . ذهبا وكانت السماء تمطر . وعند نزول الغيث يستحب الدعاء . قال جل شأه : ﴿ وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قطوا ويهبط رحته وهو الولى الحميد ﴾ كما يستحب الدعاء بعد إقامة الصلاة وروية الكلمة - شربله الله - وعد الشمام الحضور

أى : وقت الغزال في نبيل الله .. ولقد طلبت الالتحاق وحدد لنا موعدا للاختبار وذهبت لأداء الاختبار وكانت اللجنة مكونة من عضوين من علماء الجمعية وهما العالمان الجليلان : فضيلة الشيخ علي حسن حلوة وفضيلة الشيخ أحمد عيسى عاشور . وسألت الشيخ : هل سبق لك أن حضرت الجمعة ؟ قلت : نعم في مساجد بلدتي . قال : كم كان منك يومها ؟ قلت : سنة عشر عاما . قال : تصور نفسك على المنبر وقد اجتمع المسلمون لصلاة الجمعة وقمت فيهم خطيبا . فمادا عساك أن تقول ؟ فحمدت الله وأثبتت عليه ، وضقت بالشهادتين ، فاطلقت في الحديث وقد فتح الله عليّ معاليق الشاني وكان موضوع الخطبة ال مارلت معترأ بها : دعوة المسلمين إلى وحدة الصف والمهدف والأخوة في الله . انطلاقا من قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾ أما عن الأخوة في الله فكانت انطلاقا من قوله جل شأه :

﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض . يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيوجهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾ .

وانطلاقا من قوله صل الله عليه وسلم : « مثل المؤمن في توادهم وتراحيمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا شغكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالغص والسهر » . وقوله ﴿ المؤمن للمؤمن كالبنيان بفلسل إحداها بالأخرى » .

في مساجد الجمعة الشرعية

مازلت أذكر وأنا ألقى خطبة الاعتبار أمام العالمين الجليلين ، مازلت أذكرهما وهما يكيان بلقب مقم بالخشوع والخشية أثناء سماعهما للخطبة بما جعل الشيخ علي حلوة مقم الجمعة بأحد يدي إلى السكرته ويقول له : اعطه أكبر المساجد ليقوم فيه بخطبة الجمعة . وكان مطمئا . وكانت هذه الكلمة فاتحة سيره . فقد ظلت ثمان سنوات أتفل فيها من مسجد إلى مسجد ومن حي إلى حي داخل القاهرة وخارجها من المحافظات . ولقد كان عمل تلك المساجد بمثابة تحصيل . فقد عاشرت الناس وعبرتهم وشاركتهم أفراحهم وأتراحهم . وزرتهم في بيوتهم وزاروا في بيوتهم . وكانت أعظم ثمرة من ثمر العمل بالمساجد - وما أكثرها - الأخوة في الله ، فقد التفت حولي مجموعة من الشباب المسلم آمنوا بالله ربنا وبالإسلام ديننا وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا . كانت هذه المرفة من أسمى أنواع المعارف لأنها في الله ولي أشرف الأماكن ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغف والأصايل رجال لا تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون

يوما تغلب فيه القلوب والأبصار . ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله .
والله يوزق من يشاء بغير حساب . .

إن رسالة المسجد هي الإسلام كله فيوم يصير المجتمع منسجدا والمسجد مجتمعا لحل فيه المشاكل في ظل الكتاب والسنة يومها منخرج على الدنيا كالبحر الطهور الذي تنساب أمواجه تغسل وجه الأرض من أرجاسها وأنجاسها وأذناسها يومها سنقول بلاء الأفواه : سنطب المريض بدوائنا ، وسنؤمن الخائف في رحابنا ، وسنتلو على الدنيا كتاب جهادنا . صنت أذن الدنيا إن لم تسبح لنا . لقد كانوا قديما يفخرون بأن فلانا مسجدي إن تلقى علومه في المسجد ، كما يفخر الناس في عصرنا هذا بأن فلانا جامعي ، ذلك لأن المساجد كانت خلقات دراسية لا تقطع دروس العلم منها من صلاة الفجر إلى صلاة العشاء . وقد ورد أن النبي ﷺ دخل المسجد ذات يوم فوجد به حلقين : وجد به قوما يذكرون الله وآخرين يقرءون العلم ويتدارسون كتاب الله فيما بينهم فجلس النبي ﷺ مع الذين يدرسون العلم فسألوه : أيما خير يا رسول الله ؟ فقال : هذا خير وهذا خير ولكني بعثت معلما . نعم

العلم كالغيث والأخلاق تربته
يلبس أعلم أهل الأرض قاطبة والناس تلصق به البدو والحضر

إن المساجد منازل السكينة ومهابط الرحمة يعمرها المؤمنون الخاشعون الذين هم على صلواتهم يحافظون . انظر جلال المجتمع وتأمل أثرها في المجتمع . وكيف ساوت العلية بالزعم . وفي المساجد يتعارف الناس ، ويتعارف ويتبادلون الزوار في الله ، طوبى لهم ، أولئك مصابيح الهدى تنجلي عنهم كل فتنه ظلماء والناس في مساجدهم والله في حوائجهم ، تقضى حوائجهم لأنهم تأخروا في ذات الله وفي أطهر الأماكن وأقدس الرحاب .

﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله . فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ وقال ﷺ : « إذا رأيتم الرجل يعتاد للمسجد فاشهدوا له بالإيمان » وقال : « بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة » .

﴿ يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يحزى الله النبي والذين آمنوا معه . نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم . يقولون ربنا أقم لنا نورنا . واغفر لنا إنك على كل شيء قدير ﴾

قال ﷺ : « المسجد بيت كل تقى » وقال : « إن للمساجد أوتادا جلساؤهم الملائكة » .

إخوان كرام

إن أخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك
ومن إذا ريب الزمان صدعك شئت فبك شمله ليجمعك

إن من أعظم النعم التي ينعم الله بها على عبده أن يرزقه إخوانا أصفياء القلوب : أنقياء السريرة . أنقياء الأخلة . وهل الإيمان إلا الحب في الله والبغض في الله والشدائد مقياس الصداقة

جزى الله الشدائد كل خير عرفت بها عدوى من صدقي

وهل قال رسول الله ﷺ : « أبو بكر كالغيث أينما وقع نفع » إلا لوفاء أبي بكر لله ولرسوله . لقد جاء بماله كله مما حمل المصطفى ﷺ يسأله : ماذا تركت لأولادكم من بعدك يا أبا بكر ؟ على الفور ومن غير إعمال فكر أحاب أبو بكر بلسان اليقين وسطق الحق البين : « تركت لهم الله ورسوله » فكان حرياً أن ينزل الأمين جبريل على رسول الله ويقول له : « السلام بقرك السلام ويقول : أفرىء أبا بكر من ربه السلام وقل له : ربك راض عك . فهل أنت راض عن الله ؟ قال أبو بكر يا رسول الله كيف لا أرضى عن الله وأنا أنقى رضاء ؟! »

وخديجة : ما خديجة ؟ وما أدراك ما هي ؟ حظها من الوفاء حظها ومكانتها من قلب الرسول مكانتها . كانت تأسو بخاتها جراحه وتريش بمعطفها جناحه . فكانت جدرة أن يقرنها الله السلام من فوق سبع سموات . لقد جاب سفير الأنبياء السماء وطوى بأجنحته السبع الطباق وحبط على الصادق المعصوم وقال له : « أفرىء خديجة من ربه السلام » .. فهما اثنان سلم الله عليهما من فوق سبع سموات : نزل كبير أمناء وحى السماء بهذا السلام من رب العزة إلى أمين الأرض والسماء محمد خاتم الأنبياء . إذا ذكر الوفاء فهو خديجة . وإذا ذكرت هي فهي الوفاء . أليست هي التي قالت للصادق المعصوم : « والله لا يخزبك الله أبدا . إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث تحمل الكيل وتكسب المعلوم . وتقرى الضيف وتعين على نوائب الدهر ؟! »

لقد عرفت في المساجد رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فكانوا معي أوفياء ، ولقد شمرت نفسي بدفء الأخوة وامتلأ قلبي بصفاء المودة ، فلقد كنت في مسبب الحاجة إلى من

بأخذ يدي ويقرأ لي ويملأ علي فراغي . فالنفس كالزوجة إن لم يملأها شيء ملأها الهواء ، ونفسك إن لم تشغلها بالحق شغلك بالباطل والوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك :

دقات قلب المرء قائمة له إن الحياة دقائق ودقائق وثوانى
فارفع لنفسك بعد موتك ذكراها فالذكر للإنسان عمر ثالى
واصبر على نعم الحياة وبؤسها نعمى الحياة وبؤسها بيان

كان نظام الخطاية في مساجد الجمعية الشرعية يقتضى الشغل في كل أسبوع إلى مسجد مختلف مما أدى إلى كثرة التعرف على الإخوة . وكان في ذلك خير كثير . قال تعالى : ﴿ لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ . لقد كنت قبل الالتحاق بالجمعية الشرعية أشكر ألم الفراغ . وقد قال رحمه الله : « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ » . فالفراغ نعمة إذا كان في طاعة الله وابتغاء مرضاته وكذلك الصحة إذا استعملت فيما يرضى الله ورسوله . وقد يُغن المرء ويضيع أجره عندما يصير فراغه هوا ولعبا ، وتصير صحته اعتداء على الضمائم . وقد صدق الإمام علي - رضي الله عنه - إذ يقول : « إذا غرتك فورتك على ظم الناس فانظر إلى قدرة العزيز الجبار من فرقك » . وجميل ما قاله الشاعر :

لا تظلمن إذا ما كنت مقننرا فالظلم ترجع عقابه إلى الندم
تام عينك والمظلوم صعب يدعو عليك وعين الله لم تم

إن أغنى شيء في هذه الحمة الأخوة في الله . وهل الإيمان إلا أحب في الله والبغض في الله . قال الصادق المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه : « ومن أحب الله وأبغض الله وأعطف الله ومنع الله فقد استكمل الإيمان » وكل صداقة في الدنيا تقوم على معصية الله عداوة يوم القيامة . وكل أخوة تقوم على الحب في الله وابتغاء مرضته أخوة كريمة يوم القيامة . قال تعالى : ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴾ نعم إنهم على منابر من نور . إنهم ليسوا أقبياء ولا شهداء لكنهم ينضمون الأنبياء والشهداء مكانهم من الله تعالى . فوالله إنهم لعل نور ويت وجوههم لنور . لا يخافون يوم يخاف الناس ولا يحزنون يوم يحزن الناس ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم الميراث في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبدل لكلمات الله ، ذلك هو الفوز العظيم ﴾ .

دعوة مستجابة

ما يحرمني الله بفقد البصر عوضاً عنه كثيراً من حمة نبي لا تعد ولا تحصى فلقد دعوت الله في ساعة صفاء مع نفسي وصدق مع القلب فت : اللهم إن كنت استرجعت

منى موهبة البصر فاجعل أفئدة من الناس تهوى إلي ، فكان فضل الله عظيماً . فقد جعل أفئدة صالحة تهوى إلي ، تملأ علي فراغي وتشاركني شدائد الأهم إذا صدمت ، وتداوى الجراح إذا انتهت . وحق ، ما قاله النبي ﷺ : « فلينظر أحدكم من يخال » :

تلبث العطة الصيفة عملاً ودرسا وتحصيلاً . وإنني لا أنسى إحدى العطات الصيفية التي قضيتها عاكفا على قراءة التفسير في كتاب التفسير الواضح للمرحوم الشيخ حجازي . فقد كنت أقضي الليل كله حتى أصل الفجر في قراءة هذا الكتاب الذي امتاز بسير ونصوص ولبعد عن الغرائب ، فإن مما ينقص الدعاة إلى الله أنهم لا يقرءون تفسير القرآن كله ، مما يؤدي بهم إلى عدم الإلمام بمواطن الاستشهاد ومواقع الأدلة . أذكر أن طالب الذي كان يقرأ معي التفسير سأل مدرس الذين في المدرسة الثانوية عن معنى قوله تعالى : ﴿ وإذا النون إذ ذهب مغاضياً فظن أن لن نقدر عليه : فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ﴾ . قال الطالب لأستاذة : كيف يعنى رسول من رسل الله أن الله لن يقدر عليه ؟! أليس هذا اتهاماً بالعجز جل الله عن ذلك وتعالى عو كبير ؟! قال الأستاذ في الإجابة : ومن قال لك إن يونس كان رسولاً ؟! وعلى الفور قد غضب لأن الله تعالى قال : ﴿ وإن يونس لمن المرسلين ﴾ فسقط في يديه ولم يجبر لأستاذ جواب ، فقال للطالب : هل صنعت أحد على ؟ وانتهت المسألة ؟! إن المسألة نسي بعدها في ذكره أنه لا يعطى القدر الكبير من التفسير للطلبة ، فقد كما تدرس نماذج من الآيات قد لا تتجاوز العشرين آية في السنة الدراسية . ومازلت أذكر أن أحد الشيوخ في كلية أصول الدين كان مقرراً عليه أن يفسر لنا سورة المائدة ، فما فسر منها سوى آيتين من أواخرها ، وعندما بدأ في تفسير الآية الثالثة - وهي قوله تعالى : ﴿ حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكركم ، وما ذبح على النصب ، وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق ﴾ إلى آخر الآية ، ظل يتكلم عن الميتة حتى أوشك العام الدراسي أن ينصرم ، حتى قال له أحد النصة مدعياً : يا سيدي الشيخ أرجو أن تنقل من تفسير الميتة إلى غيرها بسرعة ، قال الشيخ : وما يأتي ؟ قال الطالب : لأننا لو ظللنا أكثر من ذلك في تفسير الميتة لأكل الناس لحسنه وثوقه وشدة الطيعة لأنهم لم يعرفوها ولم يتركوا معناها . أما الجميع فإنه يعرف الميتة . فلبست في حاجة إلى مزيد بيان !!

إن قوة تعالى : ﴿ وإذا النون إذ ذهب مغاضياً فظن أن لن نقدر عليه ﴾ سأل فيها أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان الإمام الجليل عبيد الله بن عباس عليهم جميعاً رضوان الله فقال : يا عباس كبت أقرأ كتب الله فغشيت موجة في بحر القرآن كادت تغرقني ، قال بن عباس : وما نمث يا أمير المؤمنين ؟ قال : قوله تعالى : ﴿ وإذا النون إذ ذهب مغاضياً فظن أن لن نقدر عليه ﴾ .

قال ابن عباس : هي من القدر ، يفتح القاف ومكان الدال ، أى فظن أن لن نصيق عليه فلما ترك قومه مغاضبا كان جزاؤه أن النعم الحوت وهو مكان ضيق ، فلولا أنه كان من المسبحين لبث في بطنه إلى يوم يبعثون . من ثم كان نزما على الذين يضمنون المناهج للأزهر أن يراعوا في المقام الأول العناية البالغة بتفسير القرآن الكريم حتى يستطيع الدعاة أن يجدوا زاداً طيباً ورصيلاً مباركاً فالخير كله في كتاب الله حفظاً وتفسيراً .

أمنية تحققت !!

كنت أتمنى من الله أن يبرئ عني بالنجاح نسبة مئة بالمائة فقد علمنا رسول الله ﷺ أن نسأل الله الفردوس الأعلى وأن الله يحب عبده الملاح . وتحققت تلك الأمنية في السنة الثالثة الثانوية فقد حصلت فيها بفعل من الله على تلك السنة وانتقلت إلى السنة الرابعة .

وقد عودنا مولانا سبحانه وتعالى أن يهبنا النعم فشكر ثم يختبرنا بالحن لنصير . وفي السنة الرابعة أصيبت بمرض أدى إلى هزال شديد في جسمي كاد يهزم العافية في بدني ، ووصف لي الطبيب الدواء ولكن لم أكن أملك يومها ثمنه ، والدهر مدرسة أستاذيها الأيام والليالي . كان لي صديق يحرص على حضور حلقات العلم . أعلم أنه ميسور الحال ، سأته أن يقرضني جنبها ، على أن أقدم بسداده أول الشهر ، ولكنه بكل صراحة اعتذر ، وكان اعتذاره بمثابة سهم صوب إلى نفسي . وانصرفت كسف اليال . وإذا لي أسمع من ينادي علي . إنه أحد الذين يترددون على مجالس العلم بالمسجد : إنه الأخ عبدالقادر بائع الخضروات ، لقد ألقى علي السلام وصافحني وسألني عن الفور : مالي أراك هكذا ؟ وكأنه قرأ ما بنفسى من أسمى وأجبت عما أريته ، ودوماً أعمال فكر أخرج حافظه نقوده وأقسم لأجلد ما يكفيني . كان ذلك الموقف على بساطته ذا دلالة ، فكم من صاحب بلفاك عتافاً ويقسم أنه لا يطيق لك فرساً ، لكن حقيقته خلاف ذلك ، فقد يكون ملكاً كريماً في مظهره ، شيطاناً رجيماً في مخبره ، بلفاك بوجه أى بكر وقلب أى لب .

ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصم ، وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد .

وما أجل ما قاله الإمام شافعي :

إذا المرء لا يلفاك إلا تكلفاً فدعه ولا تكثر عليه التأسفاً
ففى الناس أبدال وفي الترك راحة وفي القلب صبر للحيب ولو جفا
فما كل من نبواه يواك قلبه ولا كل من صافته لك قد صفا

إذا لم يكن صفو الوداد طيبة فلا خير في ود يحى تكلفاً
ولا خير في خل يكون خلية ويلقاه من بعد المودة بالجفا
ويتكر عيشاً قد تقادم عهده ويظهر سرا كان بالأمن في خفا
سلام على الدنيا إذا لم يكن بها صديق وفى يصدق الوعد منصفاً

عام حاسم

أقبل العام الدراسي الجديد ، وانتقلت إلى السنة الخامسة من القسم الثانوى بالأزهر ، وهو يمثل إتمام الدراسة الثانوية واستقبلته بقلب مفتوح ، وعقل يطلب المزيد من العلم ، ودعوت الله قائلاً ل أول العام : رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري ولقد تلقينا العلم في هذا العام على أيدي أساتذة من أساطين الفكر والعرفه ، كانوا جهابذة العلوم ، وعبارقة المعارف . وما زلت أذكر منهم الشيخ مصطفى الحديدي ، الذى كان يدرس لنا علم تفسير القرآن العظيم . الذى بدأ العام بتفسير قوله تعالى : ﴿ تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شيء قدير ﴾ وبدأ يطرح بعض الأسئلة التى كان لي نصيب كبير في الإجابة عنها مما جعله يسألني عن اسمي ، وبما أدى بعد ذلك إلى أن أقوم بإعادة الدرس بعد أن يلقى . وكان بعد إنتاى للدرس يثنى علي ثناء الجميل الذى كان ينزل على قلبي كأنه هالات النور أو كنوز ندر المشور ، وما زلت أذكر أستاذنا الفاضل كامل شاهين رحمه الله تعالى ، والذى كان يدرس لنا البلاغة والأدب ، ولقد تعرفت عليه عندما ألقى علينا درساً في علم المعاني . وفي باب الفصل والوصل ، وعندما طلب منا أن نقوم بأحدنا فيلخص الدرس فأجمع الإخوة على أن أقوم أنا ، وكانت مفاجأة للأستاذ أن ينعقد هذا الإجماع على طالب ، ولكن زال العجب عندما ألفت الدرس بتوفيق من الله مما جعله يسند إلى أبوابها في علم المعاني كنت ألقها على الطلبة قبل أن يشرحها الأستاذ ، وكنت بعد إلقائها أترك له مقعد الأستاذية الذى كان يأخذ إلا أن أجلس فيه ، تواضعا منه . وقد كان يجلسني بهذا التواضع عندما يقول للطلبة مداعياً : أظنكم لستم في حاجة إلى شرحي . وقد كانوا يجمعون على أنهم قد فهموا الدرس فهما جيداً . ولن أنسى فضيلة الشيخ محمد يوسف الذى كان يدرس لنا النحو والصرف ، دراسة جعلتني أعشق علوم العربية وأعتر بها . فارحم اللهم مشايخنا ووالدينا وأمواتنا وأموات المسلمين أجمعين ، فقد أناروا لنا الطريق ، وسلكوا بنا مسالك اشرفة حتى صاروا جديرين بقوله ﷺ العلماء ورثة الأنبياء . . . ويقول الكرم : ﴿ تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة وتواضعوا لمن تعلمون منه ﴾ .

قال الإمام الشافعي :

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يهدي لعمى

قال عليه السلام : يؤق بالعالم والعابد يوم القيامة فيقال للعابد ادخل الجنة ، ويقال للعالم كف حتى تشفع فيمن أحسنت أديهم . وقال الصادق المصوم : يشفع للناس ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء .

شدة أعقبا تيسير !!

لما أوشك العام الدراسي أن ينصرم ، وكنت مضطرا أن أبحث عن مذاكرة معي في القاهرة ، وذلك لإلتزامي بأداء خطبة الجمعة في مساجد القاهرة ، جاءني طالب يسكن قريبا من مسكني وسألني هل أرتبط مع أحد للمذاكرة ؟ قلت له : لا . قال : هل لديك مانع أن تذاكر معافضن متجاورين في المسكن . قلت له : لا مانع . فقلنا وأنا متخوف لأنني قد وضعت تحت التجربة يوما فلم يكن على مستوى المستوية ، فقد قتل لشقيقتي ذات يوم سأسحب الشيخ ذهابا ومجيئا هذا اليوم ، فإن كان وراءك شيء فاقضه وصحبنى في الذهاب إلى المعهد ، ولكنه في العودة تركني حتى انصرف الطلاب وظلت واقفا وحدي لا أتحرك خشية أن أصدم بشيء ومررت طويلا وأنا واقف أمام باب المعهد ، وقد أمطرت السماء مطرا غزيرا . وسألت نفسي : أين المقر ؟ وسأقي الله إلى أستاذنا كريما كان يدرس لنا و علم العقائد ، وسألني برفق : ما أوقفك حتى الآن ؟ وأخبرته أن مرافقي لم يحضر ، وسألني عن مسكني ، وأصر على أن يصحبنى حتى البيت ، جزاء الله غيرا فإن من مشى في قضاء حاجة أخيه فكأنما اعتكف في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنوات ، واعتكاف يوم واحد في مسجد الكرم يباعد الله به عن النار ثلاثة خنادق ، كل خندق أبعد عما بين السماء والأرض . هكذا كانت أخلاق علمائنا : أخذوا العلم مقرونا بالعمل فكانوا علماء عاملين ، وكانوا عابدين زاهدين ، وكانوا أوفياء مخلصين ، درسوا لنا العلم على أنه رسالة ، فأدوا هذه الرسالة بعينا عن قيود الوظيفة ، فكان خالصا لله . وقد تخلقوا بأخلاق الأنبياء عندما أعطوا الكثير ابتغاء ما عند الله من الخير الوفير . لقد صانوا العلم فصانهم الله ، وأعزوه فأعزهم الله ، وعملوا به فرفهم الله .

لما عرض علي ذلك الطالب أن يلزمني في المذاكرة ، تذكرت موقعه هذا عندما وعدني بالحضور فأخلف ، ولم يكن له عذر في ذلك إلاخلاف فقد أخبرني بعض من يعرفه بأنه كان جالسا على مقهى يلعب الترد وإن كان هو قد كذب علي عندما قدم حجة واهية بأنه كان يشتري بعض الحاجات من الثوبية . لكن ماذا أفعل وأنا كما يقول القائل :

إذا لم تكن إلا الأمانة مركبا فلا يسع المضطر إلا ركوبها

وكما يقول انتهى :

ومن فكك الدنيا على الحر أن يرى عدوا له ما من صدائه بد

اتفقت أنا وهو على أن تذاكر يوما بمسكننا في دير الملاك ويوما في مسكنه بمنشية الصدر . وبدأنا تنفيذ الجدول الذي رسمناه ، فقال لي : إن لدى فكرة سأطرحها عليك . قلت غيرا إن شاء الله . قال : تقسم المواد قسمين : نبدأ القسم الأول بمذاكرة المواد التي تحتاج إلى شرح مثل : التفسير والتوحيد والنحو والصرف والبلاغة . أما المواد التي تحتاج إلى قراءة مؤخرها إلى حين الفراغ من تلك المواد ، وكان يقصد هذه المواد الأخرى : الحديث والفقه والأدب والتاريخ وفهمت من عرضه هذا أن نبدأ بالمواد التي يحتاج فيها إلى شرح على أن يذكر بعد ذلك المواد التي تحتاج إلى قراءته وحده وهذه المواد أحتاج إليها من حيث القراءة . لكنني غلبت حسن الظن بعد ما دعوت الله قائلا : اللهم أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك . وبدأنا في مذاكرة المواد التي تحتاج إلى شرح . وفي الليلة التي فرغنا فيها من مذاكرتها وبينما هو يصحبنى من بيته إلى بيتي ، وعندما اقتربا من البيت وبعد أن انقضى على مذاكرتنا شهر كامل ولم يبق على الامتحان سوى عشرين يوما . فاجأني بقوله : « أحب أن أقول لك : أود أن أذاكر وحدي » . وحدث ما كنت أتوقعه ، لكن الذي زاد الجراح ألما أنني لما سألته : ولماذا قررت أن تذاكر وحدا أجاب بكل افتراء : لأنني لم أستفد من مذاكرتنا معا !! قلت وأنا المنهبط المحق : وكيف طوعت لك نفسك أن تضع شهرا والامتحان على الأبواب ؟ وكيف تقول هذا أو تدعيه وأنا الذي كلما ذاكرا درسنا سألتك فيه ، فأتى إجابتك سيئة وصحيحة ؟ فلم يجر جوابا . وعلمت أنه لا جدوى في الكلام . فقلت : حسبي الله ونعم الوكيل !! والحق أنني لم أكن نادما على ما حدث على الرغم أنني بذلت معه أقصى طاقتي في شرح المواد وكيف أندم على خير فعلته ؟ والصادق المصوم يقول : « اصنع المعروف في أهله وفي غير أهله فإن صادف أهله فهو أهله وإن لم يصادف أهله فأنت أهله » .

ازرع جيلا ولو في غير موضعه فلن يضيع جميل أبنا زرع
إن الجميل وإن طال الزمان به فليس بمحصد إلا الذي زرع

أشهد أنني دخلت البيت حزينا أغلو ، وأروح كالطير يمشي من الأم وهو مذبح ومضت هذه الليلة ثقيلة وثيدة ، لولا ما كان يكت بها من دعوات توجه بها إلى الله أستغث به في كشف الضر ، فهو الذي وحده يغير المضطر إذا دعاه ويكشف السوء . وطلع النهار فجلست في فكر وحزن وسألتني أمي : ما يحزنك ؟ وأخبرتها بما حدث ، فقالت لي بلسان اليقين ومنطق الحق المبين : لا تحزن فإن الله سيزيل هذا الكرب ، ودعت لي بدعوات صادقت ساعة الإجابة ، وما هي إلا لحظات وطرق الباب طارق . وقلت : من ؟ قال أنا عبد الله ، وكأني عرفت على حد الذي كنت أنشده . إن عبد الله هذا كان زميلا لي وجلسنا سويا في لحظة ضمت قطعة بسؤال : هل أنت مرتبط بأحد في المذاكرة ؟ قلت لا . قال : فهل لديك من مانع من مذاكرتنا معا ؟ قلت : لا . قال : على بركة الله . وقطعت الأيام العشر نصل الليل بالنهار حتى أدبنا ما علينا والله لا يضيع أجر من أحسن عملا . وهكذا مرت الشدة عندما جاء التيسير :

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرج

في يوم الامتحان

في صبيحة هذا اليوم صبحني شقيقى عبدالستار في لجنة الامتحان بالمعهد ، وكان الامتحان شتويا للمكفوفين ، وكانت اللجنة مكونة من أعضاء ليسوا من العاملين بالمعهد الفاهرة إنما جاءوا من معاهد أخرى لأنها شهادة ، وبدأنا الامتحان بالتفسير فكانت فاعمة خير ، فقد أعجب الشيوخ بإجابتي في تفسير كتاب الله حتى قام أحدهم يدعو أعضاء اللجان الأخرى ويقول لهم : تعالوا لتسمعوا العلم من متابعه الصافية ، كنت ساعها قد أفاض الله علي في آياته من سورة الملك .

واتقنا من التفسير إلى غيره من أفراد وبيننا نحن في هذا الصفاء العلمي ، وذلك السمو الروحي ، وقد جو التسم بدفء اليقين ، بينا نحن كذلك . إذ دخل علينا شيخ المعهد ، وأراد أن يلقى كلمة يمزج بها مع اللجنة لكنها بالأسف كانت فظافة في القول ، فقد جرحني في أمر لا يمس فيه . إذ قال : ماذا فعل هذا الأعشى معكم ؟ وعلى الفور رأيتني كالطير الجريح بل الذبيح ، فإن هذه الكلمة لا أطيق سماعها وقد أمرنا الله تعالى أن نتأدب مع خلقه خاصة فيما خلق الله ، على سبيل الفور قلت له : وهل أنت الذي أبصرت نفسك ، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور . وحضرتني في ذلك قول ابن عباس رضي الله عنه . وقد كف بصره :

إن أذهب الله من عيني نورها - ففي لؤاذى وعقل منها نور
عقل ذكي وقلي ما حوى دخلا - ول لى صام كالسيف مشهور

نعم إن الإنسان لا يقاس بالبصر ولا بسلامة العين ، ولا فقد خلق الله الحمار أوسع المخلوقات عينا . لقد كان سعد بن أبي وقاص رجلا مجاب الدعوة ولكنه لما فقد بصره على كبر . قال له أبناؤه : سل الله أن يرد عليك بصرك فأنت مجاب الدعوة . فقال بلسان اليقين ومنطق الحق المبين : استحي من الله أن أسأله ذلك ولكني أسأله أن يدخر لي ذلك عنده في الآخرة . إن الله تعالى إذا ابتلي عبده بفقده حبيته أي عينيه ، فصبر لم يجد له جزاء إلا الجنة .

يعمل الأعداء والعيب فيهم وليس يعيب أن يقال ضريب
إذا أبصر المرء المروءة والوفاء فإن عسى العينين ليس يضرب
رأيت العمى أجرا وذخرا وعصمة وإلى تلك الثلاث فقير

وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم . وقد يكون الخير كامنا في الشر . لقد سألتني أحد أعضاء اللجنة : ماذا استأت من هذه الكلمة ؟ وسألتني سؤالا عقب به على هذه الكلمة فقال : أعجب أن تكون مبصر العينين عاصيا لله ؟ أم مكفوف البصر طائعا لله ؟ وأجبت عن هذا السؤال إجابة ضافية وافية نابعة من يقين صادق وعقيدة راسخة قلت : إن قضاء الله لا يقابل بغير التسليم وليس له عدة سوى الصبر الجميل وإن طاعة الله لا بعد لها شيء في الأرض ولا في السماء ، فالمر كل العز في طاعته والذل كل الذل في معصيته . واستشهدت بقوله جل شأنه : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يكسبهم ربهم بإيمانهم ﴾ ولم يقل تعالى : يهديهم بأبصارهم ، بل إن هناك قوما قال الله تعالى في شأنهم ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون ﴾ .

وذكرت في ذلك المقام قول رسول الله ﷺ : اتقوا الحارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وذكرنا أيضا قول الحسن البصري رضي الله عنه وقد سئل أي الأيام عندك عيد ؟ فقال : كل يوم إلا أعصى الله فيه فهو عيد .

إذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى تقلب غريانا ولو كان كاسيا
وخير لباس المرء طاعة ربه ولا خير ليمن كان لله عاصيا

قال عضو اللجنة تعقيا على هذا الكلام ، اكتفينا بهذا السؤال في علم التوحيد . وتسللت الأسئلة بعد ذلك في بقية العلوم وتبعها الأجوبة ، وتحوط كلمة شيخ المعهد من

بلع أجاج إلى علب فرات مسيل. ومن لمونة ملحة إلى شراب حلو لذيق وفرغت من الامتحان ، وكانت ساعة طية يوم أخيرى أعنى بظهور النتيجة ، وقد أكرمتى ربي عندما من على يتفوق فكان ترشيى الأول على طلبة الشهادة الثانوية ، حيث حصلت على نسبة مئوية تقدر بتسعة وتسعين .

في كلية أصول الدين

استخرت الله تعالى وقدمت أوراق في كلية أصول الدين ، فقد اقتنعت بها ، إذ أنها تحوى على زاد عظيم لكل داعية إلى الله فقد اشتملت على التفسير والحديث والعقيدة والفلسفة وعلم النفس والتاريخ واللغة العربية وإحدى اللغات الأجنبية .

وأقنعت الدراسة وأقبلت عليها بقبول حسن ونفسى راضية ، لكن كان يكدر على هذا الصفو ذلك الشيخ الريب الذى عانيت منه من قبل ، وهو البحث عن صديق أقيم معه في الحى الذى به الكلية ، فإن الصديق محمد الصوىسى الذى كنت أقيم معه حتى انتهاء المرحلة الثانوية، قد التحق بكلية اللغة العربية ، وكان بين مكنتى بدير الملاك وكلية أصول الدين بالخارندار بشر مسافة بعيدة تستغرق منى ساعة ذهابا وساعة إيابا . فمن لى بهذا العمل المرير ، بالإضافة إلى مرافق يذاكر لى . لقد أخذنا نجد فى البحث عن هذا الصديق الذى سألتمه فى ذهابى وأيابى ومذاكرتى . وأذكر أننى رأيت وجوها كان لى بها سابق عهد فى معهد الإسكندرية ، منهم من قد سبقى بعامين ومنهم من سبقنى بعام ، ومنهم من صار معى . كما أذكر أن الكثير منهم كان لم يكن بينى وبينه مودة من قبل .

مهما يكن من أمر فقد عثرت على زميل بعد جهد جهيد ، واتفق مع شقيقى على أن نقيم سويا بغرفة بحى شبرا قرية من الكلية . وتنفسنا الصعداء ، وذهبتنا تنفقد حال الغرفة ومهما كان فيها من سوء فقد كان يشترك معنا ثلاث أسر فى ثلاث غرف أخرى ، بالإضافة إلى دورة المياه وما تعانته من ضغوط سخيفة . لكن كل هذا يهون أمام صعب أخرى ولا بد من دون لشهد من إبر النحل :

ومن تكن العلياء ثمة نفسه لكل الذى يلقاه فيها محب

لكن كانت المفاجأة من هذا الزميل مريرة مرارة تفوق الخنظل ، لقد افترشت الأرض بفراش يحول بينى وبين برودة بلاطها وذهب زميل فأحضر الغداء ، وعندما أرخى الليل سدوله ، قال لى الزميل : أريد أن اشترط عليك وتبين لك كيف تكون معاملتى لك . قلت له : فى ما تشاء سمع . قال : أولا : أن تشترى كتب على حسابك مقابل قراءتى لك . قلت له

موافق - وذلك على الرغم من ضيق ذات اليد - قائلا : لا ترتبط بوجودى منك فى الغرفة طول الوقت . فقد أخرج ولا أعود إلا منتصف الليل . قلت له : ثم ماذا ؟ وكانت ثالثة الأساقى أنه قال : ولا ترتبط لى فى الذهاب إلى الكلية . قلت : ما معنى هذا ؟ وأنا ما جئت معك إلا من أجل الذهاب إلى الكلية ؟ قال : إن شئت فاذهب وحدك أو استمعن بأحد غيرى . وذكرنى كلامه هذا وخاصة الشرط الثالث ذكرنى بطرفة :

قل القائد للجندى : لماذا لم تطلق النار على العدو عندما مر بك ؟ قال : معنى من ذلك واحد وعشرون سببا . قال : اذكرها قال : أما السبب الأول : فهو أننى لم يكن معى ذخيرة . قال له القائد : كفى . فماذا بعد ذلك من أسباب تذكر ؟ كفى بهذا السبب وهذا الزميل يكفى أنه قال لى : إن شئت فاذهب إلى الكلية وحدك أو استمعن بغيرى ... مكثت مع هذا الزميل من يوم الاثنين إلى يوم الخميس . مرت ساعات هذه الأيام وثيدة ثقيلة بطيئة ، كأنها سلسلة من الجبال الرواسخ . فقد نفذ مخططة فكان يتركى وحدى أعانى ألم الوحدة وعدم المذاكرة بالإضافة إلى شريط من ذكريات مضت . كان يخرج من بعد انتهاء اليوم التراسى فلا يعود إلا فى المربع الأخير من الليل وهكذا حتى كنت أسأل الله أن يحول بينى وبينه ولو كنت الدراسة فى هذه الكلية سترفعنى إلى ما فوق قبة الفلك ، وجانب شقيقى عبد الستار يوم الخميس ليصبحنى إلى مسكننا بدير الملاك حيث كنت أقضى ليلتى الجمعة ونسيت وذهب فى صبيحة يوم السبت إلى الكلية ، فكنيت أصل المغرب والعشاء يوم الخميس لى أحد مساجد الجمعة الشرعية حيث ألقى الدرس بعد المغرب ثم أعطى الجمعة ، ثم أذهب يوم السبت إلى الكلية : وسألنى أخى : كيف الحال مع هذا الزميل ؟ وأخبرته بأن الاستمرار معى ضرب من ضرر وبالحال : فكان لابد من البحث عن زميل آخر . لكننى أذكر أن هذه الأيام الأربعة التى قضيتها معه لقتنى درسا فى الحياة لا أنساه وأعطينى موضوعا لخطبة الجمعة أذكر تنى ما خطبت خطبة أشد تأثيرا من تلك الخطبة . كان موضوعها : « قد يكون الطلاق نعمة » فقد افترضت لو أن ما كان بينى وبينه عقد زواج مؤبد لا طلاق فيه . كيف سيكون الميش ؟ وإلى أى نهاية تنهى الحياة ؟ وبيت حكمة الله فى مشروعية الطلاق فى الإسلام وإن كان أبغض الحلال ، وبيت عظمة الله فى تشريع الأحكام ، وكيف قد سبحانه : « واذكروا نعمة الله عليكم » وكيف جاء هذا القول الكريم فى آية من آيات الطلاق قد الله فيها : « وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرازا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه . ولا تتخذوا آيات الله هزوا . واذكروا نعمة الله عليكم » .

نعم : ما من شيء شرعه الله إلا وله حكمة بالغة وإن تخفيت عن بعض الناس . إلا أنها كامنة في أحكام الله .

كم من نعمة لا يستغل بشكرها الله في طي المكاره كامنه

نعم :

لقد نعم الله بالبلوى وإن عظمت ويئل الله بعض الناس بالنعم

حقاً إن هذه الأيام الأربعة التي قضيتها مع هذا الزميل لفتتني درساً في الإسلام مفاده أن الله تعالى شرع الطلاق ليكون دواء لئلا يستعصى علاجاً ، واستعمال الدواء في غير الداء خطأ وترك الداء بلا دواء خطيئة . فما أعظم الإسلام إذا شخص الداء !! وما أروع إذا وصف الدواء !!

صديق آخر

ليس من السهل العثور على صديق صدوق ، فإذا رُزقتَه فقد اصطفاك مقسم الأرزاق . قبل الحكيم : أيهما أفضل لديك أخوك أم صديقك ؟ فقال : أخى إذا كان صديقى .

نعم : إن المعيار الحقيقي لصداقة الشدائد حتى قال أحدهم :

إن أخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك
ومن إذ ريب الزمان صدعك شئت إليك شمله ليجتمعك

وصديقك هو من يُصَدِّقُك لا من يُصَدِّقُكَ ، كما أن صديقك من يصرك بهيك . كان عمر رضى الله عنه يقول : « رحم الله امرأً هدى إلى عيبى » وكان عمر بن عبد العزيز يقول لصديق له اسمه عمر بن مهاجر : « يا عمر إذا رأيتنى ضللت الطريق فخذ بمجامع ثوبى وهزنى وقل لى : اتق الله يا عمر فإنك ستتموت » . ولئن تستقيم الحياة بدون صديق ، فقد قال علماء الاجتماع : الإنسان مدنى بطبعه .

سمع رسول الله ﷺ على من أتى ضاب يدعو الله ويقول : اللهم أغثنى عن خلقك فقال له : بل قل : اللهم أغثنى عن شرار خلقك . أتدري ما شرار الخلق ؟ قال : لا يا رسول الله . قال : الذين إذا أعطوا متراً وإذا منعوا سخطوا . تلك ملاح لشخصية الصديق ولقد رزقني الله بعد البحث الطويل بأخ كان زميلاً لى في المرحلة الثانوية وانفصلا على أن نقيم سوياً في مسكن كان قد استأجره فريد من الكنية . كان هـ لصديق ثرياً لذا كان يهيم كثيراً بمأكله ومبسه ولو أدى ذلك إلى مباح الوقت الذى كنت في مسبب الحاجة

إلى أن أقضيه في المذاكرة ، فكما مثلاً نخرج من الكلية في الواحدة والنصف بعد الظهر فيضيق منا نصف ساعة لم شراء طعام الغداء ، ثم يبدأ في طهي الطعام فينتهى منه بعد العصر ثم نخرج من تدوير الطعام وقد أوشك المغرب في يوم الشتاء أن يؤذن ، فماذا بعد الأكل الذى يمتاز بالندسة إلا أن يغزو اليوم الجفون .

وصت الحال على هذا الخيال : أكل فوم فيقطة لتناول أكوأبا من ششاي ثم نفتح لكتب نذكر فيستأذن صاحبنا لقضاء بعض حوائجه فلا ينتظم عقد المذاكرة أكثر من نصف ساعة ثم يحضر صاحبنا وقد حمل طعام العشاء . وبعد العشاء يأتي النوم في ليالى الشتاء الباردة عندما يسرى البارد في الأوصال .

وتنصف طعام المراسى وسألت الله أن يقبذ الموقف فما جئت وما سميت . إن هذه لسكى أكلا أو نالما . إنما كان الغدق الرئيسى : المذاكرة وتحصيل العلم . فاضم إليه صديق آخر كان من أقصى الصعيد وكان مجاً للعلم . فكان سرورى به عظيماً فقد تجاوبت غورته وعكف عن تحصيل العلم . وكانت النتيجة خيراً ، طللت مع هذا الصديق حتى السنة ليهية في كنية أصول حين فاضطرت أن أبحث عن صديق يكون أكثر مذاكرة فقد فارق فضلت مصمى إلى زملاء آخرين .. أذكر وأنا في السنة الثالثة أن كان يدرس لنا الفيلسفة شيخاً و عبد حميد محمود ، رحمه الله تعالى ، وكان مقرراً علينا الفلسفة الهندية وفيها باب عن تاسع لأدروج وعقيدة هود في التناسخ ، وحدث أن الشيخ طرح علينا هذا السؤال : من يمكنه تصنيع في خصة مقدمة أن يشرح باب التناسخ ؟ وكان ذلك من قبل أن يتحدث فيه . وأشار بصلاب عليه أن قوم أنا بشرح هذا الباب . ولم تكن تلك انهمة سهلة ، وكان بينى وبين بقاء تلك الغاضرة ثلاثة أيام ، حاولت خلالها أن أستعين بأحد الشيوخ في شرح بعض النواصى ، وذهبت إليه في بيته ، فلم يكن موجوداً ، أهنت وقتها أنه لا مناصر من أن أقرأ الموضوع مرة ومرة مستعيناً بالله تعالى وحده ، فهو الذى دعاه نبيه موسى بتلك الدعوة :

ثم رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قرولى . ومن شغوم اثبوت أن العبد إذا عمل بما علم الله ورثه الله علم ما لم يكن يعلم وأن طاعة الله تورث حبه معرفة وبور وفراق يديه سواء تسبيل .. ذكر العلامة ابن سينا ، أنه كان يقرأ مسألة في إحدى كتب الرياضة فأعجزته وتعمش عليه حلها ففوى الكتاب قال : وذهبت إلى المسجد لأصل العصر ، فلما فرغت من الصلاة وجدت بباب المسجد ورأفا بيع الكتب ، فقدمت كتبها يبعثي إليها ولم أكن في حاجة إلى شرائه ، ولكنه قال لى : يا سيدى إنى في حاجة لى فخر هذا الكتاب لأشترى به طعاماً فاشتريته لا بقصد قراءته ، إنما لسد حاجة باله ، وما حسنت أنه الكتب ففحت هذا الكتاب فإذا هو نفس الكتاب الذى أعجزتنى مسألته بره صية . مكنتى لما قرأته . فتح الله عني كل ما فيه مما كان مستعصياً علي من قبل فصمت أن

أفعال الخير تفتح كسور المعرفة ، فما أجل ما قاله رب العزة ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تقوا الله يجعل لكم فرقانا ﴾ وما أعظم ما قاله مولانا جل ذكره : ﴿ ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ﴾ .

لقد استعنت بالله تعالى وألقيت المحاضرة التي كانت تدور حول تناسخ الأرواح في الفلسفة الحديثة وأثبت بطلانها في ضوء الشريعة الإسلامية ، كما أثبت بطلان تخضير الأرواح مستندا إلى قوله جل شأنه متحدنا عن الروح : ﴿ فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا إن كنتم غير مدينين لرجعونا إن كنتم صادقين ﴾ .

هنا أسلوب عري مبين يتحدى الله تعالى به البشرية حمداً أن ترجع الروح بعد خروجها ، فكيف يهدي بعض المفسرين على الله كذباً أنهم يستضيئون تخضيرها في سلة من السلال والله جل ذكره فصل ما زلنا بعد خروجها فقال : ﴿ فأما إن كان من المقربين فروح وريحان ورجة نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين . وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من جحيم وتصلية جحيم ﴾ .. ثم أكد هذا كله بقوله : ﴿ إن هذا هو حق اليقين فصح باسم ربك العظيم ﴾ وكيف يستطيع أحد أن يحضرها من عالم البرزخ والله تعالى يقول : ﴿ ومن ورائهم برزخ إلى يوم يعثرون ﴾ والبرزخ هنا هو الخبز الزمني ، وقد جعله الله مكاناً إلى يوم البعث . وكيف يستطيع أحد أن يخرجها من نعيمها والله تعالى يقول : ﴿ لا يسهم فيها نصيب وما هم فيها بمخرجين ﴾ وكيف يستطيع أحد أن يخرجها من عذابها والله جل شأنه يقول : ﴿ يوبخون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم ﴾ لقد ضلت الفلسفة مدية ضلالاً بعيداً عندما اعتقدت تناسخ الأرواح وماضت غمار معركة لا تملك سلاحها . وحمل هناك أزمة في الأليخ حتى تحمل الروح التي خرجت من إنسان في حصد صيد ويد؟! وهل بلغ من العت بالأمور النفسية أن الروح إذا كان صاحبها شقياً حلت في حصد كلب أو حيوان شقي؟! سبحانه ربي بامن قلت ﴿ وبسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ وهل اطلعوا على اللعب فعملوا أن عدد حرق مساوي عدد المواليد حتى تخرج الأرواح من أجسام فحل في أجسام أخرى مساوية هـ هـ عدد ، ثم ماذا يقولون في الحروب وقد يبلغ عدد القتل مئات الألوف بل عشرات الملايين كما حدث في الحربين العالميتين أين تذهب هذه الأرواح إذا تجد أجساماً مساوية لها في العدد؟! إن هذا هو الفرق بين الفيلسوف وعالم الدين ، والفيلسوف ينج في بخته عنه ومعه . ورجل الدين ينج في بخته وحى الله وهده . إن محيط هـ وراء الصبغة أعف من أن يمحى هـ صباح ماهر . لذا أرادوا أن يضربوا مثلاً للفيلسوف وهـ الدين محاء الخلل في صورة حرق جسم فيه مترك من الأمواج

لحرقه وباح هوج والفيلسوف يعبره على بحر من الحشيش وعالم الدين يعبره في سفينة منيرة . ماى الفرق بين أحق بالأمن ؟ .

لقد ذكرت كل هذا الكلام في محاضراتي التي ألقيتها على إخوان الطلبة ، وكان يقف بجانبى الشيخ هـ عبدالمجيد محمود هـ رحمه الله . وما أن فرغت من إلقائها حتى كان ثناء الرجل عني قد أحمل تواضعي .

موقف عجيب

حدث هذا الموقف وأنا في السنة الثالثة من كلية أصول الدين ومع ذلك الصديق الذي كان كرم الأخلاق قليل المذاكرة . فلقد انصرف الطلاب كعادتهم قبل الامتحان بشهر وصفت أو يزيد ، كل إلى بيته ليحلف على مذاكرة المواد التي سيدخل فيها الامتحان . وحرف صديقي هذا إلى بلده ولم أكن معه وذلك لأنه لم يوجه إلى الدعوة بالذهاب معه كما كان يفعل الأخ هـ محمد الطوشي هـ ، كما أنني لم أكن راغباً في ذلك نظراً لقلة مذاكرته . ثم لأسى مرتبط بمحنة الجمعة في مساجد القاهرة التابعة للجمعية الشرعية . كل هذه الأسباب جعلني لا أفكر في السفر ، وقد نصحت إذا ما قلت لك إن الذي كان يذاكر معي شب يعمل بائعاً للخضروات في سوق قريب من المسجد الذي كنت ألقى فيه دروس المساء يوم الخميس من كل أسبوع . وكان يصحني من يتي إلى المسجد بصفة منتظمة . لكنني خرجت صديقي هذا قبل الامتحان بعشرين يوماً قد مر في في مسكني بدير الملاك وعرض عني أن نذهب معاً إلى المسكن الذي كان يجاور الكلية بشبرا حتى نذاكر سوياً إلى أن يأتي الامتحان ووافقت لكن على وجل ، فإن الامتحان يوشك أن يطرأ الأبواب وأخشى ألا نذاكر كما هي العادة بل أنسى ما ذاكرت . وأنا دائماً في أموري أسلم الأمر لله وأنا واثق من أن الله تعالى يفعل ما يشاء ويختار وكل فعله خير .

ما مسنى قدر بكم أو رضا إلا اهتديت به إليك طريقاً
امضى القضاء على الرضا منى به إلى عرفتك في البلاء ولها

وكان ما توقعته ، فني طريقاً إلى شبرا مر صديقي بأحد المطاعم فاشترى ما يسمى بحبة الطعمية ، ثم ذهبنا إلى المسكن فقام بتخريط بصل كثيف أضانه إلى المعجينة ثم أضف فيها بعض البيض وصنع من ذلك الخليط أقراصاً من أكل منها قرصاً لا يقبل يومه . وشعرت كأني دخلت في دوامة عيفة وتناولنا طعام الغداء من هذه الأقراص وعمر اليوم الجفون قام كل منا في مكانه لا يدري حراكاً . وما أن استيقظت حتى شعرت بصباح الولت فاستأذنت أن

يعتقد إلى مسكني بدير الملاك ، وعدت إلى مسكني هناك ، واستأذن هو ليلاكر بقية الأيام وحده وأرسلت إلى عبدالمعظم ، بائع الحضار ، وكان شاهبا صالحا يحفظ القرآن عن ظهر قلب وشمرت كأن القرآن بالنسبة إلى في حاجة إلى منكرة ومداينة كما أخبر الرسول ﷺ في قوله : « مثل صاحب القرآن كمثل الإبل المثقلة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت » وكما أخبر في قوله : « تعاهدوا القرآن فإنه وحي » .

وكأني كنت أنظر من بعد لأرى ماذا كان سيحدث لو لم أتفرغ في هذه الأيام لقراءة القرآن حفظا وتسميما . وقد كان ما أراده الله خيرا مكا تقصى الساعات في حفظ القرآن حفظا جيدا . وجاء الامتحان وجلست أمام لجنة كـ على رأسها عام ضايع هو الشيخ « إبراهيم زيدان » رحمه الله تعالى . وبعد أن سألتني عن شيء قل لي : ألمحظ القرآن ؟ قلت نعم . قال : إن كنت تحفظه حفظا جيدا فإنه سيشفع لك في كل العلوم التي سأتمحنت فيها ، وإن كنت لا تحفظه فلن تشفع لك المواد بعد ذلك . ونزلت هذه الكلمات على نفسي منزل شكيته . وبدأ الشيخ يسأل أسئلة في حفظ القرآن لا ينبغي عي إلا ذو حفظ عظيم . وكثيرا ما سأل في سورة الأعراف والنبوة ويونس وهود ، ويك من فصل الله تعالى عن أن شرح صبري ومسر أمري وحل عقدة من لسان ، فانسأت بآيات القرآن كما يسأله من نفسه اجبت ، فسر الشيخ بذلك سرورا عظيما ، فمر بالمود بعد ذلك مرور السيم وقت السحر ، فقد أخبرني بعد ذلك قائلا : لقد شمع لك القرآن في متحان حيا وأرجو أن يشفع لك في متحان الآخرة .

شهر رمضان

كان لرمضان ولا يزال وميظله وقع طيب في نفسي ونفسي كل مسلم إلا أني أذكر هنا ما كان لرمضان في نفسي من أثر وأما طالب : كنت أخرج من مسكني بدير الملاك في الساعة صيحا متجها مع مرافقي إلى أصول الدين بشيرا سورا عن الأقدام ، فأصل في الساعة لا ربعا حيث تبدأ الدراسة في الساعة ، وفي الواحدة والنصف من بعد الظهر كنت أعود إلى مسكني إما إلى بيت الله تعالى ، إلى حى الشربة في مسجد يسمى المولى .

وفي المسجد ذكرات ضية في نفسي ، فقد كنت فيه أدعو إلى الله تعالى على بصيرة من عام ١٩٥٤ إلى أن عُينت بوزارة الأوقاف بعد تخرجي في عام ١٩٦٢ . وما زلت أذكر نفسي قضيت في هذا الحى حين كانت أفضل أيام حيت في الدعوة فقد كان عمله رجلا ورجلا قليل ، كانوا كرم ما ضيين ، وما زلت أذكر يوم حمة حفظها في هذا المسجد المبارك وكنت في موسم الحج . ومن عادى في الخطابة أني أنه تقدمت تشد السامع ش قويا مؤثر

حتى أوفط الوسان وأنيه الغافل ، ويكون ذلك بمثابة استحضار للشعور فإن هناك من مجلس متى بحسبه وقلبه هناك كما قل شوق : ..

لقد الملك أدنا غير واعثورب مستمع والقلب في صمم

أذكر أني بدأت هذه الخطبة وكانت في موسم الحج . بدأتها بأعراف سأل رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، أفرى بها صاحبه أم بعد لساده ؟ وإذا بسفير الأنبياء وكبير أسماء وحي السماء بخوب الآفاق ويضوى بأحسنة السع الطبايق بقوله جل شأنه ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾ . ثم أخذت في تفسير هذه الآية وبحث ما فيها من أسرار بلاغية وقضايا تتعلق بالمعقبة لا أجدها بأسا من الإشارة إليها : فهذه الآية « آية الدعاء » جاءت بين آيات الصيام لما نفا من ضياء يشع في هذا المجال ، فإن للصائم دعوة ما لمرد . والله تعالى حكمة بالغة ل أن يقول ﴿ فإني قريب ﴾ بينما نحن إذ استمرصا الأسئلة الموجهة إلى رسول الله ﷺ وجدا أن الله تعالى يلقه الإجابة فيقول له : ﴿ قل ﴾ وإليك هذه المجاذف من الأسئلة : قال تعالى : ﴿ وسألتك ماذا ينفقون قل ما أنفق من غير ثلوات الدين والأقربين ﴾ الخ الآية . ﴿ وسألتك عن الشهر الحرام قل إن فيه لل فائ فيه كبير ﴾ الآية . ﴿ وسألتك عن الحمر والميسر قل فيها إثم كبير ﴾ الآية . ﴿ وسألتك ماذا ينفقون قل العفو .. ﴾ الآية .. ﴿ وسألتك عن البنائى لل إصلاح لم غير .. ﴾ الآية . ﴿ وسألتك عن الميض قل هو أذى .. ﴾ الآية . ﴿ وسألتك عن الجبال قل ينسفها ربي نسفا ﴾ الآية . ﴿ وسألتك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله ﴾ الآية .

فهذه الأسئلة التي وجهت إلى الصادق المعصوم جاءت الإجابة عنها مقترنة بلفظ قل . أما هذه الآية الكريمة « آية الدعاء » فقد تهردت من لفظ قل وجاءت الإجابة مباشرة من الله تعالى بلفظ ﴿ فإني قريب ﴾ وهذا باب عظيم من أبواب المعقبة يفيد بيقيا أنه لا واسطة بين المد وره . بل كما قال جل شأنه ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ وكما قال تعالى : ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ وكما أخبر معوت العناية الإلهية « إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله » .

يا صاحب المم إن المم مفرح	أبشر بخير فإن الفارح الله
الأس يقطع أحيانا بصاحبه	لا تأسن فإن الكافي الله
إذا بهت فثق بالله وارض به	إن الذي يكشف البلوى هو الله
الله يمدد بعد العصر مبسرة	لا تحزن من فإن الصانع الله
والله مالك غير الله من أحد	فحسبك الله في كل لك الله

ثم تحدثت بعد ذلك عن السر في قوله تعالى : ﴿ إِذَا دَعَاكَ ﴾ فالمعلوم أن قوله تعالى : ﴿ أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ ﴾ يفيد أنه سيدهو ، فما السر في ﴿ إِذَا دَعَاكَ ﴾ نعم إن هناك سرا عظيما في التعميق بهذه العبارة ذلك أن قوله تعالى : ﴿ إِذَا دَعَاكَ ﴾ يفيد إذا دعاني أنا لا غيري ولولا ذلك لقال : « إِذَا دَعَا » . ثم إن قوله تعالى : ﴿ إِذَا دَعَاكَ ﴾ يفيد معنى قوله جل شأنه في الحديث القدسي الجليل (أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غير شريكه) .

وفي قوله تعالى : ﴿ إِذَا دَعَاكَ ﴾ يفيد معنى الظرفية الزمنية في « إِذَا » أي أنه سبحانه يستجيب الدعاء وقت الدعاء . ثم إن التعميق بقوله جل شأنه ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي ﴾ جاء في غاية الدقة لمناخه لقوله جل شأنه ﴿ فَإِن قَرِيبَ أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَاكَ ﴾ أي كما أجبتهم فليستجيبوا لي .

وبعد أن فرغت من إلقاء هذه الخطبة ، كانت حفلة المصلين في قد أعجبت تواضعي فهذا لؤلؤ لقاء لي بهم ، وأشهد أنني قضيت في المسجد سبعين عددا ، وكانت فيه نفحات مباركة ، وكان من فضل الله على أن هذا المسجد لما ضاق بالرواد بنيته أربعة أدوار ، وكان لاغنى عن الصلاة في الشوارع المحيطة به يوم الجمعة ، وكانت نفحات هذا المسجد تتجل أكثر وكثرت في رمضان . فكت إذا فرغت من الدراسة في الكلية أعود إلى هذا المسجد قبيل العصر في رمضان وبعد صلاة العصر أجلس بين مصلين فألقى الدرس اليومي من بعد صلاة العصر إلى اصفرار الشمس ، وأذكر ذات يوم في رمضان أن تكاثرت أسئلة المصلين أثناء الدرس فاستمعت إليهم جميعا وكانت تزيد عن العشرين سؤالا . ومن بركات هذا المسجد أنني أجبت عنها جميعا سؤالا وسؤالا وبالترتيب كأي أمام إحدى لجان الامتحان . ثم نذهب بعد الدرس نتناول طعام الإفطار على موائد الكرم عدد إخوان امتلأت قلوبهم بحب الله ورسوله . وهل الإيمان إلا الحب في الله ؟ وبعد أن أصل المغرب أتوجه إلى كوبرى القبة لأدرك صلاة العشاء في مسجد هك كانت تغشانا فيه الرحمت وتنزل علينا السكينة وتحفا الملائكة عسى الله تعالى أن يذكرنا في ملا خير منا ..

كنت أصلي العشاء والقيام وأقرأ في القيام جزءا كاملا كل ليلة ويتخلل صلاة القيام درس من العلم يستمر نصف ساعة . كان يوم هذا المسجد شباب طاهر من طلبة الجامعة ومراحل التعليم المختلفة إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا مشورا . كما كان يحفه شيوخ بروة تعرف في وجوههم نظرة التعميم . لقد أسس هذا المسجد على تقوى من الله ورضوان . قام على تسييسه رجل طيب القلب هو الحاج علي سلامة ، وحمل هذا المسجد اسمه أسأل الله أن ينيه عليه ويسكنه فسيح جنه .

كنت أعود بعد صلاة القيام إلى مسكني بدير الملاك . وقد أوشك لييل القاهرة أن يتصف . وما هي إلا سويحات ويأتي وقت السحور فصلاة الفجر فشروق الشمس فيوم جديد ينادي فيه المنادي : يا ابن آدم أنا خلق جديد وعمل عملك شهيد فاغتنم مني فاني لا أعود إلى يوم القيامة .

غدى سيمسح أمسى لا يعارضني في ذلك حي وأمسى لن يصير غدى
يا ابن آدم :

ديناك باعات سراع الزوال وإنما العقبى خلود المآل
فهل تبع الخلد يا غافلا وتشتري دنيا المني والضلال
عش راضيا واترك دواعي الألم وأعدل مع الظالم مهما ظلم
نهاية الدنيا فناء فعش فيها كريما واعتبرها عدم
وياقواذي تلك دنيا الخيال فلا تنو تحت المسموم النقال
سلم له الأمر فمخو الذي غطت يد الأقدار أمر محال

ذات صيف

حدث ذات صيف وأنا طالب بالمرحلة النهائية أن صحبتني بعض الإخوة الذين عرفتهم في المساجد إلى قريتهم لقضاء بعض الوقت . وذهبنا إلى هناك . وعند صلاة العصر ذهبتنا إلى مسجد القرية وكان به إمام قد نيف على الستين من عمره . ومن الذين تلقوا علومهم أيام كان الأزهر يدرس لأبنائه في كتب صفر قد امتلأت بالفناقل والفناظر والفقهات . والنقال هي ما تراه في كتب الأصول فإن قيل قلنا قلنا كذا . والفناظر ما تراه في الكتب من قولهم « فيه نظر » والفقهات قولهم « وفيه ما فيه » . لقد كانوا يقرعون المسوط من الكتب فيخلصون منه إلى الوسيط ، ويقرأون الوسيط فيخلصون إلى الوجيز فأصبح الأزهر اليوم وقد تحول إلى ملازم أئمة ورشيقة ومغلقة بغلاف يراق . أصبح أبنائهم يدرسون القشور ويقرعون الوجيز فلا يخلصون منه إلى شيء .. صليت العصر وراه هذا الإمام ، وما إن شعر المصنون بحضور حتى طلبوا مني أن ألقى عليهم درسا في العلم ، فاستأذنت الإمام فأذن لي مشكورا . وكنت قد تعودت إذا وجدت في مكان لأول مرة وأردت الحديث أن أشرح فهم حديث جبريل الذي وجه فيه أربعة أسئلة إلى النبي ﷺ : سألته فيه عن الإسلام والإيمان والإحسان ومتى الساعة ؟ فقد اشتمل هذا الحديث على أصول العقائد وشعائر العبادات ومبادئ الأحكام ومناهج السلوك وقواعد النظام .

وما أن بدأت أشرح الحديث الشريف حتى بادرنى إمام المسجدة بسؤال قال فيه :
 إن في القرآن الكريم آية اشتملت على أمرين ، وغيرين ونهين ، وبشارتين . فخير ما هي ؟
 ووقع السؤال على نفسي ولما سمعته لم يكن له أى مناسبة بما أقوله في شرح الحديث ،
 لكنه في نفس الوقت نزل من نفسي سؤال الرضا إذ كنت أعرف الإجابة عنه فقد حدث ذات
 يوم أن ذهب صديقي لشراء بعض الأطعمة وبعد أن فصح الورقة التي ألفت فيها الأطعمة قال
 لي : أتدري لماذا نُجِّيت في هذه الورقة ؟ وبدأ يقرأ : ﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه
 فإذا خفت عليه فالقهِ إلى النيم . ولا تخاف ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من
 المرسلين ﴾ ثم قرأ بعد ذلك عبارة تعقب على الآية الكريمة تقول : ومن عجب الأمر
 أن هذه الآية اشتملت على أمرين وغيرين ونهين وبشارتين ، فالأمران هما : أرضعيه والقهِ
 والحبران هما : أوحينا وخففت . والنهيان هما : لا تخاف ولا تحزني وبشارتان هما : إنا رادوه
 إليك وجاعلوه من المرسلين .

لكنني لما سألتني الشيخ هذا السؤال على مسمع من الناس لم يكن على شيء من أدب
 الإسلام ، فلو لم أقرأ تلك الورقة لكان في ذلك إحراج وأى إحراج وقد عني الإسلام عن نصفي
 الوجه فقد قلنا حتى في الصبيحة : من نصحك بك وبه فقد نصحك . ومن نصحك
 على ما من الناس فقد نصحك . لماذا كان يقصد السائل من سؤاله هذا ؟ لو كان يطلب
 الفهم بهذا السؤال لكان ذلك يعني به بعد انقضاء الدرس . علمت بأنه يعنى الإجابة عنه .
 لكنني لست بالخبث ولكن الحب ؟ يهينني (أى لست ليما ولا أسمع للكم أن يهينني) .
 فقلت له : أرجو تأخير الإجابة إلى آخر الدرس إذ لو أجبت على سؤاله لظن بعض الجالسين
 أن هذا الأمر متفق عليه بيني وبينه . يسألني فأجيب على الفور دون إعمال روية أو نظر
 وصمت الناس للاستماع إلى الدرس . لكنهم شغلوا بالإجابة : هل سألتني أن أجيب أم أنه
 تسويف للهروب . وما أن أوشك الدرس أن ينتهي حتى ناديت على الشيخ قائلاً : أين
 السائل ؟ أسمع الإجابة : وقرأت عليه الآية الكريمة : ﴿ وأوحينا إلى أم موسى .. ﴾ الآية ،
 وما أن قرعت من شرحها على ضوء ما سألت حتى نفس الناس الصماء وسمعت منهم صبيحة
 الإعجاب عالية بالإضافة إلى دعوت لي بالتوفيق والسداد .

السنة النهائية بكلية أصول الدين

السنون النهائية لأي مرحلة من مراحل التعليم تعتبر سنوات حاسمة في حياة طالب
 العلم وهي من أجل ذلك سميت بالشهادات . ولقد كانت السنة الرابعة في كلية أصول الدين
 بالنسبة إلى سنة أكثر من حاسمة ، ذلك لأنها سيكون لها ما بعده . فقد كنت أرغب أن

أعمل بالتدريس في الأزهر ، وكما لا يأخذون في التدريس إلا المتفوقين خاصة بالنسبة
 إلى كحقوقين . كما كان لابد أن أبحث عن زميل يكون مثالا في الجِدِّ وعصيل الدروس ، فقد
 سمعت هذا نصف من خطبة الذي يظل طوال العام لاهيا ، حتى إذا ما اقرب لامتحان
 ودقت ساعة حضر انتدب المنهج الكتب فيكون التحصيل ضئيلا لا يكاد يشفى غلة ولا يرفع
 رأسه . ولما كنت لى مسبب الحاجة إلى من يمكنه أتمام دراسته من أول العام على تدريس
 وتحصيل . فقد عثرت على زميل أسست معه الجِدِّ والاحتداد . فاستأجرنا غرفة قريبة
 من مكتبة . وسأنا أحد قرأ وأصلي ، ودعنا امتحان النصف الأول من العام . فحسب
 وكانت نتيجة حمد من به ونوفقه كثير من منازة . فقد كان هذا الامتحان طابع جديد .
 ذلك أنه كان لأول مرة صاحب خبرها وقد اعتدنا من أول دراستنا بالأزهر أن يكون
 امتحان نحن كحقوقين شفويا . ولقد اشترطوا فيمن يكتب لنا في الامتحان ألا يكون
 من أصحاب الشهادات حتى يمكنه أن يساعد في الامتحان وأن يكون صعبا في السن .
 وكثيرا وهين في ذلك . فلو أن أحدا كُتِف بأن يؤدي امتحان العام الخاص ما استطاع
 أن يجيب إحدى أسئلة طرح . ذلك لأن أسئلة الامتحانات ليست معلومات عامة بل هي
 أسئلة تخصصية فيها ... مهما يكن من شيء فقد احترت لكثرة الامتحان أعيا كان من الذين
 يترددون على ديوان في مساجد . وكان عاملا في أحد مصانع الغزل والسيج لكن لم نعد
 قد دفعه حرجا في خط وحساب في بكثافة . وهذا ما كنت أتمناه . وبدأ النصف الثاني من
 السنة برعة . وفجئت ذات يوم في محاضرة تفسر أن الشيخ الذي كان يحدسنا في التفسير
 وفي سورة التحف قل : أنتظر البوء عن المحاضرة وقد احترت فلاتا . وكان يقصدني ، لكنني
 قرأ عنها درس لتفسير نجوم . وكانت الآية التي يريد تفسيرها قول الله تعالى : ﴿ وهو
 الذي سخر البحر لئلا يهلكوا من حمأ طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها . ولرى الفلك
 مواخره وتنتحوا من لذهله ولعلكم تشكرون ﴾ واستعنت بالله تعالى ففسرت الآية : فدر
 طائفتي وذكرتها فيها سنة صاحبت تملك بتناقها وسباقها وخاقها ، ثم بينت وجوه البلاغة
 فيها . لما في ذلك البحث من حلال القرآن وروعه وإعجازه ثم بينت البحوث السجوة
 والتصرفية ثم ذكرت الحكمة من حد الآية بقوله تعالى : ﴿ ولتستخرجوا من لذهله ولعلكم
 تشكرون ﴾ وبهذا انتهيت من تفسير الآية وكنت بهذا التفسير راضيا عن نفسي مفتحا بما
 قلت . وبعد ذلك جاءت محاضرة ثانية وبدأ الشيخ يسأل الطلبة عن رأيهم بما فُسِّرَتْ .
 واخترت أنه جميعا بلا استثناء أثنوا . وماريت أذكر شهادة الأخ محمد فتح الرحمن
 وهو الآن يخدم شهادة الدكتوراه ويحمل أستاذاً في الجامعة الإسلامية وهو من أبناء السودان
 الشقيق . قال في شهادته أمام الشيخ : إن التفسير الذي سمعناه في هذه الآية لم نسمع مثله
 قط . ثم وصف قائلا : وعرف أنه تفسيره هذا قد فاق كثيرا من الأستاذة ، فأنارت هذه
 نعمة حقيقة شيخنا وحسنه وعظمته . فقد أخذ الشيخ يرحل زجيرة الصبغ في

بطون الغائب ، فقد أخذت منه هذه الكلمة التي قالها الزميل مأخذاً إنما مما جعله يرار زئير
الأسود إذا دس عزيمتها ، فطلبت الكلمة لأمدى من روع الشيخ وقلت : إن التلميذ امتداد
لظل شيخه وهو غمرة من غمار علمه وإن مثل التلميذ مع شيخه كما قال القائل :

كالحجر يطره السحاب وماله فضل عليه لأنه من مائه

وتركت هذه الكلمات منزل الرضا من نفس الشيخ وأخذ الزملاء بعد انتهاء المحاضرة
وبعد انصراف الشيخ يجيئون بكلمات طيبة وكان بعضهم يقوى في روح الأمل ألا يكون
كلام الشيخ قد ترك أثراً في نفسي .

كان الأخ الذي يكتب لى الامتحان بلازمى في إلقاء الدروس بالمساجد ، وكان
امتحان الحديث الشريف يوم السبت ، وطلب مني الإخوة الذين كانوا يذاكرون معي
ألا أخطب الجمعة السابقة على هذا اليوم حتى أتفرغ للمذاكرة معهم لكنه عز على نفسي أن
أترك خطبة الجمعة ، فقد كانت الدروس والخطب تعطيني شيئاً للمذاكرة ، فقد كنت أغنى
أكثر الدروس والخطب مما ألتقاه من علوم كال تفسير واخمدت والتوحيد والتاريخ والأدب
والفلسفة الإسلامية حتى علم النفس . كنت أصوغ العلاج من لإسلام للأعراض النفسية
والعقد والانفعالات والعواطف وتكوين الشخصية إلى غير ذلك ففي الإسلام ما يفنى بملاح
النفس علاجاً ربانياً ، ويكفي في ذلك قول الله تبارك اسمه في الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم
بذكر الله ألا يذكروا الله تطمئن القلوب ﴿ وكنت كثيراً ما أركز على هذا معنى الذي يتعلق بالسعادة ،
و كثيراً ما كنت أردد هذه العبارة التي تقول : ليست السعادة في الانشغال بالكتوس المترعة
ولا في الاستمتاع بالقيود الأمليدار سكنى ناطحات السحاب ، إنما السعادة الحقيقية في رضا
الله عن العبد ورضاه عن ربه قال تعالى : ﴿ هذا يوم يرفع الصادقين صدقهم لهم جنات
تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ، ذلك الفوز
العظيم ﴾ .

سمع مالك بن دينار رجلاً في مجلس علمه يقول : اللهم رض عني فقال له :
لو رضيت عن الله لرضي الله عنك . فقال الرجل : فكيف أرضي عن الله ؟ قال له مالك
رضي الله عنه : يوم تُسر بالقيمة سرورك بالعمرة فقد رصيت عن الله .

وكنت كثيراً ما أركز على أن السعادة في تلك المسكنة في قديمها الرسول ﷺ و
قوله : ﴿ لرضي بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ﴾ . لقد كان بعضهم يأم على الطوى ولكن
لرضاه بما قضى الله كان يقول : ﴿ نحن في سعادة لو عمت به الملوك جبال الدنيا عينا
بالسيوف ﴾ وكان أحدهم يقول : ﴿ حفر بئر في بئرتين ورجل يجرى بئر بالين وغسل عبيد

أسودين حتى بصرو كأبيضين ، وكنت أرض الحجاز في يوم شديد الهواء برهشتين خجراً أن
أقف على باب لقيم يضيح فيه ماء عني ﴾ !!

وخطبت الجمعة ودخلت امتحان الحديث يوم السبت وفوجئت بالكتاب الذي
بلازمى يقول لى : تصور أن امتحان الحديث هو نفس الخطبة التي ألقيتها بالأسر !! فقد كان
الحديث الذي خطبت فيه قوله ﷺ : ﴿ إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث .
ولا تحسوا ولا تجسوا ولا تاجسوا ولا تباغضوا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد
الله إخواناً ﴾ . كما جاءت الأسئلة الأخرى في علم الحديث من واقع ما كنت ألقيه دروساً
مما أضفى على الامتحان نور المسجد وقديسيته وجلاله . وهذا مصداق قول الله تبارك اسمه :
﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره . قد جعل الله لكل شيء قدراً ﴾ .

رؤيا ليلة امتحان العقائد

مارلت أذكر أنه لما قرر المسئولون في الأزهر امتحان المكفوفين تحميراً كانت تراودني
أفكار غريبة من الأعماق ، فبعد ما أفرغ من المذاكرة تساءلني نفسي : هل يستطيع الكتاب
أن يوصل هذه المعلومات جيداً ؟ هل سيكون خطه حسناً ؟ هل سيكون على علم بالقواعد
الإسلامية التي نريخ الأستاذ اصحح ؟ .. إلى غير ذلك من الأسئلة التي كانت تثقل كاهلي
وتتقى بظلمتها الثقل على نفسي ، ثم أفيق بعد ذلك على نداء الواقع وعلى صوت الزملاء أن :
هلم إلى المذاكرة . وأراد ربك سبحانه وتعالى أن ينزل السكينة في قلبي حتى أدخل الامتحان
وفي قنبي سراج يضيء لي الطريق . لقد كنا ندرس علم التوحيد في كتاب يسمى « العقائد
النسفية » وهو منسوب إلى الإمام النسفي وكنت أعتبر هذا الكتاب تمرينات عضلية للعقل
كحمل الأثقال لعضلات البدن . من ذلك قوله عن صفات الله تعالى : ﴿ وهي لا هو ولا
غيره ﴾ فمن يستطيع أن يصل إلى معنى هذه العبارة إلا أن يكون قد سبق له دراستها والوقوف
على معناها . ومن ثم فإني نسيت من الذين يؤيدون التعقيد في العقائد . إنما أدعو إلى تبسيطها
وتبسيطها وأن تستفي من القرآن والسنة فقيهما حقيقة الأشياء ثابتة واضحة وإذا تحدثنا عن الله
فإن خير من يخبرنا عن الله هو الله ثم رسوله . والتوجيه في القرآن واضح كالشمس في
ضحها . وفي السنة مُبرر كأنهم إذا تلاها فمن اتبع ذلك سار في ضوء النهار إذا جلاها .

مهما يكن من أمر فمن فضل الله علينا وعلى الناس أنني رأيت ليلة امتحان العقائد رؤيا
مفادها كأنني في لجنة الامتحان وأمامي سيورة وقد كُتب عليها : أجب عن ثلاثة أسئلة وقد
كُتب فيها أربعة أسئلة . وقرأت الأسئلة كأنها واقع في نقطة . وما تداخلت الأسئلة وما التبس
بعضها ببعض ، واستيقظنا عند آذان الفجر ، وكان معي من الإخوة ثلاثة غيري : ثلاث من

ديماط وثالث من محافظة الشرقية . وبعد ما فرغنا من الصلاة وعدنا إلى المذاكرة ، قلت
لزملاء : أحضروا كتاب العقائد الذي سؤدى فيه لامتحان اليوم لراجع تحت المواضيع
وسألوا منا هذه المواضيع بالذات ؟ قلت : قد يكون لامتحان في أكثرها وقد لا يتجاوزها .
وَمَ أَشَأْنُ أَنْ أَذْكَرَ الرُّؤْيَا فَقَدْ حُشِبَتْ أَنْ أُرْمَى بِإِدْعَاءِ صِلَاحٍ أَوْ تَفْقُوهٍ ، فَكَثِيرًا مَا تَبَادُرُ
تُفْهُونَ إِلَى الْفُفُوسِ وَقَدْ جِئَتْ عَادَةُ النَّاسِ أَنَّهُمْ يَسْتَمْتِعُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَةِ وَأَنَّهُمْ
لَا يَنْتَمِسُونَ لغيرهم الأعداء بقدر ما يهتمون عليهم أذلة الأتباع .

تحركت عقارب الساعة بهذه كأنها سلسلة من خيال ، وأخذنا مقاعدنا في النحلة
أحضا عنها بالأسئلة قبل مجئها ولد صدق رسول الله ﷺ إذ يقول في الحديث الصحيح :
« لم يبق بعدى من البوابة إلا البشرات » قالوا : وما نبشرات يارسول الله ؟ قال : الرؤيا
الصالحة . ولا أدعى للمنى صلاحا بل لا أظن ذلك . قال لهم اجعلنى خيرا مما يطؤون
ولا تراخذنى بما يقولون واغفر لى ما لا يعلمون .

وترؤيا علم احتل جانبا كبيرا ومساحة مرمية في عبوة الإسلام حتى غرغ به بعض
نخسائه ومهم العلامة ابن سيرين . وله كتب صحيحة في تخرات الكريم رؤى ما شئ
وهي أشد نأ الرؤيا التي رأها ميت مصر ولم يدرك حلا حقيقتها عندما قصد عبيد الله
فقالوا : ضففت أحلام وما نحن بأوائل الأحلام بعادين . وما قصت على يوسف في السجن
كان في تفسيرها عبط قصوى لمصر لمدة طالالت من خمسة عشر عاما كان حرها عام
فيه يُغَتَّ الناس وفيه يعصرون حتى قال الملك : اتجرب به أستخلصه لنفسى ، فلما كلمه
قل : إنيك اليوم لدينا اليوم مكبر أمين .

ليلة التفسير

لم تكن الرؤيا التي رأيتها ليلة امتحان العقائد السبعة توحى إلى معنى التواكل إنما كانت
تفيد معنى التوكل والفرق بينهما شاسع واليون بعيد . والتوكل مطلوب والتواكل مبدى غير
مرغوب التوكل : هو الأخذ بالأسباب مع تفويض عواقب الأمور إلى الله تعالى . قال
نبي . ﷺ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﷻ وقال حين ساء له ﷺ ومن يتوكل على الله فهو
حسبه ﷻ وقال تبارك اسمه : ﷻ قل حسبي الله عليه توكلت ﷻ .

« ما التواكل : فهو إهمال الأسباب وعدم الأخذ بها كسلا وإهمالا . وهذا يأباه لشرع
ويرفضه . ولقد كما من الذين يأخذون بالأسباب ويهوضون عواقب الأمور إلى الله . كما
سبح في غفلة اندماجا بها كم الساعة ، ولا نجد مرفعه عن أنفسنا إلا أن نذكر علم

التاريخ . ولقد كنا نصل المشاء لم نبدأ المذاكرة ففاجأ بأذان الفجر ﷻ ولم كان يُعزى الرمان
بين العشاء والفجر : تطويه المذاكرة حتى نطش أذان الفجر فاذنا للمشاء فلا نطش قارىء أن
الرؤيا التي رأيتها ليلة امتحان العقائد توحى من قرئت أو يحد بأى معنى يفيد التواكل ، ذلك
لأن الأخذ بالأسباب واجب فإن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة . وهل أجرى الله ما . زسزم
فاجر إلا بعد أن سعت بين الصلوات والمروة ﷻ شمع لمرات طلبا للناء . وهل قال المسيح لأنه
أحسنى تحت النحلة لتساقط عليك رطبا جنيا أم قال لها : وهزى إليك بمذبح النحلة . فهذا
كله أخذ بالأسباب .

إن الرؤى إنما كانت من باب قوله تعالى : ﷻ فاعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم
وأناهم فتحا قريبا ﷻ أما ما رأيته ليلة امتحان التفسير : فقد رأيت كأننى أُنْف على عضة
القطار فركب الراكب وتركنى وحدى . وصحت الدنيا على صوت الفجر يؤذن ولما
وصلنا الفجر وبدأنا نذاكر التفسير استعدادا لدخول الامتحان حتى إذا لم يزل إلا نصف
ساعة حضر إلى الكاتب وسأله ولأول مرة : هل أحضرت تحقيق الشخصية فوضع يده في
ملاصه بخنا عنها فلم يهدما ، ولا يسمح له بدخول الامتحان معى إلا بعد أن يقدم للمراقبين
في النحلة تحقيق الشخصية ، فقلت له : أرجو أن تذهب سريعا فتحضره . وكانت الساعة
بين بيته وبين الكلية في الراوية اخمراء بعيدة . وسألت الله أن يضوى له الأرض لئلى لو
دخلت اللجة وورعت الأسئلة قبل أن يحضر لكان في دخوله بعد ذلك حرج شديد .
وذهبت إلى النحلة والألم يتصور انحصارا . فلما أن هذا الامتحان فائى لصاغت على السنة
الرابعة فأضطر أن أعيدها وأعالى في البحث عن رفيق ما أعانى . ولكن الله تعالى له في حلفه
شئون وله في كل نفس مائة ألف فرح ، وله سبحانه رجال كأنهم يحملون الجنة في صدورهم
لقد جلست في المكان المخصص لى ، ومكان المرافق شاغر تعلونى ساحة دكاء ونجم يحرق .
لكن قطع على ذلك الصمت الرهيب صوت أستاذ جليل كان يدرس لنا علم العقائد سألنى :
أين مرافقتك ؟ قلت : بألى الله به . فقال في إنجابية وصرامة : فمالى أراك حزينا ؟ قلت :
لتنخف المرافق . فأقسم بالله : لو لم يحضر مجلس بجانبى وكسب لى ما أملى عليه . لم أروى
قائلا : إن الجميع ما يعلم أنك طالب مجد ولا يتصور أحد منا أنك في حاجة إلى من يفتك
الإجابة . وبينما نحن نتحاذب أطراف الحديث إذ حضر الكاتب ونفى الأمر .

ولرب نازلة يغفل بها الفنى لودعا وعد الله منها اخرج
ضالقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكان يظنها لا تفرج
وجعل أن يقول آخر :

لا تضيق بالأمور للشد تكشف غماؤها بدون احتيال
وبما تكره النفوس من الأمر له فرجة كحل العقال

فوا
نكا

من فضل الله تعالى على أنى حصلت في مادة التفسير تحريرا على أربعين درجة
من أربعين وشغوا على عشرين من عشرين وحفظا للقرآن على ثلاثين درجة من ثلاثين .
فكان المجموع الكل تسعين درجة من تسعين .

امتحان اللغة الإنجليزية

كان على الطالب في كلية أصول الدين أن يختار إحدى اللغتين الفرنسية أو الإنجليزية ،
وقد اخترت اللغة الإنجليزية وكان العجب أن نؤدى نحن المكفوفين الامتحان فيها تحريرا إذ
أن ذلك يتطلب أن يكون مع طالب من يكتب له . فكيف يكتب له اللغة الإنجليزية
من لا يعرفها . وإذن لابد أن يكون الكاتب المرافق عارفا باللغة وملما بها . وبناء على ذلك
فأمر من الخائر أن يساعد الطالب فيها فكيف فات عنهم ذلك الأمر ؟ وقد وفقني الله تعالى
إلى أن أكون مجيد الإنجليزية كأحد أبنائها ، ودخل معي الامتحان ، لكنى بفضل الله كنت قد
أعددت لأمر عدته من المذاكرة ، فحصلت في هذه المادة على تسعة عشر درجة ونصف
من عشرين .

وفا
نفا
ص
فيم
اله

و
اللا
فيم
و

امتحان الفلسفة

كان مقررا علينا في السنة النهائية من أقسام الفلسفة ، الفلسفة الإسلامية ، كلفسة
ابن سينا والفارابي والكندي وابن رشد . وكذلك كتاب تهافت الفلاسفة لحجة الإسلام
الغزالي رحمه الله تعالى . وحدث ليلة امتحان الفلسفة أن جفائي اليوم فظلت في أرق دائم
ودخلت الامتحان وأنا بين النائم واليقظان ، وأنا من الذين يؤمنون أن النوم ليلة الامتحان
وأخذ قسطا وافر من راحة البدن ، أهم من السهر وشاكرة .. مهما يكن من أمر فقد
دخلت الامتحان وأنا شبه نائم . واستمعت إلى الأسئلة من كاتبى وتحيل إلى أنها لم تخطر لي
على باب من قبل ، وتوقفت برهة عن الإجابة ، ومددت أكف الضراعة إلى الله أستغثه
وأستعيه وأستهديه أطلب من العون المدد ، فهو لا يضيع أجر من أحسن عملا . وبدأ القلم
يكتب ولللسان يملئ ، والقلب يضرع ، وانتهى الامتحان ولكن لم أشعر فيه بالضائبة
إلى المحض الذي أكتب أنشدته . وذهبت إلى المسكن كاسف البال حزينا فقد كان شبح
الرسوب يحوم على رأسي ، كأنه سحابة دكناء ، أو نجم محرق . ولم أجده مقرا من هذا الشبح
الرهيب لذي يطاردني إلا أن تجأ إلى الفراش لأنام ، فقد يكون في النوم راحة . وغفوت
غفوة فريت رؤيا كانت هي التبعة فقد رأيتني وسط جمعة من الأصدقاء في جو طيب قمت

مز
ود
بالا
بالا
في
و
أه
أن
س
ع
أه

فيه بتوزيع قطع اختاوى عليهم ، وقد جرت عادة الناس في القطة أن يوزعوا مثل هذه الحلوى
في مناسبات السرور والفرح . واعتبرت هذه الرؤيا السكية التي يلقىها الله في القلوب لتطمئن
وعهدا . وقمت فعلا مطمئنا واثقا من أن الله تعالى لن يخزي . وكان ذلك دافعا لي لمذاكرة
المادة التي سأمتحن فيها غدا ، ولولا هذه الرؤيا التي رأيتها ونزلت على قلبي كما تنزل قطرات
الندى على الزهرة المظلمى . لولا ذلك لطاردتني الأشباح السود التي يزينها الشيطان ليحزن
الذين آمنوا وليس يضارهم شيئا إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ، وقد منحني الله
في الفلسفة درجة لا بأس بها ، وانفض سوق الامتحان كما بدأ والدنيا كلها سوق قام ثم
انفض ربح فيه من ربح وخسر فيه من خسر ، نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الراغبين .. وذات
يوم كنت أؤدى خطوة الجمعة في حى التوفيقية ، ولم يكن هذا الحى به مسجد كبير يتسع
للأعداد الغفيرة فكانوا ينصبون الحيام أثناء حر الشمس اللانح عندما يقوم قائم الظهيرة
وعندما تضرب الشمس بسياطها الحامية وجه الأرض . وقبل أن أصعد الشرف جاء من يشرى
بنتيجة لامتحان ، فسجدت لله شكرا على ما أنعم به عني من بركة النجاح ، فالتجاح كلمة
طيبة . ضالما اهتزت ما قلوب الناس ووصل رتبها إلى أعماق الأفئدة .

الترشيع للعمل بالأوقاف

تحققت بقسم تخصص التدريس وكان هذا القسم عذرة عن دراسة لعلوم تربوية
كسيكولوجية الطفل والمرافقة ، وأساسيات التربية ، وطرق التدريس ، والصحة النفسية
وخلال هذه الدراسة أعلنوا عن تكريم الأوائل في الشهادات العليا ، وتحديد لذلك يوم الثامن
عشر من شهر ديسمبر بقاعة المحاضرات الكبرى بجامعة القاهرة ، وكان هذا على مستوى الدولة
بجميع جامعاتها وأقسام الدراسات العليا ، وذكروا أن رئيس الجمهورية سيقوم بتوزيع الجوائز
على الأوائل ، ويتأخر إلى أذهاننا أننا سئال جانيا من الجوائز المادية بعينها الله بها على أعباء
الحياة القاسية ، وهنا ظلت أحلام القطة تراءدنا ، فمن قائل إنه بعد الحصول على هذه
المكافأة المالية سيشرع في الزواج ، ومن قائل إنه سيقوم بتكوين مكتبة فخمة تعينه على القراءة
والإصلاح ، ومن قائل إنه سيوسع على أهله الفقراء . وهكذا أخذ الخيال الحصب سبيله
إلى القوس الطائفة إلى أن جاء الموعد المشهود ، وأخذ الأوائل مقاعدهم وترجع على النصبة
رجال الحكم ويؤدى على الأوائل بأسمائهم ، وقام رئيس الجمهورية بتوزيع الجوائز ، وكانت
عبارة عن عمود وحيلة وطن بعضنا أن هذا العمود به شيت ، يصرف من البنك ، وبعد
أن انتهى الحفل قم كل ما يفتح العمود والعلبة فإذا العمود شهادة امتياز تقديرية وفي العلبة
ميدالية برونزية . وانصرفنا راضين بما قضى الله تعالى ، فعلى أمره العاقل أن يضع نصب عينيه

قول الله تعالى : ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾ ومول رسولہ الكريم : « ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس » .

النفس تجزع أن تكون فقيرة والفقر يحير من غنى يطفئها
وغنى النفوس هو الكفاف فإن أبت فجميع ما في الأرض لا يكفيها

اعلان من مكتب العمل :

أعلن مكتب العمل عن وظائف للخريجين وعلى كل خريج أن يشتري الا الاستشارة
ويقوم بكتابة الترغبات ، وكنت أرغب أن أعمل مدرسا بالأزهر أو معيدا بكلية أصول الدين
فقد كان ترتيبى الأول ولكن أراد الله - وأخير كل الخير في إرادته ، فقد علمنا سبحانه أنه
صاحب الإتيان والفضل - أراد أن أعمل إماما وخطيبا في بيوت الله أن ترفع ويذكر
ليها اسمه يسبح له فيها بالهدوء والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام
الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار .

واستقلت هذا الأمر وهو يعنى إماما بمساحد الأوقاف ، استقبلته بقبول حسن
ونفسى راضية ؟ فإن يعمل المسند ، منما يقف خمس مرات أمام المصلين متوجها إلى مالك
الملك وملئ الملوك معتقدا أن الكلمة ، أمامه والموت وراءه ، وجنة عن يمينه ، والنار عن
شماله ، والصراط تحت قدميه ، وقد تبارك وتعالى مطلع عليه ، هنا شرف لا يداينه شرف ،
ومكانة لا تسمى ، ولا يُلحَق بها ولا يُشَق لها غبار .

بل تسمى اعتبره اصطفا من نول الذى قال : ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا
من عبادنا ﴾ وجاء وقت استلام الكتاب الخاص بالتميين في الجهة التى ستحددها الوزارة ،
وذهبت إلى مدير عام الدعوة بمبنى وزارة الأوقاف ، وكنت حريصا على أن يكون تميينى
بالقاهرة حيث تقتضى الأمور ذلك ، فإن ارتباطى بالأمرة كان حتما مقضيا لكننى فوجئت
بأن كل عرج يدخل على مدير الدعوة يسأله المدير قائلا : من أى المحافظات أنت ؟ فيعيه
في عاصمة محافظته . هذا من الشرقية فيعين بالزقازيق وهذا من الغربية فيعين بطنطا .. الخ .
وبناء على ذلك فسوف أعين بدمبور عاصمة البحيرة . وظللت وقفا لم أدخل على المدير حتى
أعد للأمر عدته يعون من الله . وشئى السكرتير الخاص بتسيير : في أى الأماكن تريد
أن تعمل ؟ قلت : بالقاهرة . فحب وقال لي هذه الكلمة التى مازلت أذكرها ، قال : رأيت
كذلك هنا ؟ نعم قال : لو كنت فيه شعر فسوف تعين بالقاهرة . وكأنه بذلك علل الأمر
على مستحسن كما في قوله تعالى : ﴿ إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم
أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ﴾ .

وقلت له : بإذن من الله وتوفيقه سوف أعين بالقاهرة . وذلك دائما بقينى في الله
الذى يقول في الحديث القدسى الجليل : ﴿ عبدى أنت تريد وأنا أريد ولا يكون إلا ما أريد ﴾
فإن سلمت لي فيما أريد كفتك ما تريد وإن لم تسلم لي فيما أريد أفتك فيما تريد
ولا يكون إلا ما أريد . وانصرفت لأعود في القد إلى مدير الدعوة لكننى انصرفت كاسف
البال لما قاله لي ذلك الذى لم يوفق إلى كلمة بأسوبها الجراح وأثناء انصرافى سمعت من ينادى
على ، إنه رجل بسيط يعمل ساعيا بالتوزارة أخبرنى عن اسمه وأنه مواظب على الصلاة معى يوم
الجمعة بالمسجد الذى أعطى فيه بحى الشراية ، وأخبرنى بأنه سيعمل قصارى جهده في أن
يلبى رغبته ، وأوصانى أن أقرأ الليلة بى وأن أمر عليه بالغد قبل أن أدخل على المدير وأراد
ربك أن تجرى الخير على يديه ، ومررت به فإذا هو يقول لي بتعبيره البسيط « اطمن كل شئ
تمام ، ودحت على المدير وكان مهندسا زراعيا فقال لي ملأها : لماذا تصر على تعيينك
بالقاهرة ؟ فشرحت له الأسباب بالإضافة إلى أن ترتيبى يسمح لي بذلك . فقال : لقد عُينت
بمسجد لطيفى بالقرب من مسجد السيدة زينب رضى الله عنها وأحب أن أسمع منك خيرا .
ولم أرد أن تُكلم بعد ذلك واعتبرت هذا شيئا جليلا ، وأخذت كتاب التعمين ، ونادى على
السكرتير وسألنى : أين عُينت فقلت له بلسان اليقين : يعون من الله عُينت بالقاهرة ولم يثبت
في كفى شعر .

كان بين مسكى وبين مسجد الطيبى مسافة بعيدة ، فقد كنت أقيم بحى دير الملاك
بعدائق النقية وكان المسجد يقع قريبا من حى زين العابدين إلا أن ذلك هان بإزاء العزيمة القوية
والحافز الذى كان يدفعنى إلى الإقدام بحضى ثابتة ورباطة جأش قوية . لقد كنت أذهب كل
يوم بعد ما ورعت الأهم على نغبة من الشباب الصالح لأعود بعد صلاة العشاء . وأذكر
أن أول جمعة أديتها في هذا المسجد لم يكن به أكثر من صفين اثنين من المصلين وقد كان
المسجد يقع في حى معروف بكثرة - المقاهى ذات البهين وذات الشمال وكان أكثر رواده من
العاملين بالجزارة أو بيع الأسماك ، وكانوا مذاهب شتى فهنا صوفى ، وذلك وهائى ، وذلك
لا هذا ولا ذاك ، مما ضاعف الأعباء على في الدعوة ، فقد كان لزاما على أن أوحده الكلمة
أولا وأجمع القلوب على كلمة التوحيد كنت ألقى دروسا بين المغرب والعشاء كل يوم
انتظمت عنوم الإسلام : التفسير يوم السبت ، والحديث يوم الأحد ، والفقه يوم الاثنين ،
والسيرة النبوية يوم الثلاثاء ، وعلم التوحيد والمقائد يوم الأربعاء ، والأخلاق يوم الخميس ،
والخطبة يوم الجمعة ، بينها درس بعد الصلاة .. لم يكن بالمسجد مكبر للصوت ، وكان
الحصير قد أصابه البلى فأصبحت أرضه عارية .

أخذ الإقبال على المسجد يزيد شيئا فشيئا في دروس المساء فقد هجر الناس المقاهى
وأقبلوا على بيت الله تائبين مستغفرين وبدأنا نقيم بعمارة المسجد ، فخرج أحد المصلين بمكبر

للصوت ، وقام بعضهم بشراء الحصى ، وزداد الإقبال يوم الجمعة حتى ضاقت الشوارع
المحيطة بالمسجد بجموع المصلين . ومازلت أذكر « المعلم حفي » الذي كان يدور يوم الجمعة
أيام الصيف بالماء الخللح يسقى الظمأى : كما مازلت أذكر دور إحدى المسلمات التي كانت
تقوم بفرش الحصى خارج المسجد .

جلست ذات يوم قد دخل على « المعلم عطية » قبل المغرب عندما أوشكت الشمس
أن تدع الكون ، وجلس بجانبى حزينا وسأته عن حربه فقال : أنت السبب !! وسأته:
غيرا . فقال : لقد وصيتنا بأداء صلاة الفجر ولما عدت وجدت القفل قد كسر وقد أخذ
النص كل عنويات الغرفة ، وهذه أول مرة أصاب بمنزل هذا ! أبعد ما بُت إلى الله بصينى
هذا الذى أصابنى؟! وكان هذا الرجل يعمل بائعا للسك ويقف في الغرفة وحده . ولا بد
أن يكون الجواب منطقيا ومقتضا فقلت له : وهل هذا يدعو إلى أن تحزن ؟ إن الإنسان عندما
يتقدم للعمل بإحدى الوظائف لا يستلم عمله إلا بعد أن يقدم مسوغات التعمين ، وأنت
اليوم قد تقدمت للعمل في ساحة الرحمن جل جلاله فلا بد من مسوغات التعمين وهأنت ذا قد
قدمتها بصرك على البلاء ، فكفر بغير العين ، مطمئن القلب فقد قال ﷺ : « ما يصيب
المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا غم ولا حزن ولا أذى حتى الشوكة يشاكها
وصبر عليها إلا كفر الله بها من خطاياها » . ورضى الرجل بقضاء الله بعد ما أنزل الله برد
السكينة على قلبه وأصبح من أرتاد المسجد الذين ما أذن التؤد للصلاة إلا وهم داخلها
لا تنبؤهم تكبير الإحرام وراء الإمام « إن للمساجد أوتادا جلساؤهم الملائكة إن غابوا
انقلدوهم ، إن كانوا مرضى عادوهم وإن كانوا في سفر دعوا الله لهم » صدق رسول الله
ﷺ .

إن العمل في مجال الدعوة إما أن يكون وظيفة أو رسالة ، فما أسره إذا كان وظيفة
تعتمد على التوقيع في دفتر الحضور والانصراف : وما أعظمه إذا كان رسالة تقوم على الصدق
والصبر والشجاعة .

إن الداعية إلى الله يجب أن يكون قدوة صالحة بصبره بزمته شجاعا في الحق لا يمارى
ولا يولرى ، صبورا على تحمل الشوائد متفانيا في قضاء حوائج العباد واسع الصدر كريم
الخلق ، لا يمل ولا يضجر ولا يضيق صدره بمشاكل العباد وعليه أن يعتقد أن الله تعالى
لا يضيع له أجرا ، فهو من عباد الله الذين اختصهم لقضاء حوائج الناس .

خطبة موجهة

تؤدى خطبة الجمعة رسائلها المنشودة إذا كانت موجهة (بكسر الجيم) . ولكنها
تصاب بالرج والقم إذا كانت موجهة (بفتح الجيم) . والفرق شاسع بين كسر الجيم
وفتحها . فالخطبة الناجحة هي التي ينبع من مآهل الإسلام العذبة ، لا تعكرها شائبة
من رياء أو نفاق أو مجاملة على حساب الدين . يبين الخطيب فيها أحكام الله وتوجيهاته
وإرشاداته على لسان رسوله ، يعالج فيها المشاكل المحلية والعالمية في ظلال الإسلام الواردة
ومناهم الصافية . وعلى الخطيب أن يكون بزمته مدركا لأحداث الأيام فيعالج أولا
بأول ليضرب والحديد ساخن لأن الأحداث إذا بردت وذلت بطول الأيام أصبح الكلام فيها
أوعثا كلاما تموت ألفاظه عن الشفاء . وإذا كانت التربية في الإسلام تقوم على القدوة
والموعظة والقصة والعقوبة ، فإن الأحداث لها نصيب موفور في مناهج التربية . وهل كانت
قصة الذين خلّفوا وهم الثلاثة الذين ورد ذكرهم في سورة التوبة ، هل كانت هذه القصة
إلا ضربا في الحديد وهو ساحن ، ودرسا للأمة الإسلامية يفيد أن الصدق منجاة وأن الإيمان
أن تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك ؟ إن الثلاثة هم : هلال بن أمية ،
ومرارة بن الربيع ، وكعب بن مالك . لقد تاب الله عليهم لما علم بهم الصدق ، وجاءت نتيجة
تسرس بعد ذلك مكرورة في قوله حل شأنه : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع
الصادقين » .

نعم . ما أعظم الخطبة إذا كانت ذات هدف ومغزى وقيمة وما أجلها إذا كانت
كالمائدة التي يستفيد منها الصحيح والمريض ، كل يأخذ من الطعام ما يلائم صحته ولا يضر
بها . كذلك الخطيب الناجح يراعى في خطبته الحال التي عليها المستمعون فيقدم للخاصة
وللعامة وأصحاب الثقافات العالية والمتوسطة يقدم لهم من العلوم والمعارف ما يناسب
عقولهم . إنه إن فعل ذلك فقد احترم مستمعيه وإن أنس لا أنسى يوم توجهت إلى مسجد
الطبي لأؤدى خطبة الجمعة بعد أن مضى على تعييني ثلاثة أشهر . وقبل أن أصدد درج المنبر
فوجئت بأحد العاملين في المسجد يتقدم إلى بمنشور من وزارة الأوقاف فدفعته إلى مراتبي
فإذا هو فيه « يئيه على خطيب الجمعة أن يكون موضوع خطبته اليوم حث المصلين على العناية
بتقية دودة القطن حيث القطن ثروة ذات عطاء اقتصادي للأمة » وأشهد أنني أصبت يومها
بوجوم لا من أجل المفاجأة وأن الموضوع جاء متأخرا إذا كان ذلك قبل صعود المنبر بنصف
ساعة ليس إلا . لم يكن الوحيم دفعه هذا ، إنما كان دافعه أشد عمقا : إن دافع الوجوه هو

التفكير في حقيقة هذه العقليات التي تُصر على أن تكون الخطبة مُوجَّهة وأن يصير الخطباء أدوات مُوجَّهة ، وأن يتحولوا إلى أسرى لدى أصحاب المكاتب . فكيف أخطب في موضوع بحث المصلين على تنقية دودة القطن وجمهور المسجد الذي أخطب فيه أحد رجلين : إما تاجر أسماك وإما جزَّار والأقلية من متوسطي الثقافة؟! فهل أغفل عن عقل وإدراكي وأخطب لأنهم من المستمعين بعد ذلك بالجنون ؟ عافانا الله منه وعفا عنا . ولكن ماذا أصنع ؟ وهذه الخطبة يكتب عنها تقرير يترتب عليه أمور تتعلق بصلاحياتي في الخطابة . والرجل الأريب الباقل هو الذي يقول كلمة الحق دون أن يسمح للآخرين أن يتسلفوا على كتفيه . وليست الشجاعة عبوراً ، إنما الشجاعة حكمة وقوة إيمان وبعد نظر . فكيف تصرفت لأكسب الجولة؟ إن البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، ولكل مقام مقال فالرجل الذكي يُخاطب بغير ما يخاطب به غيره . وفي الإشارة ما يبنى عن العبارة وفي التلميح ما يبنى عن التصريح ، وكان لأمر المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كلمة يقول فيها : « لا تبغضوا الله تعالى إلى عباده » . وما أشد حاجة الدعاة إلى الله أن يفهموا معنى هذه الكلمة الفاروقية ، فأخالة النفسية للمستمع يجب أن يكون لها أعماق وجنود في كلام لتأصح الفصيح .

نمل وجه المثال : إذ دُعيت لإحياء ليلة زفاف بكلمة دينية فليكن حديثك مناسباً للموضوع الذي يلزم فيه الحفل ، فتختار من النصوص ما يلام ذلك كقوله تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ . هذه هي البلاغة . فإذا ما تركت هذا النص وبدأت تفسر قوله تعالى : ﴿ فإن طلقها فلا تحل له من بعد ﴾ فقد بغضت الناس في كلام الله لأنك لم تطابق مقتضى الحال . وإذا ما دُعيت لإلقاء كلمة في مناسبة صلح بين متخاصمين فليكن كلامك فيما يقتضيه الحال كقوله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ﴾ . فإذا ما تركت الكلام في مثل هذا النص ودلر حديثك في تفسير قوله تعالى : ﴿ حتى إذا جاءنا قال : يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ﴾ . فقد جانبك التوفيق وقد بعدت عن الهدف المنشود . وإذا ما دُعيت لانتاح مسجد فليكن أن تختار من النصوص ما يناسب المقام كقوله تعالى : ﴿ إنما يصوم مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ . أما إذا عدلت عن هذا النص وجعلت موضوع حديثك ما جاء بشأن مسجد الضرار والذي قال الله تعالى فيه : ﴿ والذين اتخذوا مسجدا ضلوا وكفر وتفرقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل ، وليحلقن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون لا تقم فيه أبدا ﴾ إنك إن فعلت ذلك فقد بغضت الله تعالى إلى عباده .

بعد سألت ربي أن يلهمني التوفيق فيما أقول . وكان ربي في رحمتي فوقفتني إلى أن أتكلم في تفسير سورة النحل وهي سورة تعتبر مؤسسة اقتصادية اشتملت على مصادر الإنتاج في شتى أنواع الثروات بدأها العلي الحكيم بخلق الإنسان بعد أن أمر بالتوحيد والتقوى . فقال سبحانه : ﴿ خلق الإنسان من نطفة ﴾ ثم انتقل النظم الكريم إلى الثروة الحيوانية فقال تعالى : ﴿ والأنعام خلقها لكم فيها دلاء ومنافع ومنها تأكلون ﴾ إلى قوله جل شأنه ﴿ ويخلق ما لا تعلمون ﴾ . ثم انتقل النظم الكريم إلى الثروة النباتية فقال جل ذكره : ﴿ هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . يثبت لكم به الزرع والزيتون والتبختيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يفكرون ﴾ .

وها تحدث عن الزرع والثمرات وأنها من نعم الله تعالى . ومن الزرع والثمرات القمح والشعير والأرز والذرة والقطن وواجب المسلم أن يحافظ على تلك النعم فلا يتركها كلاً مباحاً للحيثيات وأمراض النبات . ولما كان القطن ثروة من أغل الثروات ، كان على المسلمين أن يحموه من هذه الحشرة التي تفتك به ، ثم انتقل النظم الكريم إلى عالم الفلك فقال تعالى : ﴿ وسخر لكم الليل والنهار . والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ﴾ ثم انتقل إلى ما في باطن الأرض من معادن وكثوز فقال جل شأنه : ﴿ وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه ﴾ وقال الصادق المعصوم سنوات ربي وسلامه عليه : « اتقوا الرزق في خبايا الأرض » ثم ينتقل النظم الكريم إلى عالم البحار فيقول جل شأنه : ﴿ وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً ، وتستخرجوا منه حلية تلبسونها ، وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ، ولعلكم تشكرون ﴾ . وهكذا إلى أن تنتقل بنا الآيات إلى مدينة قرآنية قامت فيها صاعات شائعة : فهذه مصانع الألبان تنطق بلسان الوجدانية ﴿ وإن نكم في الأنعام لعبرة ﴾ وتلك مصانع الحلوى ﴿ ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخللون منه مبتكرا وورزقا حسنا ﴾ . وهذه مصانع العسل ﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذ من الجبال بيوتا . ومن الشجر وما يعرشون ، ثم كل من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس . إن في ذلك لآية لقوم يفكرون ﴾ . وقد سمى الله تعالى هذه السورة بسورة النحل لأن النحل أكبر عالم من علماء الاقتصاد ، فهي تعطي أكثر مما تأخذ ، تمنص رحيق الزهر فتخرجه لنا شهيداً فيه الشفاء والدواء والبذاء وهكذا أدبت خطبة الجمعة التي أرادوها مُوجَّهة (بفتح الجيم) وأرادها الله مُوجَّهة (بكسر الجيم) والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

الناس . طوى لمن عاشر أهل العلم والحكمة وغالط أهل الذل والمسكة ، وصدق صاحب
الردة إذ يقول فيك :

ورأوته الجبال الشم من ذهب عن نفسه فأراها أيما شمم
وأكدت زهده فيها ضرورته إن الضرورة لا تعدو على المعصم

مرحلة أخرى من الدعوة

كنت قد حصلت على تخصص التدريس وهو إحدى الشهادات الأهرية التي تسمى
« العالمية مع تخصص التدريس » . وهي شهادة تحول حاملها أن يعمل مدرسا بالأزهر .
وكان حصولي عليها أثناء عمل بمسجد الطيبي . لكنني قد أخذت ضرفتي إلى الله بالدعوة في
بيت أن الله ترفع وينكر بها اسمه ، وما ترددت يوما في سلوك هذا الخرص نستقيم .
وبعد قضاء عمين في مسجد الطيبي قامت الوزارة بتوزيع استمارات على الأئمة لمن يرغب
في الانتقال إلى مسجد آخر والحق أقول : ما كنت أود الانتقال من مسجد الطيبي نولا بعد
لسقة وزحام مركبات وكثرة ما أعانيه مع مرافقي في هذا المضمار . لقد ألفت هؤلاء الناس
والفقير ، وأحببتهم وأطهروا قد يادلوني الشعور فأحوى . وما زلت أذكر هذه اللحظات
نخبة نتي كنت أتناول فيها طعام الإفطار في رمضان مع نفيف من الإخوة الفقراء بكرماء ،
فكان كل يجود بما عنده ، ويتصدر المائدة طبق الفول ، والفول في الأحياء الشعبية تمتع له
رائحة ركية يسيل لها لعاب الجائع ويقوم « عم أحمد » خدام المسجد بعمل الشاي بعد تناول
الإفطار حيث تدور الأكواب وكأنها الماء الزلال للضآء . ولشاي عند الفقراء رائحته
وطعمه الجميل وكنت أفضل معهم حتى أصل بهم صلاة القيام فكانت ساعات مباركة
وأماكن طيبة تذكرني بقول شوقي :

قد يهون العمر إلا ساعة ويهون الأرض إلا موضعا

نعم كان عزيزا على نفسي أن أفارق تلك القلوب ذوات الشفافية ، وشوق إليها يتجدد
كل يوم . وكما يقول أبو الطيب المتنبي :

حلقت ألوفا لو رجعت إلى الصبا لودعت ضيبي موجه القلب باكيا

وكنيت رغبتي في الانتقال إلى « جامع الملك » بحي حدائق القبة وبشارع مصر
والسودان ، وذلك لقربه الشديد من مسكني ويعتبر أكثر مستجد في الحي وكان بينه وبين
مسكني مسافة لا تزيد عن خمس دقائق مشيا على الأقدام بحيث كنت أسمع أذانه وأنا بالبيت
فكان ذلك دافعا لي إلى الانتقال ، فقيه توفير الوقت الضائع في المواصلات ، والوقت للداعية

سياحة في بيوت الله

أثناء عمل بمسجد « الطيبي » كنت أتنكب لإلقاء خطبة الجمعة ودروس المساء في
عدد من المساجد، ومن هذه المساجد مسجد صلاح الدين بالنبيل ومسجد « الحبيبي » بحي
السيدة ومسجد « السيدة زينب » حيث كنت أقوم بإلقاء دروس بعد صلاة التراويح في
رمضان . وفي الانتقال غير كثير حيث إن معرفة الناس كنت ، والاتصال بهم قوة والوقوف
على مشاكلهم وإبداء الحلول لما سعادة . وإن كان الحنين دائما يشدني إلى مسجد « الطيبي »
حيث لا أنسى هذه الأوقات الطيبة التي كنت أقضيها مع إخوة فقراء تتخلل مجالسهم أذكر
وصلوات على النبي المختار ، لا يحدثون بلفظ البنوك أو تشيد القصور أو أنواع السيارات
القاهرة، إنهم الذين قال الله فيهم لرسوله : ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفل قلبه
عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا ﴾ لقد كان الصدق المعصوم يسطر فم رداءه
ويجلسهم عليه ويقول لهم : « مرحبا بمن أوصاني ربي بهم خيرا » وهم الذين قال الله فيهم
لرسوله الكريم : ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه .
ما عليك من حسابهم من شيء ، وما من حسابك عليهم من شيء ، فتطردهم فتكون من الناصب ﴾
﴿ وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة ﴾
إن الجطوس مع الفقراء دواء للنفس ، فيه الشفاء ، إذا ما تجردت النفس على قضاء الله وقدره .
يقول تعالى في حديثه القدسي الجليل : (ابن آدم عندك ما يكفيك وأنت تطلب
ما يطعك ، لا بقليل تقنع ولا من كثير تشبع إذا كنت معاً في بدنك ، أما في صربك
عندك قوت يومك ، فعل الدنيا الغناء) . صدقت ربنا ويبلغ رسولك . وصدق رسولك
إذ يقول : « من أصبح وهمه الدنيا فرّق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولا ينال من
الدنيا إلا ما كتب الله له . ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله عليه شمله وجعل غناه في قلبه
وأتمه الدنيا وهي راحة » .

وإذا يقول :

« من أصبح حزينا على الدنيا فقد أصبح ساعطا على الله ، ومن شكيا مصية نزلت
فكأنما يشكو الله عز وجل . ومن قعد إلى غنى لينال من ماله فقد ذهب ثلثا دينه »
وصنفت يارسل الله إذ قلت في خطبتك الجامعة : « شوق لمن شغلته عيبه عن عيوب

لا يُقدر بمال ، وقد قالوا في الحكمة : الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك . وقالوا :
« الوقت من ذهب » .

وكفناك الله شر انتظار المواصلات . إن انتظارها في حاجة إلى رصيد من صبر ، وقد جعلت وزارة الأوقاف للمساجد رجالاً ستمهم بالمفتشين . فقد تحوّل المساجد إلى مصيبيها العطل في الطريق ، ثم تذهب إلى المسجد متأخراً فيخبرك حادهم المسجد بأن فضيلة المفتش قد مر ، وقد ترك تأشيرة في دفتر الأحوال فتقرأ التأشيرة فإذا هو قد كتب فيها : « مررت بعد العصر وإمام غير موجود ولم يفتنر وعليه الحضور إلى الإدارة للتحقيق معه » . التوقيع فلان الفلاني مفتش المساجد .. إلى غير ذلك من المآسى . وقد شاء الله تعالى أن يسر هذا الأمر ، فكان يجمع الملك خطيب قبل طلب نقله إلى شبرا قريباً من مسكه وأصبح المكان شاغراً . فانتقلت يوماً عناء أو بئس جهد والله إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون .

في مسجد الملك

في ليوم الخامس من شهر مايو ١٩٦٤ بدأت العمل حفيًا ومدرسا وإماما في هذا المسجد . ويقع هذا المسجد في منطقة حدائق القبة في شارع مصر والسودان وفي حي دير الملكا غبط به مجموعات كثيرة من الصاري . المسجد في بناء فخم ضخم ، فرشت أرضه بسجاد « حر » ونقش سقفه نقشا فنيا بديعا وجهاز صوت فيه قوى ، وأجهزة التوبة والنوافذ تمش النفوس . وذكرني هذا بحال المساجد في نحر الإسلام ، وحالها في أيامنا هذه . قسى فجر الإسلام كانت المساجد في غاية البسطة والتواضع . ومسجد الصادق المعصوم خير شاهد على هذا ، فقد كان سقفه الجريد وكانت أرضه الحصباء ، ولكنه خرج المعلقة . فقد تخرج فيه المصلح العظيم كائى بكر والزعيم المنهم كعمر ، والحقى الكريم كعثمان ، والمبقرى الفذ كعل ، والقائد الجبار كخالد ونفى الحير كابين عباس ، والمحدث الجليل كائى هريرة ، وأستاذ الزهد كائى ذر ، والفيلسوف البار كسلطان الفارسي . فاسألوا للترج في أى الجامعات تخرج هؤلاء ؟ لم يخرجوا في جامعات الشرق أو الغرب إنما خرجوا في جامعة عميدها المصطفى محمد ﷺ . يعنى امتداد العصور والدمور خرجت المساجد عبقرية البشر وأساطين الفكر وجهابذة العلوم وساتنة الأخلاق والحضارة والثقافة فابن سينا والفارابي وابن البيطار وأحسن بن الهيثم وجابر بن حيان والخوارزمي وثابت بن مرة والجاحظ والبتائي . هذه نجوم لمت ومسطعت في سماء الدنيا في الكيمياء والفيزياء والأحياء والطب والرياضة والفلسفة والفلك ، ونقل الغرب عنها وأقم حضارته على ما أبدعت وأنجرت . عبرت تلك العلوم وهذه الحضارات والنفوس إلى الغرب عن طريق الأندلس

والحروب الصليبية والقسطنطينية ، فسقطت في سماءها بالزمن وتلدن وواشتطن وغيرها من العواصم ثم نظرت إلى حال المساجد في عصرنا هذا وكيف صارت عملاقة شائعة البناء ولكن بناء القلوب والنفوس يمثل النزر اليسير . فماذا حدث ؟ لقد حذر الرسول ﷺ من زخرفة المساجد حتى لا يكون ذلك على حساب الجوهر الأصيل . فقال : « إذا زخرفتم مساجدكم وحلیم مصاحفكم فالدمار عليكم » . ذلك لأن كثيرا من الناس قد يشغله الظاهر فيصرف إليه عن الباطن وتشغله القشرة عن اللب . فيقول عن رسالة المساجد التي قال الله تعالى بها : « في بيوت أدن الله أن ترفع ويدكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار » . لقد كانوا يفخرون قديما بالدين يتلقون علومهم في ساحات المساجد فيطعنون على الواحد منهم نقب « هذا مسجدي » كما تقول نحن اليوم « هذا جامعي » .

كان الجمع الذي يصل في جامع الملك غير كثير ولقد كنت أتردد على هذا المسجد وأنا طالب بالأزهر قبل أن أعمل بالمساجد الأهلية فكان الحاضرون في صلاة الجمعة يقفون في صفوف متباعدة بحيث يكون بين الصفين مكان يتسع لصفين آخرين . وكانت التوعية التي تؤم هذا المسجد من الطبقة الخففة فيه من السجاد والنظافة ما يفرى هؤلاء بالذهاب إليه ، وكان بالمسجد حديقة غناء ملحقة به ، وقد اعتمدت على الله تبارك وتعالى ودعوت إليه على بصيرة ، وأقبل تاسر على الدروس والخطب ، وأخذ العذد يزداد في دروس المساء التي كانت تمتد من المغرب إلى ما بعد العشاء كل يوم . وقد تنوعت مواد الدراسة فيها من تفسير إلى حديث إلى فقه إلى تاريخ إلى عقيدة إلى أخلاق بالإضافة إلى خطبة الجمعة ودرس بعدها وخصصت الوقت من بعد صلاة العصر إلى آذان المغرب للإجابة عن الأسئلة والفتاوى وحل المشكلات ، كما فنت بالإشراف على المدرسة المخصصة لتحقيق القرآن الكريم . والملحفة بالمسجد فانت كلها في غير وبركة . ولما كان الكثير من الطلبة في حاجة إلى دروس التقوية في المواد ولا يجيئون ما يتفقون فقد دعوت إلى التدريس للكيار والصفار في دروس التقوية وفي تحف المراحل الدراسية حتى الشهادة الثانوية واشترطت أن يكون ذلك بالجان .

وقد اخترت لذلك إخوة نلروا نفوسهم لله . وكنت أقوم بتدريس اللغة العربية لطلبة الثانوية . ويقوم أخى الفضل « عبدالرحمن الزيني » بتدريس اللغة الإنجليزية ويقوم إخوة آخرون بتدريس بقية المواد . وسارت الأمور في جو معتدل بحمد وحزم واجتهاد ، كما سارت أمير المسجد بنظام وجد . وضاق المسجد بالمصلين يوم الجمعة ، فشرع أحد رواد المسجد بتشييد بناء على أرض الخديفة بقي المصلين شدة الحر والجد والمطر . وضاق لباء بالمصلين ولم ينق هناك موضع قدم في أرض الخديفة ، فقمنا بشراء كميات هائلة من الخضر حيث فرشنا بها الشوارع المحيطة بالمسجد حتى ضاقت هي الأخرى مما كان يؤدي

إلى تحويل مرور السيارات من شارع الملك إلى شارع آخر - ورأيت أن أجعل رسالة المسجد رسالة عامة تنظم أنشطة المجتمع ، فجعلته يمثل خمس وزارات الثقافة ، والإرشاد في خطبة الجمعة ، ودروس المساء ، التربية والتعليم في التدريس للطلبة ، الصحة وذلك عندما دعوت الأطباء لمعالجة الفقراء بالجان فلبى عدد كثير منهم النداء فأرسلوا إلينا بتذاكر العلاج في مختلف التخصصات الطبية فكان الفقير يأخذ التذكرة الخاصة بمرضه ويذهب بها إلى عيادة الطبيب مرفوع الرأس موفور الكرامة دون أن يكون هناك عوائد مالية لكنه كان المقصود به وجه الله تعالى : ﴿ ما عنديكم ينقد وما عند الله باق . ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ . ولقد تقدم بعض الصائدة لصرف الفداء بجانا ، وكان المسجد أيضا يمثل وزارة العدل . فقد تكونت لجنة للمصالحات ونقض الشراعات والفصل في الخصومات . وكمن مشاكل تحلت بإذن الله وقد كادت تدمر بيوتا وتقوض نفوسا . كذلك قامت بالمسجد لجنة تمثل الشئون الاجتماعية تبحث أحوال الأسر الفقيرة ، فنجري عليها المعونات الشهرية والكسوة في الشتاء والصيف ، بالإضافة إلى المواد تموينية في الأعياد والمواسم وتوزيع اللحوم في عيد الأضحي فقد يكون هناك بيوت لا ترى النعم إلا قليلا يقول فيها شاعر النيل حافظ إبراهيم :

عزّت السلعة الدليلة حصى بات مسح الخداء عطلا جحاما
وغدا القوت في يدي الناس كالباقوت حتى نوى التقير الصيام
ويخال الرغيف في البعد بدرا ويظن اللحوم صيدا حراما
إن أصاب الرغيف من بعد كد صاح من لي بأن أصيب الإدام
أيما المصلحون ولقا بكم يوم قيد العجز شيخهم والغلाम
وأغشوا من النفوس غلا قد تحت مع الغلاء الحمام
أنقلوا أنفسا أضرب بها الفقر وأحيا بموعنا الآثام

الحاقدون يتحركون

ما من عمل ناجح في الحياة إلا وتكتفه شذائد ومحن ، فالحاسدون في الدنيا كثير ، والنفوس المريضة تملأ جنبات الحياة وتعربد في عرصات الدنيا وتنفث سمومها الناعبات . وخفايش الظلام تسمى عن رؤية الأجسام البينة لنا في ضوء الشمس . وقد جعلت شعارى دائما في حياة قول الله جل شأنه : ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليعزل المؤمنون ﴾ . فكل إنسان يعمل في ميدان الدعوة أن يتحل بالصدق والأمانة والصبر والشجاعة وأن يقول الحق ولو كان مرا ولا يخشى في الله لومة لائم :

اصبر على كيد الحسود فإن صبرك قاتله
فانار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

وعلى الداعية ألا يضيق صدرها بالأمر فالليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر ، وكلما اشتد الكرب هان ، والعظام كنفوها العظماء ، فلا يكن في صدره حرج من قول الأعداء وتقول الشائنين :

ولا تجزع خادفة الهالي فما لحواذ الدنيا بقاء
وكن رجلا على الأحوال جلدا وشيمتك السحابة والولاء
يفطى بالسحابة كل عيب وكمن عيب يغطي الحياء
إذا ما كنت ذا قلب قنوع فأنت ومالك الدنيا سواء
ومن نزلت بساحه النابا فلا أرض تقيه ولا سماء
وأرض الله واسعة ولكن إذا نزل القضا ضاق الفضاء

وليعلم الدعاة إلى الله أن طريق الدعوة ليس مفروشا بالورود والأزهار ، إنما الطريق صعب تحفة الشدائد والمحن ، فمناذا تتوقع لعمل نجح النجاح المرجو منه في كل المجالات وشئى الميادين . ضاق المسعد برواده ، وضاعت الأماكن والطرق التي تحيط به . وأدت المدرسة دورها كاملا غير مقوص ، ونجحت لجانة خمس . والذي أراه جديرا بالذكر في هذا المقام أن أعدادا كثيرة من النصارى أعلنت إسلامها وجاءت إلى المسجد تسمى بوجوه مُسفرة ضاحكة مستبشرة . وكان للمسجد حفلات يقيمها على امتداد العام يندؤها بالاحتفال بذكرى الهجرة النبوية الشريفة على ذلك الاحتفال بذكرى المولد النبوي الكريم ، بلبه الاحتفال بذكرى الإسراء والمعراج ثم يأتي شهر رمضان فقام فيه الاحتفالات بفروة بدر وقبح مكة وليلة القدر . كل هذا النجاح كان دافعا قويا وحافزا ضاغطا لنفوس مريضة أن تتحرك في الظلام تريد أن تنفخ نور الله بأفواهها وبأنى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون . هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون . لقد أقنعا للنصارى الذين أسلموا حفلا إسلاميا ما زالت ذكره ترن في الآذان وتسمى صربان الكهرياء في أسلاك البلاتين . لقد هاجت عقارب البفضاء وتحركت ثعابين الحقد في قلوب أصيبت بدهاء الخد وكفى به فأخذت تحيط تحيط عشواء ، وأخذت الشكاوى الكيدية تتوال والأحقاد ترحف . فبدأت الاستدعائيات إلى جهات الداخل فيها مفقود والخارج منها مولود .

الأحداث تتابع

وإنما قلت «الأحداث تتابع» ولم أقل «الأحداث تبا» لأن الأحداث قد بدأت منذ زمن غير قريب . أذكر وأنا أصغر في مساجد إحدى الجمعيات الإسلامية كنت ألقى درس المساء يوم الجمعة من المغرب للمساء وكان هذا المسجد يسمى «مسجد المنول» وبلغ في حنى الشراية . وأشهد أن هذا المسجد كانت له فتحات وبركات وكان رواده من ذوي النفوس المطمعة وأصحاب القلوب الطيبة الراضية بآفة . كان يقع بالقرب من هذا المسجد مسجد يتردد عليه كثير من رجال الوعد . وكان يشرف على هذا المسجد الغريب من «مسجد المنول» رجل يعمل بالوعظ . لكنه كان يدعو كبار الوعاظ ليلقوا الدروس في هذا المسجد الذي يقوم بالإشراف عليه . وقد تحركت نفسه بما لا أحب أن أذكره من عبرة وحسد على وعلى الرواد الذين تكاثروا عندهم يوم حد يوه حتى بلغ من حسده أنه بعى وضى . والرسول ﷺ كان يقول : «إذا حسد أحدكم فلا يهني» ومن ما حاد قوله حل شأنه «ومن شر حسد إذا حسد» فقد قيد الله تعالى الحسد بها بالحسد مع أنه حسد ذلك لأن المقصود (إذا حسد) أى يهني وانتقل من مرحلة زوال العمة إلى مرحلة الأذى والى والغفان وإلا فإن الحسد والضرة والظن لا يسمي بها أحد . لكن ضيق القلوب ﷺ بعد ما شخص الداء وصف الدواء في قوله : «فإذا حسد أحدكم فلا يهني وإذا تعثر فلا يرجع وإذا ظن فلا يظن» أى طه جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : «إنكم والظن فإن الظن أكذب الحديث» ولا تحسوا ولا تجسوا ولا تنجسوا ولا تبغضوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا .

بلغ من بنى هذا الرجل على أنه كان كثيرا ما يقدم شكواى الكيدية إلى جهات قد يكون ضررها فادحا . وكان كثيرا ما يكتب في شكواه نسي لا أدعو للحاكم من فوق المنبر... إلى غير ذلك من التكاذب والمصائد والشباك والشبهة . وهو يعلم أننى ضالبا أسأل الله تعافى والمغفر... يحدث أنه أراد أن يوقع بنى وبين أحد لشيوخ بحث يظهر أمام هذا الشيخ (وكان من كبار الوعاظ) أننى بالنسبة إليه قبل تعد . فعدا إلى حفلة تقام بمناسبة الهجرة النبوية الشريفة وقال إن هذا الحفل سيقصر عن شيئين اثنين كنت أبا أحدهما وكان الآخر هو الشيخ «عبداللطيف مشتهرى» وأراد أن يضرب كلا ما بالآخر . ولم يكن قد استأذنى قبل أن يعلن اسمي . لكنه بذلك قد وضعى في وضع حرج : فإما أن أضرب عن حضور فتكون الصورة غير كريمة لأنه حفل ينعتق بذكرى من أعظم الذكريات لأعظم

الرجال فكيف أضرب ؟ وإن أنا أجبت الدعوة فقد يحدث مالا ليعمد عقابه من هذا الرجل . فالحمل سيقام في مسجد يشرف هو عليه وله أعوانه وأنصاره وبطائه . لكن من كان الله معه فمن عليه ؟ ومن وجد الله فإنا فقد ؟ فمن اعتمد على ماله قل ومن اعتمد على الناس مل . ومن اعتمد على جماعه قل ومن اعتمد على حلمه قل . ومن اعتمد على عقله ضل . ومن اعتمد على نفسه احتل ومن اعتمد على الله فلا قل ولا مل ولا دل ولا زل ولا ضل ولا احتل .

قال نعال : «فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون . قال كلاً إن معى ربى سيدين . فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق . فكان كل فرق كالطود العظيم . وأرسلنا لثم الآخرين وأنبأنا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين» . وحل حبيب الحق إذ يقول عن الحبيب وصاحبه : «إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا» وقد قالوا في الحكمة : خير علاج للشدة الصفاها .

فكذلك أسلم طريق للحروح من هذا المأزق أن ألقى الدعوة معتصدا على الله وحده . وأعلنت على المصلين استعاضة بالدعوة كما أعلنت الزمان والمكان الذى سلتقى فيه وذهبت إلى المسجد الذى سيقام فيه الحفل . فجمع الناس ليقات يوم معلوم . وازدحم المسجد بالمصلين حتى درج السلم . وكان حفلا شاعرا . وكان أكبر طلى أن كثيرا من الحضور ما كانوا يسمعون درسا أو علما يقدر ما كانوا يشهدوا مباركة بين ناديين . وحضر الشيخ «مشتهرى» وحضرت قبل المغرب وكان في سن والدى . وأذن للصلاة ثم قما فصلينا ركعتين قبل المغرب قال عنهما الصادق المنصور ﷺ : «صلوا قبل المغرب» لمن شاء . وأقيمت الصلاة . فأقسم الشيخ لأصلي إماما فكانت هذه الحظوة بمثابة نصر من الله وفتح قريب . فما كان أحد من الذين جاءوا بقصد رؤية نصر مادي بفهمهم المتواضع يوقع هذا . وبعد الفراغ من الصلاة وختامها ساد المسجد صمت عميق . فالكمل يتساءل في نفسه : من الذى سيحدث أولا ؟ فإذا تحدثت أولا وتحدث الشيخ بعدى فقد يستطيع بعلمه أن ينسى الناس ما سمعوه منى . وإذا تحدثت أولا فقد يحبط بجميع العناصر المتعلقة بموضوع الحديث في ذكرى الهجرة : فإما أن أعيد ما قال فأضرب في حديد بارد وإما أن أتحدث في موضوع غير الموضوع المتخصص للحفل فيكون هذا هروبا منيا على إفلاس علمي وتلك لالة الأتالي . وهذا ما كان يفكره أنصار هذا الذى دعا إلى الحفل . لكن فرق تدبونا في تدبير «وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون» .

واسترق الله مما في جزائه. فإن رزقك بين الكاف والنون
واستقر بالله عن دعا الملوك كما استقرت الملوك بدنياهم عن الدين
كما يحبني قول القائل:

النفس تجزع أن تكون فقيرة والفقر يحير من غنى بطنها
وغنى النفوس هو الكفاف فإن أبت فجميع ما في الأرض لا يكفيا

نرح بحرين بفرالين ونفر بفرين بفرتين وغسل عديني أسودين حتى بصروا كأيضين
وكنس أرض الحجاز في يوم شديد الهواء برهتين خير لي من أن أقف على باب ليعم بضيع فيه ماء
عيني.

هي القاعة فاحفظها تكن ملكا لو لم تكن لك إلا راحة البدن
وانظر لمن ملك الذي بأجمعها هل راح منها بغير القطن والكفن
ولست أرى السعادة جمع ما ولكن التقى هو السعد
وتقوى الله خير الزاد ذخرا وعند الله للأتقى مزيد
وإذراك الذي يأتي قريب ولكن الذي يمضي بعيد

ليست السعادة في الانشاء بالكفوس المترعة، ولا في الاستمتاع بزخارف الحياة،
إنما السعادة بمكة بقيمها الله تعالى في غيب يتربع على عرشها الرضا قال عليه السلام: «أرض بما
قسم الله لك تكن أغنى الناس» فأمل معي الحمد كيف يفعل، وأعجب معي للحمد ماذا
يصنع. كيف تحرك إنسان لمن الخير عن أخيه المسلم. سبحانه يامن قلت: «ولا تطع كل
حلاف مهين. فماذا مشاء بميم. مناع للخير معند الأمم». وصلى الله وسلم على سيد
البرية ومعلم الإنسانية الذي قال: «ألا أخبركم بشرائكم؟ قلنا: بل قال: من أكل
وحده، ومنع رفته وضرب عبده. ألا أخبركم بشر من ذلكم؟ قلنا: بل قال:
من لا يقبل عثرة ولا يقبل معذرة ولا يفر ذنبا. ألا أخبركم بشر من ذلكم؟ قلنا: بل.
قال: من يفيض الناس ويفضونه».

شدائد ومحن

اصبر على كيد الحسود فإن صبرك قاتله فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

دلمت الخطوب واحتدمت النيران وكشّرت قوى الشر عن أنيابها تحاول اقتلاع شجرة
طيبة من مكان ضيق، إنها شجرة الدعوة إلى الله في جامع الملك. فوجئت في شتاء ١٩٦٥

استدعاء إلى أحد جهات الأمن، ولأول مرة في حياتي أدخل مثل هذه الأماكن؛ وإذا
مقصود من هذا الاستدعاء إبداء شديد البهجة مع صوت الخارجى للمسجد أثناء إلقاء
عروس ساء. وقت لي مضي لا ميع، وليقتصر الدرس على الحاسب داخل المسجد لأني
قد فهمت من هذا الاستدعاء أن المسألة ليست مسألة صوت داخل أو خارجي فليس دلت
من الأهلية بمكان. فانصوت الخارجى في جامع الملك لا يمثل أي فتح لأحد من نقاضين
حول مسجد، فمذبح بيت دته لا تكف لسيارات عن ذروعه حيلة وذهاها، ليلا ونهارا،
وهو صوت مفرقة. مع يكن الدفع إذن قنقا أو فرعا لأحد إنما كان من باب قول الذوق
سبحان: «لقد عكبت سبي ماء» لذلك تنقبت مسألة حكمة وصبر، ليست لشجاعة
بغير. «بما حجة» في حق نوب أن تسمح للأحرار أن ينساقوا على كنفيت. ومنع
صوت خارجي. وحده كثير من تقصير حول مسجد بطنين بإعانة فقد كان يستمعون
من الخروس وهو في بيوتهم أن تؤذوا لعشاء. وتقدموا بكثير من الشكوى إلى جهات
مخصصة بصوت بيت قرب من سفوس كاد وهواء وصعب.

إذا الإيمان ضاع فلا أمان ولا دينا لمن لم يخني دينا
ومن رضى أخية بغير دين فقد جعل الفناء خا قريبا
ولكن شكواهم دعت فزاح الرياح، وكانت كما قال شوقي

شد تلك دما غير راعية ورب مستمع والقلب في صمم

وبعد أيام من معاصوت، جاءت استدعاء آخر من نفس الجهة، وذهبت إلى هناك
عملا بقول الله جل شأنه: «وإصبر وما صبرك إلا بالله. ولا تحزن عليهم ولا تك في
ضيق مما يمكرون. إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون».

وسنت في هذا الاستدعاء: ماذا لم تمنع صوت الخارجى؟ فأجبت: لقد سمعته
فلم يحدث هذا. قلت: لقد حدثت ولست يكذب. واحتدم القاش، وكان لابد أن
يحدثه لأن البيت لم تكن حالصة من الطرف الآخر. وتطورت لأمر من سبي. بن

دعوة إلى الجامعة

في عام ١٩٥٦ جاءت بعض طلبة جامعة عين شمس ووجهوا إلى دعوة لإلقاء محاضرة
للطبعة، فلبيت دعوة كما كنت أحي أي دعوة في أي مكان ولو كان قريبا وأتيت المحاضرة
وعُدت فيها عن دعوة الإسلام وأنت علية، وما تقوم على المسؤولية كما أخبر بذلك

الصادق المصوم في قوله : « كلكم راع وكلكم مسئول عن وجهه » . ثم تحدث عن توزيع المسؤولية من أول الإمام إلى الرجل في بيته والمرأة في مال زوجها ، حتى شملت المسؤولية من أول الإمام إلى الرجل في بيته والمرأة في مال زوجها ، حتى شملت المسؤولية الخادمة في بيت سيدها . ثم بعد ذلك طال الحديث في شرح هذه الكلمة الطيبة التي نطق بها القيم الشريف « فم رسول الله ﷺ : ما من راع إلا حذر عشرة - إلا حذر يوم القيامة يده - مغلولان إلى عقه حتى يذبحه العدل أو يوقه الجور . ونطرق الحديث إلى مسؤولية القاضي بين الناس . وذكرت في ذلك حديثاً رواه الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « يؤتى بالقاضي العدل يوم القيامة ليلقى من الحساب ما يتخفى معه أنه لم يكن قاضي بين اثنين في قمرة » .

ثم عتبت بعد ذلك بالحديث عن المسؤولية في ساحة العدل يوم القيامة أمام أسرع الحاسنين وأحكم الحاكمين وأعدل العادلين . ورويت في ذلك قول الصادق الأمر : « لا تقول أقدم عهد من بين يدي الله عز وجل حتى يسأل عن أربع : شباك في أمته وعمره في أمته ومالك من أين اكتسبه وفي أمته وعلمك ماذا صنعت فيه ؟ » . وعنت الخضره بنته وجهته إلى الضمة : قلت : تريد منكم شيء المنعم ، والضبط المسلم ، واشهد المسلم والمدرس المنعم ، والعيسى نفسه ، وحبب المسلم ، والمهمي المسلم ، وخدي المسلم ، واتخذني المسد ... وكان تكلاء في من هذه الموضوعات يتر حطرا يودي بصاحبه إلى غيب السجون ، ومهاوى الردى ، ولكن القلب إذا خردت هانت عليه الدنيا ، فمن خاف الله خوف الله منه جميع خلقه ومن لم يخف الله خوفه الله من جميع خلقه : قال ﷺ : « من أَرْضَى الله بإسقاط الناس كفاه الله ما بين الناس ومن أسخط الله بإرضاء الناس وكله الله إلى الناس . ومن أصلح سيرته أصلح الله علاقته » . وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « من تزين للناس بما يعلم أنه منه خلاف ذلك هنك الله ستره وأبدى فعله ورحم الله من قاتل نرجسها :

فليكن محلوا والحياة مريرة وليكن ترضى والأمام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر ويسى وبين العائين خراب
إذا صح ملك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب

جمعية الهداية بمدينة السويس

من المساجد التي كنت أتورد فيها لإلقاء بواظف مسجد شهيد بالسويس فقد كنت نقود خطبة الجمعة فيه عن جرات متعددة ، وه كنت أدري مد وراء الحجب وما حدث

الافتداز . كذلت كنت أتورد على مساجد كثيرة لكن في غير يوم الجمعة ، لإلقاء دروس النساء بها في كل شهر مرة . فمن هذه المساجد مساجد الحلة الكبرى حيث التجمع العمال الكبير في شركة نجر . فقد رأى رئيس مجلس الإدارة - وكان رجلاً صالحاً أحسبه كذلك - رأى أن العلاج لتسليم لباه الفوس على الصدق والأمانة ومقاومة الانحرافات إنما يكون بتعاليم الدين وتقوية شرقة بين المد وره « أهد الله كآلتك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

وَأَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ . ما يكون من لجوى ثلاثة إلا هو راعيه ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أيها كانوا ثم ينتهم بما عملوا يوم القيامة . إن الله بكل شيء عليم .

بست متعددة الفرد أو التجمع في تشيد الفصور ، وليست مقصورة على بناء مصانع فلما قيمة نضع إذا كان الذي يديره حاوى القلب ، سقيم الوجدان ، مريض الضمير . يأكل الثرات ككلاء ونعم الله حيا حيا ، لا يراعى في ذلك إلا ولا دمة ولا يرقب ككلاء ولا سة .. لا يمكن أن تقوى أخية بلا دين ، كما أنها لا تستقيم بلا خلق جيد .

وإذا أصيب التوه في أخلاقهم فاقم عليهم ماأنا وعويلنا
وتما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا
ونيس بعاصر بيان قوم إذا أخلاقهم كانت خرابنا

وقد أصاب ليلسوف الإسلام ، محمد إقبال ، كبد أخفيلة عندما قال :

إذا الإيمان ضاع فلا أمان ولا دنيا لمن لم ينمي دنيا
ومن رعى الحياة بغير دين فقد جعل لقاء لها قرينا

عسانا نون « بنشاور نيكسون » حكم الولايات المتحدة قال في كلمة ألقاه من الشعب لأمرىكى : « إن الولايات المتحدة لا تعاني أزمة مادية ، إنما تعاني أزمة روحية لقد وجدنا أننا انشأنا في السلع ، لك فقراء في الروح ، نصل في قرب عظيم إلى القصر . كسا نسقط في خلاف حاد على الأرض » .

عسانا نون « بنشاور نيكسون » حكم الولايات المتحدة قال في كلمة ألقاه من الشعب لأمرىكى : « إن الولايات المتحدة لا تعاني أزمة مادية ، إنما تعاني أزمة روحية لقد وجدنا أننا انشأنا في السلع ، لك فقراء في الروح ، نصل في قرب عظيم إلى القصر . كسا نسقط في خلاف حاد على الأرض » .

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق الأم روض إن تمهده الحبا بالرى أورى إنما إبراق

نعم كان عملا ناجحا أن تلقى المحاضرات الدينية على العمال . فالدين هو الحياة ولا حياة بلا دين .. كنت أتردد على مساجد ائمة الكرى ومساجد تقرأ الشريعة لها . وكنت أعد اليوم الذى أنقضى فيه بيولاء الإخوة يوم عبد من أعباد ندعوة إلى الله . كذلك كنت أتردد على مسجد الجمعة الشرعية بمدينة المنصورة ، أنقى بأهل الدفينة في يوم مشهود يجتمع فيه الناس ووجوههم تفيض بشرا وسرورا وقلوبهم مضطربة مرضية .. كما كنت أتردد على بعض المساجد في مدينة أسوان ، حيث كنت أنقى بأهل هذه المذبة الطيبة وهم قوم عرفوا بتهلة القلب واليد واللسان ، عرفوا بالأمانة وإكرام صيف وحسن الخفامة . وهكذا كنت أتردد على تلك البلاد وغيرها أنشر كلمة الله خالصة لا رياء فيها ولا سمعة ولا غموض ولا لبس . وكانت السعادة العائرة انى لا تقفها سدة أن تجلس لماعة بين مسلميه يصيح السمع إلى مشاكلهم وأسئلتهم ، فيحل المشاكل وينجب عن الأسئلة . إنها منعة نسبية تثبت على الإنسان أفضل نفسه ويشرق ضياؤه في حوت فؤاده .

صيف ساخن

في أغسطس عام ١٩٦٥ رُجت الأرض رجا ، وهت رباح موج اشتدت كأنها رعاد في يوم عاصف ، فقد أظلت الفتنة برأسها تحاول اقتلاع شجرة الدعوة الإسلامية ، عذب وقت حاكم الدولة أمام قبر لينين في موسكو يومه ويهدد ويرغى ويريد : يهدد بالشور وعظم الأمور ، يهدد كل العاملين في مجال الدعوة الإسلامية ونسب ربه فأبده الله نفسه حتى قال إننى لن أرحم . وأقسم أنه لن يعفو بعد اليوم مع أن الذى يعفو ويرحم وينتج الرحمة والنفور هو الله . ولكن ما أشقى الإنسان إذا استحوذ عليه الشيطان فساء ذكر ربه في أولئك حزب الشيطان ألا بن حزب الشيطان هم الخاسرون . إن الذين يهادون الله ورسوله أولئك في الأولين . ما أصعب هؤلاء الجبابرة إذا نسوا أنهم بشر وأنهم لن يخسروا ذهابا ولو انصنعوا له : في وإن يسلبهم الديار شيئا لا يستغفروه منه . ضلع الطالب والمطلوب ، ما قدروا الله حق قدره ، إن الله لقوى عزيز .

وما أشد جهلهم عندما يدعون أنهم أقوياء يملكون خزائن رحمة ربهم أنهم كمثل الصكوت تحتت بينا وإن أوهن البيوت تحت الصكوت لو كانوا يسمعون . والحكمة بالغة بقر الله تلك خفيقة في كتب الله لأخيلنا أنا ورسول إن الله قوى عزيز . ومن آياته حل

شأنه أنه يعامل الجبابرة بأسلوب لا ترقى إليه أفهام البشر بما حروفه عدي ما قال : في أنا أحيى وأميت في سبط الله عليه بهوضة أخذت تظن لي رأسه ، فكان لا يتسرع إلا إذا ضرب بالحل على أم الدماغ . وفرعون لما قال : في أنا وأهلكم الأجل . وقال : في بأيتها الملائكة ما علمت لكم من إله غيرى . وقال : في أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي . كان الجزاء من جنس العمل ، فأجرى الله الأنهار من فوقه في حتى إذا أدركه الفرق قال : آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين في فعاه ارد حاسما : في الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ؟ فاللهم لنجيتك أيدتك في لم تأتى الحكمة ناطقة بلسان البين ومنطق الحق المبين في فتكون لمن خلقت آية وإن كثروا من الناس عن آياتنا لغالطون .

وما كان أصعب فاروق عندما عرّه ماله فقال : في إنما أوتيته على علم عندي في فكان خيرا أن حسف الله به وبداره الأرض في لما كان له من فنة يصبرونه من دون الله وما كان من المنصرين في . ولما في سورة القصص ذكرى لمن كان له قلب أو أنقى السمع وهو شهيد : فقد عرضت لآتين من جارية البشر : الفرعونية الحاكمة والقارونية الكاذبة ، لم جاء الحدة في قصة فرعون : في فأخذناه وجوده فبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين . وحملناه أمة يدعون إلى الار . ويوم القيامة لا ينجسون . وأبصمهم في هذه الدنيا لمة ويوم القيامة هم من المفلوجين في . وجاء حتام القارونية الكاذبة في فخلصنا به وبداره الأرض ، فما كان له من فنة يصبرونه من دون الله وما كان من المنصرين وأصبح الذين عموا مكانه بالأمس يملكون : ويكأن الله يسقط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر . لولا أن من الله علينا لحسف بنا . ويكأنه لا يملح الكافرون في . وجاء النقيب بعد ذلك عن النفس حارما وفيه صراحة ووضوح : في تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا لسادا والعالية للمتقين في . وجاء الختام شاهدا بمظلة الله وانفراده سبحانه باستطاعته وإنشاء واحلال والكمال ، فهو صاحب العزة القالمة والمملكة الدائمة في تعالى : في ولا تدع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو . كل شيء هالك إلا وجهه . له الحكم وإليه ترجعون في .

ول في سورة الصكوت عبرة وعظة ، وللخبرة فيها درس بدمى القلوب ولا يمسى عن مر الأبه وتظنون لأمان و آمان . فقد نص الله تعالى لها أحبار أقوام استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا . بدأ الحديث عن هؤلاء الأقوام بقديم نوح ونسب بقوم إبراهيم ، ثم ذكر بعد ذلك قوم لوط ثم حدث عن قوم شعيب ، ثم أخبرنا عن عد ونمود وفرعون وفرعون ودمان ثم كنت اعدفة تكذب حساوات ينسرفون منها وتشتل الأرض وتخر اخلا من . في من : في فكلا أحما بذنية . فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا . ومنهم من أخذناه

الصيحة ، ومنهم من خسفنا به الأرض ، ومنهم من أغرقنا ، وما كان الله يظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴿

ومن جلال القرآن وحكمته البالغة أن يسمى هذه السورة التي استفاضت بذكر الجبابة - يسميها بسورة العنكبوت - مع أن الجبابة قد برزوا في هذه الصورة بشكل يبرز القلوب من أعماقها . لقد بلغ بهم الغرور أنهم قالوا : من أشد منا قوة ؟ وجاء الجواب من الله ، وفيه ما فيه من المعالي ذات العمق . قال تعالى : ﴿ أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة ؟ وكانوا بآياتنا يمجدون ﴾ لقد سماها الله بسورة العنكبوت لما جاء في قوله جل شأنه : ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ﴾ .

نعم استمر بقدر الله فهو كالعنكبوت اتخذت بيتا تحتمى به وأوهن البيوت بيتها ، فمن اتخذ وليا أو ناصرًا دون الله مهما كان النصراء والأولياء جبابة فقد اعتمد على مراب بقية يحسبه الضمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا . نعم إنه إذا اعتقد ذلك فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق ﴿ إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾ .

ثم زحفت جيوش الإسلام لفتح بلاد فارس أرسل كسرى جبار الفرس إلى امبراطور الصين يطلب منه المدد والنجدة وأخبره بالإنذار الذي أرسله إليه سيف الله المسلول ، حائد ابن الوليد ، وقال فيه : يا كسرى أسلم تسلم فقد جئتك بقوم يحرقون على الموت كما تحرقون على الحياة . فماذا كان جواب امبراطور الصين على كسرى ؟ رد عليه قائلا : يا كسرى لا قبل لي بقوم لو أرادوا خنق الجبال لخلعوها !!

يد الله تعمل في الخفاء

ذات يوم من أيام شهر أغسطس عام خمسة وستين وتسعمائة وألف وكان يوما قاتضا شديدا آخر كأن شمسه طلعت من بين ثرمال لا من بين السحب وكان الجو كله يندثر بالبروق والرعود والمواصف والصواعق ضد الإسلام ورجاله ، فوجئت بالباب يطرق طرقات عنيفة ، وبمجرد أن فتح الباب دخل جماعة غلاظ شداد وقاموا بعملية التفتيش ، وكانت جنابة لا تُغتفر إذا تم ضبط أي كتاب لشهيد الإسلام الأستاذ « سيد قطب » خاصة كتاب « معالم في الطريق » . وكان هذا الكتاب بين يدي يقرأ في فيه ، لكن الله سلم فلم يمتبه

أجبت لهذا الكتاب . أمروني بارتداء ثيائي لأتني سأذهب معهم إلى أين ؟ ولماذا ؟ وعما أسأل ؟ لست أدري . ولماذا لست أدري ؟ لست أدري . وحاول بعض الإخوة أن يصحبوني ، ولكن لم يسمح لهم لأنهم صمموا أن اتهم فردا ، وبعد إلحاح شديد من شقيقى سمحوا له بالركوب معي في سيارة عسكرية ذات مقاعد خشبية غليظة . وانطلقت بنا السيارة تهب الأرض نهباً . وبعد بضعة أمتار ، أمر أخى بالنزول فنزل وظللت وحدى بين قوم لا عهد لي بهم وكأني في سرير المنايا لا أدري ما يفعل لي . وكأن السيارة تقول بلسان حافا :

« أنا سرير المنايا كم سار مثل بئلك »

لكن من أراد مؤنسا فله يكفيه . ومن أراد حجة فالقرآن يكفيه . ومن وجد الله نساذا فقد ؟ ومن كان الله معه فمن عليه ؟ ويرحم الله من قال بناجى ربه :

ولقد جعلتك في الفؤاد محذرا وأبحت جسمي من أراد جلوسى
فالجسم منى للجلس مؤانس وحبيب قلبي في الفؤاد أنيس

قال أحد الصالحين لمريده : إذا ذكر الصالحون نزلت الرحمة . فقال له أحدهم : فكيف إذا ذكر الله تعالى ؟ فأطرق الشيخ مليا ثم قال : إذا ذكر الله نزلت الضمانة . أو ما قرأت قوله تعالى : ﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ .

فإذا ضقت عليك الدنيا فقل بالله . وإذا غلغلت عليك أهل الأرض فقل بالله . وإذا خدمت بك الشدايد فقل بالله . وإذا ادغمت بك الخطوب فقل بالله . وإذا نمت على فراش المرض فقل بالله . وإذا جاءتك سكرة الموت بالحق فقل بالله . ﴿ هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم . والله جنود السماوات والأرض . وكان الله عليما حكيما ﴾ .

يا صاحب الهم إن الهم منفرج أبشر بخير فإن الفارج الله
اليأس يقطع أحيانا بصاحبه لا تيأس فإن الكال الله
إذا بُليت فتق بالله وارضى به إن الذي يكشف البلوى هو الله
الله يحدث بعد العصر مبصرة لا تحجز عن فإن الصانع الله
والله مالك غير الله أحد فحسبك الله في كل لك الله

لقد تذكرت وأنا في طريقى إلى ذلك المجهول تلك الوصية الغنية التي جاءت على لسان الإمام جعفر الصادق رضى الله عنه قال : عحيث من ابتلى بأربع كيف ينسى أربعة : عحيث من ابتلى بالخوف كف ينسى قوله تعالى : ﴿ حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ . وقد قد

الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاغشَوْهُمْ فَرَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَى ديارِهِمْ لِيَبْلُغُوا أَجَلَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ .. وعجبت لمن ابتلى بالضر كيف ينسى قوله تعالى : ﴿ مَنى الضر وأنت أرحم الراحمين ﴾ وقد قال الله جل شأنه ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَلَى مَنى الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له وكشفنا به من ضره ﴾ .. وعجبت لمن ابتلى بالغم كيف ينسى قوله تعالى : ﴿ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ وقد قال الله تعالى : ﴿ وَذَا الَّتِي إِذْ ذَهَبَ مَغاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ : أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجِبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .. وعجبت لمن ابتلى بمكر الأعداء كيف ينسى قوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ وقد قال الله تعالى : ﴿ فَرَقَاهُ اللَّهُ سَنَاتٍ مَا مَكُرُوا . وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾ .

كنت أردد هذه النصوص الكريمة حتى وقفت ما تلك السبابة في مكان لا أعلمه وأحسست بنزول من فيها جمعا ، وظللت وحدي ، وبدأت الحرب النفسية . وسمعت من يتساءل : أملا هو الذي يغلب في مسجد دبر الملاك ؟ فبره عليه الآخر : نعم هو فيسأل آخر : ألقى القبض عليه اليوم ؟ فيجيبه : نعم .. وهكذا تسلة كثيرة ألقيت ، وأجوبة رُدَّ بها عليها . وسمعت رائحة الموت في الهواء الذي أنشقه فالتقم غلاظ شداد والأصوات رهينة والجو مكتهر خائف ، وسمعت وقع أقدام ثقيلة تريد أن تلك الأرض دكا حتى انتهت إلى السيارة التي كنت فيها وحدي وإذا هو أحد غلاظ الأكباد يجذبني من ذراعي ، وفي صمت أشد من صمت القبور أدخلني غرفة شعرت كأن أنية جائمة فيها . قلت في نفسي : إن الروح والرزق لا يملكها إلا الله . وأنزل الله برد السكينة في قلبي ، وتحركت أمامي كوكبة من الآيات التي تثبت العقيدة ، وتبعث في النفس الطمأنينة . قال تعالى : ﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ﴾ وإذا بصوت ينبعث من الجالس في الغرفة ولم أكن أدرى ما عددهم إلا بعد أن أمطروني وابلا من الأسئلة . صاح صاحب الصوت : أحضر له كرسيًا ليجلس . كنت ساعتها أرتدى العمامة ولجبة . فجلس الرجل قد رحم كف البصر واحترم تلك الثياب التي درجا على احترامها وتوقيرها . وجلست وجاء السؤال الأول : قُتِلَ فلان ؟ قلت نعم . قال : ما هذه الضجة التي تحدثها في مسجد دبر الملاك ؟ قلت : إني أؤدي دور المسجد كما كان في فجر الإسلام . أؤدي على أنوار رسالة لا وظيفة . ثم أخذ يسأل في موضوعات شتى أذكر منها : أنه أجرى تنقيبا عقليا على الفكر الإسلامي سأل في مسألة الجبر والاختيار ، والخير والشر ، كما سأل عن نظام الحكم في الإسلام . وأخيرا وبعد مدة استغرقت أكثر من ساعة عرضت على مجموعة من الأسماء وقال : أتمرف هؤلاء

أو واحدا منهم . ولم يكن لي معرفة سبقت بهذه الأسماء جميعا ، والذي قد علمته فيما بعد أنهم قد تم اعتقادهم وأنه في السجن الحرى . ولعله سألتني عنهم لأنهم كانوا يصلون في المسجد الذي أقوه بحضارة فيه . وبعد صمت قصير قام أحدهم فربت على كفتي بيده وهمس في أذني قائلا : إن هذا كثير من الشكوى قدمت فيك لذلك استدعيتك . وحسبت أنه سيصير بإشارة بترحيب من أحد السجناء التي تعودت إلى جحيم وسعير اشتعلت فيها نيران تعذيب لأرياء . ولكن أنه سمع ، فقد نادى على ندى قبض عني وقال له : أعده إلى بيته . فكانت ندى عني غيبس عني يسألني في عجب : ماذا كنت تقرأ وأنت قادم إلى هذا المكان ؟؟؟ قد جئت بشت من هذا فم بعد منهم أحد من بيته !! فقلت له : لو لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا لم نذكرت . آيات نبي كنت أراها .

خطوة لتكوين الأسرة

في أواخر عام ١٩٦٥ كنت قد عرمت على إتمام الزواج ، فبن استقبل بيد الله وحده وقد ليحتيوب الاستعدادات في وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تقوت إن الله عليم خبير في وكنت أحس إحساسا دحيا بأن هناك شرا ميتا نكته يتغير حرف : من سيعمل في بيتي في قضية برعسي لها ظمعة السحر . كنت قد عقدت زواج من هذا المضي . في سنة ١٩٦٥ . وبعد هي لا شعور قضيتها حتى كان ما كان وبعد قضاء لي سنة ١٩٦٦ . وكنت أتمتع . غدا حربي . حربي محض في من سبب وحيراني أهد مسجون من جهة وحدي لسطات وسألني : أتدرى قيم جيشاك ؟ قلت : أنه أعلم . قلا : إن تشير عبدالحكيم عامر يعلم أن لك شعبية وعجة في قلوب الناس وإنه يصعب منك أن تحل ده سيد قضى ومن معه . أعلمت ؟ ويريد أن سمع هذه صوى في حصه تقادمة . وبعد حربي في قسي كنه السهم مريض : قسي حل دماء لأرى فأبيع حربي في عيني . وأدحل . في الآخرة وليس الفرر !! أم أرفض ضب تشير فأدخل سحر ؟ ولكن هذا عني م يدم ميلا . فقد تذكرت قبي لله تعالى : ﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد . ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا . ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا ﴾ . وسألني : بأى شيء ترد على سيادة تشير ؟ فقلت عني لغور : ربا يبي ما فيه الخير . وقيل أن يصرفا ذكرا عبارة مزوجة بانوعد والوعيد . فيها العسل والحظ . قلا : إن أعطيت الأوامر فتحت أمامك أبواب الترفيات والبعثات ولا كنت تعلم أن سجون تنقي كل يوم المئات ثم انصرفا ... وظللت أقلب هذا الكلام على وجهه . وأملت أنما شديدا سمعت : أبحر الدين لعودة على أيدي الحكام ؟ أنصير سحر أوقه ... يريدون أن يجمعوا من فهورنا جسورا في جهنم . إن اعلم بأنهم في ديه .

طرق أبواب السلاطين والله لموت في طاعة الله خير من حياة في معصية الله . وقد صدقت
بارسول الله إذ قلت : « من أَرْضَى الله بِإِسْخَاطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللهُ مَا بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ أَسْخَطَ اللهُ
بِإِرضَاءِ النَّاسِ وَكَلَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ وَمَنْ أَصْلَحَ سِرُّهُ أَصْلَحَ اللهُ عِلَاتِيهِ » .

لبت المسلمين يقفون موقف العبيد من هذا الأعراي الذي مثل ذات يوم بين يدي
الحجاج بن يوسف طاغية العراق . كان إذا أراد الطعام لا يأكل إلا إذا دعا من يأكل معه .
فأرسل ذات يوم في طلب من يشاركه الطعام . فوجدوا أعرايا فجيء به إليه . فقال له
الحجاج : أنتري بأعراي من أنا ؟ قال الأعراي : أنت الحجاج بن يوسف ، قال له : لقد
دعوتك البيع لتشاركني طعام العناء . قال له : لقد دعاني من هو أفضل منك . إني اليوم ضام
مدعو على مائدة الله جل جلاله . قال له : أتصوم البيع وهو شديد الحر ؟ قل : نعم أصومه ليوم
هو أشد منه حرًا . قال : أفطر البيع وصم غدا ، قال له : وهل اطعنا على الغيب قرأيتني
أعيش إلى الفد ؟ قال الحجاج : فاضلب ما تشاء نعطك . قال الأعراي : أنتستطيع أن تدخلني
الجنة وتبعد بيني وبين النار . قال : لا . قال الأعراي وهو مصرف : إذن فدعني مع الذي
خلقني فهو يهدين . والذي هو يطمعني ويسقين . وإذا مرضت فهو يشفين . والذي يمتني ثم
يحين . والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين .. إنه أعرف ولكنك جمع الحقيقة كلها في
كلمات . إنه يتكلم بلسان البقين ومنطق الحق المبين . إنه لا يملك الروح والرزق إلا الله
وحده . قل صلوات ربي وسلامه عليه « ما قدر على فكيف أن تمضاه ، فلا بد أن تمضاه »
فامضه بعزة .

لا تعجلن فليس الرزق بالمعجل الرزق في التلوح مكتوب مع الأجل
قلو صبرنا لكان الرزق يطلبنا لكنه خلق الإنسان من عجل

دعوة أخرى من جامعة عين شمس

في أحد أيام شهر مارس ١٩٦٦ وجهت إلى دعوة حضور حفل إسلامي في جامعة
عين شمس . شاركتني فيها بعض كبار الدعاة وكان حنلا بهيجا اغتصت فيه المقاعد
بالحاضرين حتى لم يبق فيه مكان لتقدم . وبعد أن فرغنا من الحديث فتح الباب للأسئلة .
فاستأذن الذين كانوا يشاركونني الحفل لما هم من ارتباطات في أماكن أخرى . وأصبحت
وحدى في تلقى الأسئلة وكانت متنوعة يدل الكثير منها على اتجاهات السائلين . وقد علمتنا
الأيام في مجال الدعوة أن هناك أسئلة قد لا يكون الغرض من طلب الإفادة إنما المقصود بها
أن تكون مصاديد وشراكا يقع انجيب فيها لأن السائل قد يكون مريض القلب ، سقيم

الوجدان ، خرب الضمير . وقد كان من ضمن الأسئلة التي علمت أن سائلها يريد أن يخبر
بها بئرا ، لا يريد بها علما سؤال قال صاحبه : هل الاشتراكية من الإسلام ؟ .

وكانت الاشتراكية يومذاك دينا اتخذها الحاكم من دون الله ، أخذ يفتنى بهذه الكلمة في
حصه ، فحمل بها بدلا عن ذكر الله . ورأيتني أمام هذا السؤال واقفا على مفترق الطرق :
إما أن أقول الحق فأدخل السجن وإما أن أنافق الحاكم فأدخل النار وإما أن أقول لا أدري فيؤوب
ذلك على أنه هروب من الإجابة فإن هؤلاء القوم لا يعرفون : لا أدري . فمن ترجع على
مصبة الحديث عدهم ، لابد أن يكون قد جمع عيوب الأولين والآخرين .. ولم يكن هناك يد
أن أقول الحق والله عاقبة الأمور . فقلت : يا أيها السائل إن الإسلام نظام إلهي متكامل نزل به
نورح الأمين على صاحب الرسالة العصماء ، فهو وحى معصوم انتظم شئون الدنيا
والآخرة . أما الاشتراكية فهي مذهب اقتصادي وضعي . والإسلام كل لا يتجزأ ،
ولا تنقسم منه عروة عن عروة . قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾
أي حذو شعب الإسلام كاملة غير منقوصة . وذلك مصداقا لقوله جل شأنه في آية أخرى :
﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَقِمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ وتقبل
تستعمون هذه إجابة تقول حسن . وحدث ما كنت أتوقعه : ونفذ القضاء في اليوم الذي
حدده صاحب نعمة والكبرياء جل جلاله .

مهاجرة المنزل مرة أخرى

في يوم الخميس الموافق أربع عشر من شهر إبريل ١٩٦٦ تم اقتحام المنزل وكنت قد
عددت خضية الجمعة بدء على حدث وقع في العرف وهو قتل المشير عبدالسلام عارف .
وكنت قد هيأت في نفسي كلاما يتركز موضوعه في عظمة الله وسلطانه ، وفي ضياء قوله
جل شأنه : ﴿ وَلَا تَدْخُلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ . لَهُ
الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ .

تمت عمية التفكير لم أمت بالذهاب مع هؤلاء ، وقيل لي ساعتها إنها خمس دقائق لن
تزيد ثم تعود . وركبت سيارة أخذت طريقها إلى مكان نزلت فيه ، وكنت يومها صائما
وظننت مع الخارص في هذا المكان . وأشهد أنه كان عبط القلب فيه حياء ونفسه .
صوت مقلق . سألني أنه يمكن معاذة الله : إذا أمرت من رئيس في لعمل أن أصريت
حتى الموت هل عني من ذلك ؟ قلت له : نعم . قل : وكيف وأما عبد مأمور ؟ قلت له :
تستطيع أن تنصرف دون أن يكبر شريك في حرية . أممت الحائط واضربت كيف شئت
منه من يرب حد . لا . قلت له : يرب أن تستصرد معه في الحديث وأسمع عن فكره

الشيطانية . فقلت له : إن المؤمن كئيب فليكن يستطيع ان يتصرف في الأمر ما دام صادراً من جهة تضر العباد والبلاد . فقد روي أن الإمام مالك بن أنس سأله شاب فقال له : يا إمام إن أرى طلق أماً وإن أرى طليقتي فممننى أرى . فماذا أصنع ؟ قال له الإمام : أطع أباهك ولا تنص أمك أرى : صل أمك ولا تذكر ذلك لأبيك . وهكذا يتصرف المسلم في حدود طاعة الله تعالى : ﴿ لا ضرر ولا ضرار ﴾ . وأذنت المغرب وجرى لي بما يسمونه بالكو يكسويت وكُوب من الماء . وحللت الله تبارك وتعالى على ما سقته إلى من لرزق . وبعد قليل جمعونا استعداداً للرحيل ، وكانت مفاجأة كأنها صدمة كهربائية ، عندما رأيت الكثير من الذين معي في مبنى الداعية ، كانوا يؤدون الصلاة معي في مسجد الشهداء بالسويس . وأخذت أفكر في المحيط الذي جمع بيننا ، وما هي الصلة التي ربطت بين من يسكن القاهرة وبين من اختار مدينة السويس منزلاً ؟ وهل ترددي على هذا المسجد لأدب بعض الخطب هناك يوم الجمعة هو الذي جاءني إلى هذا المكان ؟ ثم ما هي التهمة التي سوف توجه إلي ، وأنا من فضل الله على ما كنت يوماً من الأيام مقترفاً للجريمة أو تياً بجريمة . لقد كنت كما يقولون في المثل المصري : ﴿ من يته للجامع ﴾ فمنا حدث إلا أن تكون لقضية بصفة الذئب الذي قال للحمل : ﴿ قد عكرت على الماء - وهو يعلم أن ماء لا يخرى في العلال - 》 .

هنا يمكن من أمر فسوف تتضح المسائل المهمة وتُحس الطلسم وتُحل الألغاز ، وقطع تفكيرى عن صوت نادى على أسماواتنا وجمعنا في سيارة فضت به طريق إلى مكان يصح أن يقال فيه شيء فهو مقبرة الأحياء ومُنشآت الأعداء ، ومُحرر الأصدقاء ، ومُفرق الأحياء .. وجرى بالأعظية التي تغلظ الأعين حتى تحجب الرؤية مع أن الساعة قد بلغت العاشرة مساء والنيل قد أرعى صدوله ، لكنه ظلم الإنسان لأخيه الإنسان .. ما الداعي إلى أن يوضع على العينين غطاء سميك إلا أن يكون ذلك تشبيهاً للإنسان الذي كرمه الله بالحيوان الذي يبقى الحزن بالسانية ؟ هل هناك أسرار بقت من لدقة ألا يراها مواضع في بلده الذي منها نشأ وعلى أرضها ترعرع ، تشق نسيمها وتضاه بنسيمها وقمرها . وعاش على عيون الله التي بارك الله فيها ؟ لقد علمت أن هذا المكان هو التهمة ، وصاحت أصوات مرعبة تأمر بتوزيعنا على الزنازين . ودخلت في الزنازة لأول مرة . ورأيتي أتحس أربعة جدران فيها حديد معلق ، فذكرت عندئذ دخول قبر حيث لا صديق ولا رفيق ، ولا جليس ولا أنيس وكأني بالنداء العلوى من الحق جئ جلاله بقول : (عبدى رجعوا وقرعوك ، وفي التراب دفنوك ، ولو ظلوا معك ما نفعلوك . ولم يبق لك إلا أنا ، وأنا الحى الذى لا أموت) ..

تذكرت هذا النداء فأنس وحشتى ، ورحم غربتى ، وبعث بنور السكينة في قلبي .. لم يكن في الزنازة فراش ولا غطاء والمكان قارس البرد ، وأرض الزنازة تكاد تأكل الأجسام الصلبة ، فقد بطنت بطيخة من الأسمت فضلاً عما فيها من الحشرات المختلفة الأنواع من قارص وقارض ولاسع . استسلمت لقضاء الله وقدره ، وخلعت جبتي ففرشتها وخضعت حزائى فتوسدته ، وأدخل لي السحان كوباً من الماء ، ثم أغلق على الباب فتمت مرهقا من شدة الإعياء نوما كان أشد من الإرهاق نفسه .

في منتصف الليل

أشهد أن العذاب النفسى في تلك المسجون وهذه المعتقلات لا يقل أماً عن العذاب البدنى فمن الذى يستطيع أن يه نيلاً أو هراً وأصوات الضحايا تعمر ثم تبيض ، ثم تخفى ، وقد يكون اختفاؤها من يوم يعنون يوم يقوم الناس لرب العالمين يوم لا ينفع مال ولا بون . لا من قى الله بقلب سليم ﴿ وأزلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين ﴾ يوم لا ينفع لظالمين معترتهم وهم لئمة وهم سوء الذر فكيف كانوا فيها هم والغاوين وجنود أليس أجمعون يومئذ يمدون حيث لا ينفع الندم ويقولون : فمنا من شفعين ولا صديق حميم فلو أن لنا كرة ففكر من المؤمنين وهم يصطرحون فيها ربنا : أخرجنا حمل صالحاً غير مدى كما نعمل يقال هم : أو لم نمرهم ما ينكر فيه من تذكر وجدهم الذر فذوقوا فما للظالمين من نصير .

وليس لأحد أن يوجه هذا السؤال إلى أى معتقل أو مسجون فيقول له : هل عذبت ؟ ورأيت إن هذا السؤال فيه مغالطة فكفى بالاعتقال عذاباً وبالسجن أماً ولوعة !! إنه إهدار لأدمية الإنسان وإذا كان هناك ذوق فطرة كالإشباع بعد لوعة الجوع والإرواء بعد غيب الظما وإخراج الذى يؤدي عذمه إلى تسمم الجسم واستنشاق الهواء والعيش في الضياء والنوم الذى جعله الله آية من آياته فقال : ﴿ ومن آياته عناكم بالليل والنهار وابتغواكم من فضله ﴾ فالطعام والماء والهواء وإخراج الحرارة والهواء كلها ذوائع فطرية جعلها الله حفا لكل مخلوق له كدر رضى ، كيف يقال من دخل السجن هل عذبت ؟! أليس حرمانه من كل هذه الحقوق الفطرية عذاباً أليماً مهيباً ؟! أنه تسمع قول رسول الله ﷺ : « دخلت امرأة النار في هرة حبستها لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت جوعاً » هذه هرة حبست فاستحق حبسها النار وعذابها !! فما بالك بنبيى الموحدين نصارىين الصادقين قاتلين السفير والمستغفرين بالأسحار !! فإذا ضيف إلى هذا العذاب لعذاب بدنى كان عذاب دهرى وحسب حسيماً كيف يفرق كبرى حقوق قوم

يسمعون إخواننا لهم يصطرخون ويوللون ويصبحون وينتون من شدة العذاب فمنهم من ينادى سأموت سأموت أرحمني علشان غياطر ربنا .. آه !! آه !! بالله أحد أحد اتقوا الله يا هؤلاء !! إنها كلمات تقطر المعاجع وينخلع لها الفؤاد أنا ولوعة وتسيل لها الكبد مرارة وجوى، وبعد ما انتصف الليل فتح باب زيراني بمنف شديد ففتحت من نومي فرعاً وبصوت كالرعد يصم الأذان قال لي أحد الجلادين: قم للتحقيق وصعدت درج سلم في جو مشحون بالصراخ والعيول وجلست أمام محقق .. هل ذهبت إلى مسجد السويدي؟ قلت: نعم. قال لماذا؟ قلت: لأقوم بخطبة الجمعة هناك. أين كنت تبيت ليلة الجمعة؟ قلت: في منزل شخصي للاستراحة قال فنى أى نبيء كنتم تتكلمون؟ قلت: كنا نتكلم كلاماً عادياً. قال ألم تتكلموا في غلاء الأسعار؟ قلت: لا. فأمر بالصراف ونزلت إلى ترزانة محوساً حساً انفرادياً ووضعت جنينى على الأرض أحاول النوم ولكن دون جدوى فبعد ساعة أو يزيد فيلا فتح الباب مرة أخرى، حيث ذهبت للتحقيق، وأعيدت الأسئلة مرة أخرى إلى صمى، وأجبت عنها بنفس الإجابة، ثم عدت وفي صباح يوم الجمعة وهو اليوم الثاني من اعتقالى وكنت في سبب الحاجة إلى أن أذهب إلى دورة المياه فقد حصرتى سول فرد على الحارس بلفظة ومطاطة قتلا غير مسموح لك بدخلك وأمانك ست ساعات لا طعام، ولا شراب، ولا قضاء للحاجة، ومهما قلت عما لا يقناه فإن البيان يعجز، وسان بقف، واحذر يصاب لصدا، والحياه يمنع مما وقع للمسلمين، في تلك الأيام الحيات !! ولكن كى أضع أمه القابض صوراً مما وقع في سجون مصر ومعقلاتى، فزنى ألقى هذه الحاشى هناك المفجعات من كتاب (باشوات وسوير باشوات) لسكرتور حسين مؤنس تحت عنوان محقق رقم ٦ (خلف البواب السوداء).

«مهما ينقذ كرامة الإنسان لأخيه فإنها لا ينبغي أن تهبط به إلى مستوى هو دون مستوى البشر وفي الصفحات التالية التى كتبها من كتاب الأستاذ أحمد رائف ١ صفحات من تاريخ الإخوان ٢ التاريخ السرى للمعتقل (القاهرة بدون تاريخ) صور لمواصين مصريين بلغوا في تعذيب إخوانهم مبلغاً يهبط بهم إلى مستوى الوحوش الكاسرة وليتهم مع ذلك كانوا يعذبون إخوانهم لحساب أنفسهم إنما كانوا يؤمرون بالتعذيب فيقبلون عليه وكأنهم يتسللون بما يفعلون هؤلاء لن يفر الله لهم أبداً وستردد هذا الكلام بعد أن تقرأ تلك الصفحات التى تربنا صورة من جناب الأسود للنصر الناصرى بها حجرة في السور لأرضى على يمين مدخل من بوابة السجس الحديدية الكبيرة تقع أمام بئر ماء لها نافذة تصل على حرج سجن كبير حيث فناء السجن الخرفى ويقع المستشفى أمامها مباشرة وتبدو مكتب تحقيق بعيدة في نهاية الطريق حدى إليها.

والحجرة لا تتسع لأكثر من عشرة ذبى ضيقة بالنسبة للعدد الكبير الذى وضع فيها وقد أشرقت علينا خمس النهار وعددتنا خمسة وأربعون بيتنا مساحة الحجرة التى يطبقون عليها غزن رقم (٦) حوالى مترين في ثلاثة أمتار وكانت تفوح فيها رائحة البيرة والبراز ونصديد وتنطق منها الأنات الخافتة المكتومة فالتعليمات تقضى بعدم صدور أى صوت وإلا فسوف تدخل الكلاب الجائعة التى تثيرها رائحة الجروح !!

وهنا ينبغي التنويه لقد دخلنا الغزن وليس فيها واحد إلا وبه بغض خراج وانه يسيل دون توقف أدخلونا الغزن في فرع وعوف فسادطنا في ضلامه كل منا فوق الآخر وحمد كل ما يلوذع الذى قذف عليه حتى مطلع النهار فقد قتل الحراس إنهم لا يولدون أصواتاً أو حركة فانوت جزء من بفعل وكنا نعرف أنهم لا يكذبون في مثل هذه التهديدات شد عن هد واحد منا كان يجلس بوله وكان أقننا في الذهاب إلى دورة المياه قد نسي عهده بها منذ ست وثلاثين ساعة وبعد فترة قصيرة فتح الباب وظهر من فرجته شيخ خدى عملاقى كرية المظفر قد أمسك سوطاً في يده وصرح فيا:

هل هناك من يريد الذهاب إلى دورة مياه؟

وسكننا جميعاً.

وفتح الخدى فمه بسبب قذر بذيء ثم صرخ ثانية مكرراً نفس سؤال وكـ الظلام شديداً فكان من الصعب أن نرى الانفعالات المختلفة على الوجوه وكان خوف هو القاسم المشترك بيننا بطبيعة الحال ونشجع صاحبا وطلب الذهاب إلى دورة مياه وكان وراء في الجيش فأخرجته الجندى الكرية المظفر من الغزن بعد أن مر هذا الرميل فوق جثث زملائه المكتومة دون ترتيب وأمام باب الغزن حيث الأنوار الخافتة المشبعة من المصابيح الموجودة في المكان صرب هذا الصايط الكبير ضرباً شديداً موسماً ثم جاءت الكلاب ونهبت من لحمه أماما وبعد هذا كله ألقوه في البئر وعندما أوشك على الموت أخرجه ودخلوه إليه. يقطر دماء وماء وتركوه يرتجف حتى جفت ملاياه وحدها وكانت هذه العنفة مدعاة لاستفناة عن الذهاب إلى دورة المياه فقد تبرز الرجل وبأل على نفسه وصارت رثته تركة الأنوف لقرية منه وكان منها أنفى وبقي كل في مكانه يجتر أنكاره والألمة في صمت رهيب ولم تكن تسمع همسة أو نفس بضمة وكان ربع ساعة تقريباً يفتح ثياب، ويقذف بينا بمعتنق جديد، يقذف كما يقذف جوان ملء باليطاطس مثلاً دون ما اهتمام، وفي العادة يكون هذا شخص عادياً من التحقيق أو من منزله.

وكان الظلام شديداً فم نستطيع تمييز وجه أحد، ولكن كانت هذه أيد تمتد في الظلام نكتهم الأنات الخافتة، الصادرة من أفواه الحرجى خوف من صخش احيد، وكـ جوعنا

شديداً وعطشنا أشد ، ولكن ! ما الجوع والعطش بجانب هذا الخوف العارم الذي يفتلح القلوب من الصدور ؟ وبعد مدة سمعت أحدهم يهيمس : يا جماعة ..

وانبرى إليه صوت الضابط الكبير الكريمة الرائحة من ملابسه المسخفة بالبول والبراز : ماذا تريد ؟ ألا يكفيك ما نحن فيه ؟

ولكن الصوت الهامس قال بالإلحاح لقد اكتشفت شيئا هاماً !! وما هو ؟

بجانب الباب وعامان من المطاط .

ماذا تعنى ؟

أظن أن أحدهما للبول والآخر للشراب ولكن لا أدري على وجه التحديد أيهما للبول وأيهما للشراب !!

وقام أحدهما بخفة وبلطف شديد ينزل الواحد في بناء ويشرب من الآخر وفي هذه الليلة المباركة شربت البول لأول مرة في حياتي ولم يكن ضعفه مريحا على أية حال : وليس هناك داع لأن أقول إن أحداً ما لم يذوق طعم السوم في هذه الليلة وربما ليالي أخرى أنت في أعقابها ، وكانت الآلام التي واجهناها وعاشناها تشعنا قليلا عن التفكير في التحقيق الذي قد يدعى إليه أحدهما في أية لحظة من اللحظات !!

وقد قدر لي أن أعيش في هذا الانتظار أكثر من أربعين يوماً حتى أرسلت بعدها إلى التحقيق وقد رأيت كم هو مخلف عن مثيله في أبي زعل إنه الفتل تحت السياط والأسياخ الحمراء ، وخلع الأظافر ونهش الكلاب وأسلاك الكهرباء ، أو تحت وطأة ركل الأحذية الثقيل .

وفي رحلتنا عبر هذه الليلة الرهيبة فتح الباب وقذف إلينا باثنين لم نودى على أحد الأسماء وقام صاحب الاسم يرتعد خوفاً وقرقاً ، ونحن نستمع إلى صرير أسنانه وصرت أركز بصري في الظلام ، واستطعت أن أتبينه وهو يمر من فرجة الباب خلال الضوء الشاحب الآتي من المصابيح المنتشرة عبر الساحة كان الضابط المسكين الذي لم يسترح من علة المساء ، لقد طلبوه للتحقيق وإلى اعتقد بعد مرور ذلك الوقت الطويل أن كل من باغزون قد شاركني دعائي الحار حتى يخفف الله من آلامه ، وهو ذاهب إلى مصيره المجهول !!

ومع الخيزوط الأولى للنهار حيث استطاع كل واحد ما أن يبين وجه زميله فتح الباب وظهر أربعة من الجند الأشداء يحملون الضابط الكبير وقد تمزق جسده من السياط وأكلت

الكلاب من جسمه حتى شبعت وفي لمح البصر سمعت صوت الزنطامه فوقنا ولم يجرؤ واحد منا على شه أو تحميف آلامه التي كانت ممثلة في أماته الخافقة المعطبة ، وكانت ملابسه عارفة بالدماء وكان من الصعب أن نعرف مصدر التزيف كان جسده جرحاً كبيراً غائراً ينزف دماً من كل مكان ومع إشراقة الشمس فتح الضابط عينيه عن آخرهما ثم أرسى صرخة عظيمة جيل يئس معها أن جنابات السجن قد ارتجت ثم سكنت إلى الأبد !!

وكانت خسائر هذه الليلة اثنين من القتل وأكثر من أربعين جريحاً كما عشنا فيه بعد .

حان الجند وحملوا جثة الضابط المسكين في بطانية من الصوف إلى حيث لا يبعد أحد وطلع نهار واستوت الشمس وذببت الحركة في لآلة الرهبة .

لا تستمكم أن أحداً لم يحزن على واحد من تدين ماتوا في الليل ، لم يكن في قلب أحدهم مكان لتحزن ! فقد غطى الألم والخوف كل جوانحنا ! وكما نغبط الثمين يحون من الخذاب بالشهادة ، والذهاب إلى الله .

فتح باب اعتر قليلا واستطعت أن أتبين فناء السجن من حلال عبي اللتين ضامهم لسهر ولألم وأغرة تبول في تلك الليلة الحارة .

ورأيت مصراً لا أنساه !!

مجموعة من خد يهتفون على شيخ بالسياط ضربا وهو يصرخ ويسنعث ولا تجبه سوى فرقة السياط المنبهة على جسده الواهي الضعيف وسكت الشيخ أخيراً بعد أن يبع صوته من الاستعطف وطلب النجدة ، وظنت يداه مرفوعتين إلى السماء لصافية ولا أدري .. أكانتا تخنجان أم تنوصلان ؟ وعلى الجدار المواجه كانت صورتان لجمال عبدالمر وعبدالخكيم عامر مرسومتان بالزيت وه نكوبا من رسم فان بل كانتا رسماً شبيها برسم لأطفال في السنة الأولى من المدرسة الابتدائية وفوقهما حكمة مكتوبة بخط واضح ه كت أحادع الخبة كي أعيش كما أريد ه ولا أدري من كتبها أكان منكوياً مثل أم أحد الجلادى ، كت أشعر أنني في كابوس مزعج ولا أحتمل التفكير فيما يدور حولي ه لم يكن هناك تة سبب يور كل تلك الآلام ولم أتصور الشكل الذي ينهني عليه هذا الحلم المزعج ، وكت أحسب ألف حساب لكل لحظة قادمة كانت الطاحونة التي تهرسني كل لحظة أقوى من ضحى كإنسان محدود الطاقات ، كان الزمن شيئاً مرأ كالعقم أو أشد مرارة ولم يكن أمامي في مواجهة هذه الأحداث غير الاستسلام الكامل ورويداً وبدأ أصبحت أبعد التذمر عن قسى وأتذكر المؤمنين الصادقين الذين بنوا الإسلام على أكتافهم وصدقوا ما عاهدوا الله عليه ودعوا من قسى أن أكون منهم وأن أعمل هذه الوطأة القاسية دون اعتراض واحتجاج .

دخل جندي كريمة الوجه واليد واللسان ، عرفت أن اسمه « الروي » ، وإنهال علينا هذا « الروي » بسيل من الشتائم البذيئة ، وكنا نفهم بعضها ونعجز عن فهم بعضها الآخر ، لكننا على ثقة من أنه يسبنا سباً لبيحاً ، كأنَّ يحمل في يده وعاءً قترأ وبأصبعه المتسخة صار يعطى كل واحد ما قرصاً صغيراً من الطعمية الرسمية ، وعادوا لتوزيعه وأذكر أنني لم أتقزز كان الأمر كما قلت لكم أكبر من لتقرر ومن كل شيء ، ثم ألقى فوق ريو حفة من الأرغفة وانصرف .

وأحصينا الحيز فوجدنا أنه كميرات مجموعها ما يوازي خمسة أرغفة وكان عددها قد قارب الخمسين ، فكان لكل عشرة رغيف واحد من الحيز .

بعد جوع طويل ورغم هذا فقد رفض الكثير منا تناول هذا الطعام ولم يكن الرفض احتجاجاً أو تكبراً ، بل كان الخوف يبعثنا لا نحس بضرورة الجوع وبعد قليل دخل « الروي » نفسه وأعاد على مسامعنا ما سبق أن قاله وكان ممسكاً بيده اليمنى سيخاً طويلاً من الحديد .. وفي يده اليسرى .. كوباً من الألبوم القديم قد متلاً حتى حافته بالشاي ...

وبسيخه الطويل شخ رويس بعض المساكن وانسكب قمر كبير من الشاي الموجود في الكوب أثناء ضربه لنا ، ثم أعلن لنا مفاجاته .. كانت بقية شاي الموجود في الكوب هو ما تقرر صرفه للخمسين المجتمعين في مخزن رقم ٦ الرهيب .

وفي هذه المرة رفضنا أن نشرب الشاي احتقاراً منا لكل شيء ... وبقي في مكانه حتى الظاهر ...

واكتشف الروي أننا لم نشربه / فصرنا جميعاً علقه ساحة ..

وبعد ذلك أتانا جندي آخر أشد بشاعة من صاحبه .. لقد تقرر أن نذهب إلى دورة المياه لنقضي حاجتنا ونغتسل ونشرب بدل البول ماء زلالاً من لصناير .. ولم تم الفرحة .. ذهبنا إلى دورة المياه المقامة بالدور الأول علناً والسياط والكلاب تنوشنا من كل ناحية .. ظهورنا ووجوهنا وريوسنا .. وأدخلوا كل واحد منا مكاناً ، وكان المكان قذراً جداً والبراز يملأ كل شبر فيه ، ولا توجد نقطة واحدة من الماء .. ليس هذا فحسب .. بل فوجئت - عندما أغلقت الباب وممت أن أفعل شيئاً - بالجندي وقد فتح الباب في قسوة وإنهال على ضرباً بالوسط .. وارتبكت ولم أفهم ماذا يريد هذا المخلوق بالضبط .. كان في نظري مجرد مخلوق من مخلوقات الله ليس إنساناً وما ينبغي أن يكون .. أسود الوجه .. غائر العينين تيبعث من فمه رائحة كريهة تنبعث بفعل التعفن الذي أصاب اللثة والأسنان من زمن بعيد .. وكانت البقع الجلدية الباهتة البيضاء تتخلل وجهه لدميم .. وتذكرت داروين وحلقته المفقودة .. وكذلك مر بمخيني كتاب التروبيجي ..

وانطلق من فمه الأهميم صوت كالزئير :

- اطلع يره بالين الكلب

- يا قندم لسه ..

- أنت بترد على ماجربوع يا حثالة .. يا .. يا

والسيوط يفرع في حبة وشدة وحماس ...

وعدت إلى المخزن .. وما استفدت شيئاً في هذه الرحلة المشقومة إلى دورة المياه غير العلقه الشائعة .. تلك التي تركت آثارها جروحاً في وجهي وعلى كفتي وظهرى ورأيت الباقين وهم يبرولون كالفران المذعورة .. والجند وراءهم كالوحوش والسياط والكلاب تعوى في الفضاء الخائى عبر ساحة السجن الكبير .

وجلست مكوماً ساخناً بين عشرات الأجساد التي ألجتها حرارة السباط وعرفت أن أحداً لم يقض حاجته .. وظلت لوجوه صائتة قائمة عليها غيرة غريبة ثم حرك أحدهم يده في عصبية وانخرط في بكاء مرير .. ونسى نفسه وتعم بكلمات :

هذا ظلم !! .. هذا ظلم !!

وقال له ناظر المرسلة انوية الأشيب الذي حنكه الأيام :

- كنا نعرف أن هذا ظلم .. فاضبط نفسك ولا تنطق بكلمة واحدة .. فنعن

لا ندرى من سيوت منا هذا النهار !!

وخيم صمتهم على المخزن لم يقطعه إلا صوت السباط العاوية والصراخات المكتومة تأتينا من بعيد ..

وعاد كل واحد فينا يحتر أفكاره في شروء ..

وكان كل ما يشغل تفكيرى تلك الكلمة التي قالها لي الضابط في معتقل القلعة .. شعبان « بناع الحانكة » .. فمن أنت ؟ سيكون هلاكى على يديك يا شعبان .. سألوئنى عنك وأنا لا أعرفك .. وسأموت من أجل جهل بك ... ولكن الموت تحت السباط شيء رهيب يا شعبان .. ربما يجلدونك في هذه اللحظة ..

وجدتني أسأل الموجودين في صوت ضعيف :

- يا جماعة .. هل فيكم من يعرف شخصاً من الحانكة اسمه شعبان ؟

وبصوت هامس استجاب لي صوت متأفف النبرة :

- أنا من الحانكة ولا أعرف فيها من يدعى « شعان » غير رجل في الستين من عمره يعمل قرائشاً في الوحدة الصحية .

واقتربت منه بالمخاض :

- هل له علاقة بك ؟

- لا أظن .. إنه رجل أمر ولا يفهم شيئاً من شئون سياسة ..

- أهلي له علاقة بالإخوان ؟

- ومن أدراك ؟

فأجبتني في تألف خوفاً من حضور الجند :

- أنا من الإخوان .. صدقي .. ليس لي نصبة كبقية شخص واحد في جماعة الإخوان يحمل هذا الاسم ..

وعدت إليه في إصرار وتوسل ..

- أرحمك ..

- ماذا تريد بالضبط ؟

- أغضي أية معلومات عن شعان ..

- مرش الوحدة الصحية .

- نعم ..

- ماذا ؟

- سوف يسألونني عنه ولا أعرف عنه شيئاً على الإطلاق ..

وأجبتني بتذمر وكأنما أردت أن ينهي الحديث .. فكل ما به مشكلته المعقدة ..

- لقد قلت لك .. هذا رجل مسكين ولا يهم عن نعم شيئاً .. وربما لم يخاف

الحانكة أبداً ولم يكن له أي نشاط سياسي .. وربما لا يعرف من يتكلم مصر في هذه الأيام

هذه الشخص الذي يسألونك عنه لا يمكن أن يكون من سيرة الحانكة .. فلا تشع

بالث وتشتني معك ...

- ولكن ..

فاضني :

- أوجوك أن تسكت .. في رأسى ما يشعلنى .. وتبى عدى كلام عن « شعان »

أكثر مما فقت لك ..

وعاد إلى نظراته الشاردة وإلى ما في جوفه من خوف وهلع وانشغال ... وفشلت كل محاولاتى معه لأجعله يتحدث عن شعان .. ومن بين النظرات التائهة الشاردة صرت أنفحص الوجوه وأتأملها بطريقة غير واعية .. كان الألم يفترسها اقتراساً .. وكانت وجوها مصفرة ككية عليها آثار التراب المختلط بالدم المتجلط .. وكان في بعضها دم مازال رطباً طازجاً يتزف من جرح في أعلى حاجب ذلك الوجه .. ويبدو أن صاحبه لم يلتفت إليه فقد كان في حالة شروء كاملة ... كان لدم يتساقط على وجهه وملابسه ولا يفعل هذا الإنسان شيئاً سوى أن يزيحه بأصبعه إذا اقرب من عينيه ..

وصرت أتقل بصرى من وجهه إلى آخر ... وأجدما جميعاً متفضنة ولا شيء يميز بعضها عن بعض .. ثم ولفت بصرى على وجهه .. كان صاحبه قد ألقى أن يقطع النهار ولا أدرى ماذا ركزت عيني على مكانه في الظلام حتى أستطيع أن أراه بوضوح عندما يطلم النهار .. وقد شعنتنى قبل الضابط للحفظات عن أى شيء آخر ... والآن ولدت الفرصة لأتملى هذا الإنسان ..

كان وسيم الوجه ... في الخامسة والعشرين - هكذا خيل إلى - هل شلته ابتسامة مينة ... أو ابتسامة في طريقها إلى الموت . برتدى ملابس فاخرة - حليق الذقن والشارب ... وكان يداعب أصبعه الوسطى في يده اليمنى في شروء لم يرسل نظرات إلى المكان .. ويحاول أن يبعث ابتسامة ولكنها ماتت أو كانت في طريقها إلى أن تموت وصرت أمر بين الوجوه لم أعود إلى هذا الوجه .. ولاحظت صاحبنا أنني أعاد النظر إليه بين الحين والحين .. وكنت أسأل نفسي .. ترى هل رأيت هذا الإنسان قبل ذلك ؟ ... لقد كنا جميعاً نقف على حافة الأبدية .. وكانت رائحة الموت لئلاً أنوفنا ... فقد كان الموت هو الحقيقة الوحيدة التي تمارسها في هذا المكان ..

واقتربت هذا الشاب بوجهه منى .. فقد كان لا يعد عني بأكثر من شرين .. وباهتمام بالغ همتى في أدنى :

- أريد أن أغضي لك بشيء بالغ الأهمية !!

وارتعدت فرائعى .. ماذا يمكن أن يقول هذا الشاب لي ؟ وقلت له وكأني أدفع خطراً عسى :

- أنا لا أعرفك ... ولم أرك من قبل الآن ..

وكأنه لم يسمع كلماتى ..

وخيّل لى لحظتها أن ابتسامته قد بعثت .. ولكنى عرفت بعد ذلك أنه كان وهماً
صوره لى اقتراب وجهه منى ..
وقال لى :

- اسمى عاطف .. أعمل فى بنك مصر ...
- ياسدى لا تعرفك .. واسمك لا يذكرنى بشئ ..

وقلت نتمنى ربما يكون هذا الشاب فى ورطة .. وتخيل أنى أستطيع أن أمد له يد
المساعدة ... وفى نوبة من نوبات الشهامة .. قررت أن أستمع إليه .. والنفت إلى
فى حجرة .. وخننى نظرتة الحزينة .. وقلت له :

- مت تريد ؟ ... أنا تحت أمرك .. لىنى أستطيع أن أقدم لك شئ ..
- لا تعرفى حقاً ؟

- كلا ..
- حلو .. تذكر ... وحيث يس عريب عسى .. يعيل لى لى ريت فى مكان ما ..

- مافى .. مارك قبل الآن ...
- .. يبدو بحديث مأثوفاً لدى إذن ؟

- ست ترى ..
- هي تستمع لى نكتم سرّاً ؟

- لى مدحك ؟
- نعم

- لى من خير أن تحتفظ بأسرارك هنا ؟ ربما ...
- ربما ... وماذا ربما ؟ يستطيع أى إنسان أن يكتم سرّاً

- إذا كان هذا الإنسان أقوى من السوط ...
- وهل السوط أقوى من الإنسان ؟

- ست ترى ، ربما ...
- أصبحت أكثرى ...

- دعك من هذا سأقول لك :
وماذا تقول لى أنا بالذات ؟

- وحيث يبدو مأثوفاً لدى ...
- لا تخشى أن يخونك التقدير ؟!

- وماذا به ... ؟

- فى الحقيقة أنك تثير اهتمامى ..
- كأننا أصدقاء ..

- فى الماضى كلا ..
- أقصد أن نتصادق الآن ..

- أنت تمزح ولا ريب ..
- كلا .. أنا أعنى ما أقول ..

ووجدت نفسى أبتسم ابتسامة ساخرة من ذلك الإنسان العجيب .. أفد مثل هذا
الوقت يحاول أن ينشئ صداقة !! ربما إحساسه بالخطر الذى يدفعه إلى الارتباط .. ربما
يزيد أن يحتسب خلف شئ ما .. ربما .. ربما ..

وجدت وجهه صبوراً نبيلاً مليئاً بالأسى .. ونظرة صافية حزينة تشع من عينيه ...
وابتسمت من جديد ... وكانت ابتسامته عذبة مخمصة .. وكانت لحظة سعيدة .. وكدت
أضحك وأنا أقول له :

- أنا موافق ... لا بأس أن يكون أصدقاء ... اسمى ..
مقاطعنى ...

- نست أن أقول لك السر ...
- أى سر ؟

- السر الذى حدثك عنه قبل قليل ..
- لا بأس ... إلى مصغ إليّ ..

- وتفت حذراً هنا وهناك .. وبدت عليه علامات الجد والاهتمام ...
- الموضوع له علاقة بنبية ...

- نبية ؟
- اصبر ... سأذكر لك كل شئ فى حينه ...

وبدا الخوف يغزو نفسى من جديد .. وغاضت سعادتى .. كنت أريد أن أبعد بأى
اسم لأى فتاة عن هذا المكان ... فأى اسم يتردد وعلى أية شفة ممكن أن يأتى خلال ساعة من
الزمن ... ولو كان هذا الاسم لعفريت من الجن على حد تعبير أحد الضباط ... ولكن عاطفاً
هذا لم يكن ملتفتاً إلى أفكرى التى تنساب عبر عقلى ... ويبدو أنه كان يريد أن يتحدث
فقط .. وأتأتى صوته ضعيفاً :

- كنت أحبا ... حباً عميقاً ... وكانت هى كذلك .

ومعنى إحساس عارم بالسخرية وقلت له :

- لملك سوف تحكى لي قصة غرامك

ونظر إلى بجدية وهو يهيب ...

- نعم وماذا في هذا ؟

- لا شيء .. ولكن ألا ترى أن المكان لا تناسبه هذه القصة ؟

- ولكنني أراه مناسباً تماماً ..

تغيرت لي وجهة ... كان المسكين في حالة ذهول كاملة ... وأدركت ذلك عندما ..

دققت النظر في وجهه ... وأحسنت بجدية حادة تمزق قلبي ... كان المسكين في حالة غير

عادية لقد أذهت المؤلف .. وشعرت بالحيرة .. ماذا يمكن أن أفعله له ؟ لا شيء وفجأة رأيت

بنحرف في بكاء حاد ومن بين البكاء صار يقول :

- لقد أخذوها عنوة ... توصلت إليهم أن يتركوها فرفضوا .. كانت فتاة رائعة ..

وقاطعت .. فقد وقف شمري من هول المعنى الذي تحمله هذه الكلمات :

- عمن تتكلم ؟

- نبيلة - كما ستزوج بالأمس .. جاء المأذون لتعقد القران ... ولكن

- قض على أنا وهي .. أخذوها ...

- من الذين أخذوها ..

- المباحث الجنائية العسكرية .. قل أن يعتقد ..

- لماذا ...

- لست أدرى ..

- أننا من الإخوان ولا ريب ...

- أنا وهي من المسلمين ..

- إني يتعضون على المسلمين ل هذه الأيام الحمراء ..

- لحساب من ؟

- لحساب الروس .. لحساب الإمبريكان .. وربما لحساب اليهود ..

- اليهود ؟

- نعم ...

- أليس أعداء لهم ولي حرب معهم ؟

واقرب شيخ عجوز يسيل الدم بخوار علامة الصلاة في حبه ومضى :

- نحن نناديهم في الظاهر ... أما حقيقة الأمر نحن نخدم اليهود المخلصون ..

- نحن من ؟

- المباحث الجنائية وسائر أجهزة الأمن ومن يوجههم ...

- أنت تقول كلاماً خطيراً ..

- أما أقول الحقيقة ... كل هذا يضعف الأمة فلا تقوى على الحرب ..

- أية حرب ؟

- بعد أن ينشئ هذا المعترك سوف ندخل في حرب مع إسرائيل ... ونبره أمامهم هزيمة

منكرة تقتل روح الأمة ..

- لعمري هذا أمر غريب ..

- سنأتيكم الأيام بما لا تعرفون ..

وكان عاطف شارد النعنع ولعله يدرك شيئا من هذا الحوار ولكنه كان يتمرد

- عندما أتيا ذهبوا بها إلى مكان ... يقولون اثنين ... وها أخذ الألباشي دة الزواج

- أكانت دينة من الذهب ؟

وأحباب عاطف :

- نعم .. كانت كذلك ..

- ألا تعرف أن الذهب حرمة على الرجال ؟

واستمع كل في أفكره .. وأنا أفكر في شعبان بناع الحانكة .. وعطف بفكر في

زوجته والشيخ يفكر في اليهود القادمين .

لطمع عليها الصمت الذي يقيم على الحزن صوت فتح الباب في جلبة وصوضه ..

ودخل حدى كرهه كأصعبه .. يحمل في يده مأكبة حلالة مما يستعمله اخلافون حتى

الشعر وكان يمسكها بطريقة عجيبة .. كأنه يمسك بألة حادة بهم أن يطش بها الإنسان وتكنم

كأنه ذكر الحزير

- بأولاد ... بأولاد الكلاب .. باحشرات ... متعلقون رؤسكم تقفرون بعد قليل

بأبناء العاهرات .. وهذا شرف لا يليق بكم يا دمة .. عدائتي .. نعم أنا الأصغر

عدائتي .. (وقالت بطريقة كأنه يقول أنا بالبلون) الخلاق السابق والمجنون حالياً .. سأحرق

لكم ... هل تلهمون هذا الكلام ؟ شرف كبير يصرف لكم دون جهد .. هيا تعال أنت ...

وحنا واحدنا ما وكان الذمير يلفنا كالدوامة ... وتقدم الشخص الذي احتزبه .. وحس

صاغراً بين يديه كأنفسي عليه من الموت ... وكان هذا الشخص ملتحباً ... ورأينا الأسطى
عبدالله الأسطوري صاحب البصيرت النائع في عالم الخلاقة كما يدعى .. وقد هم به كأنه
سيفترسه لا سبيل له ..

ومن بين الكلمات والصناعات الخيالية خلق له .. وكانت حلالة عجيبة .. فقد خلق له
نصف لحية ونصف الشارب المخلوق .. ثم خلق له شعر رأسه .. وعظم الأسطى له حلالة
بضربة قوية من ماكينة الخلاقة على رأس الزميل المسكين فتناثر الدم وسقط مفتشاً عليه ..
واستمرت الخلاقة أكثر من ساعتين بين الصراخات والأناث المنكوبة .. والكلاب تعوى
في فناء السجن .. وماكينة الخلاقة في يده عبدالله ه التي تقطر دماً .. وضحكات الجنون
ترتفع فوق الصراخات والأناث وعواء الكلاب الضاربة في فناء السجن ...

وجاء دورى في الخلاقة وكان نصيبى جرحاً عميقاً في أعلى حبهنى ...

وانتهت هذه المجرزة والصرف الأسطى عبدالله ضاحكاً مسروراً ... ولم ينس قبل
أن ينصرف أن يوزع علينا بركاته من لشتائم الشقة التي - والحق أقول لكم - منها ما لم
أسمع به قبل أن ينطق بها الأسطى عبدالله .

وانشغلنا بعد ذهابه بتضميد جرحنا .. ولم تكن لدينا أدوات لإسعاف اللازمة فكنا
نمزق ملابسنا الداخلية ونحاول أن نكتم لدم المتدفق .

وأذكر أنهم أثناء ذلك قدفوا لنا بأحد المصابين العائدين من التحقيق ... وكان ذلك
المسكين قد أخذ علفته منذ يومين وترك في العراء حتى جيفت جروحه وتقيحت .. وفاحت
رائحتها الكريهة .. ولحظة دخوله المخزن هبت رائحة كريهة كأنها صادرة من قبر دفن صاحبه
حديثاً ... وتكلم الرجل مبتاً ولم ينقطع صراخه لحظة واحدة

« رجلى ياناس ... احقولى ياناس ... النار ... النار ... ياناس .. حاموت ...
ألا يوجد فيكم مسلمون .. والله ما أعرف حاجة عن الإخوان .. الله يلعن السياسة ..
ياناس أنا عرجي إيش عرفنى بالإخوان .. ياناس واحد يطفى النار نلى في رجلى » .

كانت قدمه اليسرى ملهبة وممتلئة بالصدید ولم تكن تخلت غير الدعاء بأن يطفى الله
آلامه وعندما اشتدت آلام الرجل وعلا صراخه حتى جاوز إمكان ادفع الدم في عروقه أحد
الذين معنا وقام وطرقت الباب طرقةً عصبياً حتى باتنا أحد الحراس ونجمد الدم في عروق
وفي عروق الموجودين على ما أذن ولن نتمكن من معه فقد قم وفعل ذلك في حركة خاطفة
وصح ما نوقفنا !!

نقد فتح الباب وظهر من فرجته ثلاثة من الجنود كأنهم الشياطين وفي يده كل واحد
هراوة ضخمة وكأنهم كانوا على استعداد وفي انتظار إشارة البدء وصاح رئيسهم وهو أقبحهم
وجهاً : وقمتم في المخطور بأولاد الكلب .. كنا ننتظر هذه الغلطة هيا إلى الخارج جميعاً !!

وأوقفونا صفاً متجاورين ولم يأت معنا الرجل الجريح فما كان بقادر على الوقوف وقد
نكد رئيس الحرس من ذلك بعد أن طح بهراوته طحنا ولم يبق الرجل بل كسرت ذراعه في
هذه المنة أما ما فعلوه بنا فقد كان شيئاً جديداً لقد أرغمونا على كنس فناء السجن بأيدينا
نسى مرقها الزجاج الدقيق اختار في الفناء وأوسعوناً ضرباً ولكما وه رقسا ه ثم جعلونا نلحس
سلام السجن بالاستئناحت ضغط الشياطين والهراوات ونهش الكلاب !!

وعدنا إلى المخزن والدماء تسيل من أفواهنا ومنا من صاحبه ورم في لسانه خنى وقتنا
هذا !!

أما الرجل الذى تركناه جريحاً يعاني من الصدبد الذى ملأ قدمه فقد رأيناه يفعل شيئاً
عجيباً !!

كان يبرز ثم يدهن قدمه بخورمة يبرازه يطفىء نارها المستعرة ثم انتابته حالة عصبية
فصار يأكل البراز ويصرخ صراخاً عالياً ويحاولنا رغم كل ما حدث أن نهدئه وأن نضع
بنا كان يفعل !!

ووجدت دموعى تساق على خدى دون صوت كان قلبى يتمزق وكان هو يتمزق .
وينضغط تحت ثقل يد قوية عاصية ولم يفكر أحد منا في استدعاء الحرس لإسعاف الرجل
مسكين ولم ينقطع صراخه طوال النهار !!

وفي الليل وأثناء تغيم نوبة الحرس المسائية صار الرجل ينادى زوجته وأبنائه بأعلى
صوته ويطلب منهم أن يساعوه ويففروا له ذنوباً لا تعرفها ثم اختلج جسده وأسلم الروح .

وفي الصباح وجدنا في وجهه تعبيراً هادئاً مطمئناً كأن الله غفر له !! بعد أن مات
الرجل وعرف كل من في المخزن أنه مات انفعلاً أحد الموجودين وبكى بصوت مكتوم ثم ارتج
المخزن بالبكاء وصلينا عليه ونحن في أماكننا وهو غارق في برازه ، وصدبه ، وابتهامته الهادئة
نسى لم نرها إلا في الصباح !!

وكانت هذه هي الليلة الثانية في السجن المظلمة، الليلة الثانية التي لم أذق فيها طعم النوم
وإذا أضفنا الأربعة أيام التي قضيتها في الحمصة بأى زعبل يكون مجموع أيام السهر ستة أيام
كاملة ويبدو أن معظمنا قد نسى أن هناك ضرورة حياتية اسمها النوم .

وفي هذه الليلة كان جوفى يحترق من العطش مما جعلى أشرب قليلاً أكبر من البول الذى جمعناه فى أوعية المطاط طوال النهار وجاء النهار ومعه الجهد ليفعلوا معنا ما فعلوه فى الأمس فتكلم أحدنا فى صوت ضعيف : وهناك روائح أخرى تهب من الأجواف التى أنتها الجوع والسغب وقذارة الأسنان وكان صوت المزاج عذم يتحرك إلهاماً بفتح الباب يعمل كل من يسمعه ينتبه ويصل إلى قوة إنفعاله وتمتلئ عروقه بآثاره تفتت واستعداداً لمواجهة الحظر وتمثل لنا أنشأ الأوقات فى لحظة تسليم الضمام الضيق نكبة القدر الصناعة لأنهم يتهبون هذه الفرصة فيوسعوننا ضرباً ونكماً وأذى !!

وكان كل واحد ينتظر لحفته الرهية لحظة استدعائه إلى التحقيق وكان عذاب الانتظار رهيباً هك من مات فى انتظار هذه اللحظة لم يستطع قه حتم ذلك القدر العارم من الخوف فلم يكن أمامه غير موت يا أدم فيه واحد ميت !!

وشار بيده إلى اللجنة الخاملة وارتسمت على وجهه حدى ابتسامة وقحة :

وحد فقط يا أولاد الكلب ؟ أين نذهب بوجوهنا من سيادة العمد ؟ أى إنسان هنا الذى يتحدث عنه الجدى ؟ لا شيء أنه ليس من البشر لا يؤثر فيه منظر الموت الجديد ؟

ثم رأيت جديدين يحملان اللجنة وهما يضحكان ويتعمرن كأنهما يحملان ماذا أقول ؟ كأنهما يحملان أرخص الأشياء ودانها قيمة وذهب الرجل سكين الذى لم نعرف عنه شيئاً سوى أسماء أبائهم الذين ظل يديهم فى لحقاته الأخيرة فى الموت لقد ذهب الرجل إلى مكان خلف الحياة إلى الله الذى يجد عده العدل والرحمة والسون وكانت الأفكار فى هذا اليوم تمور فى نفسى .

ما الحياة ؟ ما الموت ؟ ما الظلم ؟ وما العدل ؟ وما العزة ؟ وما الذلة ؟ ما اليقظ ؟ ما الحب ؟ ما الجوع ؟ ما الخوف ؟ كل هذا ليس سوى كلمات وما أنا ؟ لست سوى كلمة وما الآلام ؟ أيضاً كلمة وما النكرة وما الصمت ؟ الخوف والباطل كلمات ولكن تختلف الكلمات وتباين هك ؟ كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ؟ وهناك الكلمة الخالدة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس فى واحية التى تعيش فيها ويصنعنا بعضها ونصنع نحن البعض الآخر ليس هذا كله إلا صراعاً بين الكلمات ... الكلمات الخبيثة والكلمات الطيبة - ونحن بين هذه وتلك فى علو وانخفاض ولا يترفع فوق عرش الحياة فى النهاية لئلا لا يمكن قياسها بقياس البشر إلا أصحاب كنيسة العليا الكلمة الطيبة ذات الأكل المتجدد الدفاق اللا متناهى ما دام للوجود حس أو شعور .

الحقيقة أننا واجهنا الموت فى هذا الخزن وبعضنا ناله .. قضيت فى هذا الخزن ثلاثة أيام ونقلت فى اليوم الرابع إلى الزنازين ولم يتركى الموت لحظة طيلة العام الذى قضيت فى السجن الحرف فقد كبت ألقاه فى كل دقيقة وقد ترك هذا العام فى نفسى أثراً لا يمكن أن يمحي أو يوصف أو يتخيله إنسان غير ذلك الذى عاشه وعاناه !! وقد تكونت ثقافة مشتركة بين هؤلاء الذين عاشوا تلك الأيام المزعجة فكم من الكلمات لا معنى شيئاً بالنسبة لكثير من الناس !! ولكن هك كلمات تتردد بين هؤلاء الذين كانوا هناك فترى بينهم كما تسرى الكهرياء فى سلك النحاس ويكون فى نفوسهم معنى لا يختلفون عليه !!

كانت أكثر اللحظات أمناً تلك التى يحكم فيها الحراس علينا غلق باب الخزن ورغم الرائحة القنطرة التى تملأ المكان من البراز والبول والصديد الموجودة فى كل مكان ورائحة كريهة انتفى . وبعد تقديم هذه الصور التى تتشعر منها الأبدان وتشيب من هولها الولدان أستطيع أن أجزم بأن ماذكر فيها ليس كل الحقيقة بل هو غيض من فيض وحزء من كل وقطرة من بحر وسطر من قعطر من الواقع المرير الذى لا تشرحه العبارة ولا يقوى على وصفه بيان ولا يستطيع أن يوفيه لسان فهو عد روى فى كتاب ﴿ لا يضل روى ولا ينسى ﴾ ولا تحسب الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخروهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقضى رءوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفندتهم هواء وأنذر الناس يوم يأتهم العذاب فيقول الذين ظلّموا ربنا أخّرنا إلى أجل قريب نحب دعوتك وتسبح الرسل أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال وسكنتم فى مساكن الذين ظلّموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال وقد مكروا مكروهم وعند الله مكروهم وإن كان مكروهم لتزول منه الجبال فلا تحسبن الله مخلف وعده ورسوله إن الله عزيز ذو انتقام يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وترى الجرمين يومئذ مقرنين فى الأصفاذ صرايلهم من فطران ونفسي وجوههم النار ليجزى الله كل نفس بما كسبت إن الله سريع الحساب هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليتذكر أولو الألباب .

ثمّة عجيبة

دخل معى السجن فتيان كانت تربطنى بهما صلة الشيخ برواده وكانا يقومان بخدمة المنصليين يوم الجمعة حسبة لله تعالى وقد تم اعتقالهما معى فقد كانا يسافران بصحبتى لأداء الخطبة فى مسجد الشهداء بمدينة السويس وقد نالا فى المعتقل العذاب الأليم فى سبيل أن يكونا شاهدين على وقد أخبرنى أحدهما بعد انتهاء فترة التحقيق بأنه قد استعمل معه الوسائل العلمية التى تدفعه دفعا إلى أن يقول كل شيء وكان السؤال الذى يتردد عليهما دائماً أين يخفى الشيخ

كشك السلاح ؟ وما يعلمان : علم اليقين ، بل : عن اليقين ، أن السلاح الذي أدمر الناس إليه هو : سلاح القوى ، وهو السلاح الأقوى !!

إذا المرء لم يلبس لباساً من القطن فلبس عرباناً ولو كان كاسياً وخير لباس المرء طاعة ربه ولا خير لغيره من كان لله عاصياً

وأراد الله تعالى أن يجعل من اعتقائهما سلوكاً نفسياً وتعبقفاً من أهوال المخطوب الخسمة فقد كانا يقومان على خدمتي من غسل الثياب التي كادت تمل وتعتش فيها الحوام كشك يقومان بإعداد الطعام الذي إن شئت فقل إنه لا يمل بشاعة عن طعام الدواب ، قصره أكثر من نفعه ، قطعة من الجبن إن شئت فقل بها انقطعت من جبال الملح ، إبان المصور الوسطى ، وغسل أسود حامض كأنه الفسلين ، والناس كثيراً ما يبتون بالأمراض التي لا تتفق وهذا الطعام لمرضى الضغط ، لا يستطيع أن يأكل هذه الحمارية التي كأنها ضخت في جهنم ، ومرض السكر لا يقوى على تناول هذا الصل ، فعماذا يفتنون ؟! إنه إن منعوا عن الطعام ماتوا جوعاً ، وإن أكلوه ازدادت الأمراض ، وعند الأمم مهم بين أمرين أحدهما مر ، أما عن اليوم فقد فرشت الأرض بطبقة من الأسمنت ندى يؤلم الأجسام صيفاً وشتاءً ومن الناس من أصيب بأمراض في عظامه وكثير من يؤذنه في أيام على ثلث الأرض نسبة ذنوب الثعالب والحفر ، أما ما تحتويه الزرانة من أنواع خشرات محدث عنها ولا حرج ، فإن ما بها من لاسع وقارض يذهب باليوم من الحفون يترك الآدمية في فرغ وحس وقلق وجرح هذا هو الضعاف . والمنام ، وذئب ثالثة الأثافي . الذهاب إلى دورة المياه ، إنها مشكلة المشاكل فاعجب متى تقوم بتحكموا في أحسن خصائص الإنسان حتى تتدبرنا على أحد جدران الزرانة كلمة قالها أحد الناس دخلوها قبلنا كتب يقول : كما ضلبح بحرية القول ، فأصبحنا نطالب بحرية البول ، نعم إنها لفطرة التي ركبها الله في الإنسان وقد كان من هديه ^{عليه السلام} إذا فرغ من تناول طعام يقول : الحمد لله الذي أذاقنا لثته ، ودفع عنا أذاه ، وأبلى علينا قوته وكان يدعو بعد الطعام بتلك الكلمات : أكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة الأخيار ، وأظفر عذكم الصائمون ، وذكركم الله فيمن عده اللهم بارك لنا فيما رزقنا ، وزدنا خيراً منه . أما إذا شرب اللبن فكان يدعو قنلاً في وزدنا منه .

كيف يصبر الإنسان وهو يدافع الأخشين ؟ كيف يصبر على من يرد عليه قاتلاً أمامك ست ساعات إنه يظل يتلوى من حصر البول !! أبول في المكان الذي ينام فيه وليس معه من يبول فيه ؟! أهيس هذا تعدياً بغير سوط أو عصا أو كى بتكهرباء أو إضاءة أعصاب تحدير في ملابس العنسة ؟! أهبل بعد ذلك لمن هو السحور هل عذوبك ؟! أه سؤل

غير وارد لقد كانت يتلوى في زرانة أخرى أحد : علماء المسلمين ، وكان به قدم ثينة في نعم وكان يؤدي خطبة الجمعة في أحد المساجد بالخاصة المعروفة بمصر خديدة وكانت جموع المفيضة تولى وجوها شطر هذا المسجد ونؤمه فرحة مستبشرة بالاستماع إلى هذا الله عبة الإسلامي الكبير متى تنطق الحكمة من نواحيه وأذنه كان يقول الحق ولا يخاف في الله لومة لائم ويبلغ ربالات الله ويخذه ولا يفتنى أحداً إلا الله من أجل ذلك أصبح نزول الحسن وكان مريضاً بالسكر ، ومريض بالسكر كما هو معروف بكثير من الذهاب إلى دورة المياه يخرج ما لا يشاء من بول ، فكان كثيراً ما يفرق بين الزرانة من ذهابها مستعجلاً من يمنع له لما يعابه من ألم البول ، ولكن لا يحب ولا مستمع !! لم يكن هذا رحمة بالآدمية فذا ما كثر صوت الأبن وانزعجت صاح في الحسن صانع ذو صوت ضيق فليله سكنت يوم هذا صوت نور سمعته خفي من حرجت من تركها ونور سمعته خفي من حرجت من تركها وكانت أعينها أنه حيق أخرب وسر الشؤة في أيام حسات مع كانت لها ما يلا نفس وكانت الجالها في فمر يذ هي صمات في سر حى يفتنه موج من فوفه موج من فوفه سحب ظلمات حصنها فوق بعض يد حرج به لم يكن عراها

استدعاء إلى التحقيق مرة أخرى

في الليلة شديدة من عتف وفي حصر خفيف فتح عني من مريرة وصاح أحد جلالى بصوت مرتفع قنلاً في ذا سمعت صوت زرانة ينتج فقه وقنا بلا يرد قد أخذ مرفقاً : إنه كفيف وأحدث من يدي في مكان التحقيق وحلست أنه اهتق فإذا هو يفتنى حتى هذه الأسفة : هل سبق لك الخلع في لعمرة ؟ قلت : لا . ثم سأل من أسم على يدي بعض الصاري ؟ قلت : نعم . وسأل وكيف كان ذلك كذلك قلت : كانوا يستمعون إلى دروس العلم من خارج المسجد ، وكانت تدور بين وبينهم مناقشت في أرض الخديفة نسخة بالمسجد ، وقبل ذلك وبعدة فذ من تعال يقول : في فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام . وذكرته له قصة إسلام أبي ذر العفاري وقد جلس بين يدي رسول الله ^{صلى الله عليه وسلم} ولما سأله رسول الله عن اسمه وقبيلته وعلم أنه من غدير قال له يومئذ هلكت ؟ سأله هل أنت ؟ وهو يحب محمد أحبه أبو ذر بأنه حبه ليعق بكلمة توحيد يصبر مسدوداً

وسر عجب الرسول ^{صلى الله عليه وسلم} من ذلك أن قبيلة لغفار كانت تقو به بقطع الطريق ونسب من موالمه ولكن زال حب عندما قرأ الرسول ^{صلى الله عليه وسلم} قوله تعالى : في ولكن الله يهدي من يشاء . إن الإله . إذا تمكنت بشئ من شعاف فتقوب يكاد بعض تستحي منك وتسبح لأحج عذبا مرة مسجلاً . في قوة يفتن لحرق الجبال . وتسبر عوده

وانتهى التحقيق عند هذا فقد حاولوا أن ينتزعوا أى كلمة من الشابين اللذين دخلوا معي السهم ليجعلوا منها قضية ولكن كان الحق أقوى . بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون . أين أخفى سلاح ؟ أخفبه في الخبر الذي أعطى عليه ؟ وماذا أصنع بالسلاح والحق قوة بين قوى الجبار أمضى من كل أبيض هندی ؟ إننى مازلت أذكر عندما حضر أحدهم إلى بيتي للفتيش ولم يكن قد مضى على زواجي خمسة أشهر وجد بعض السكاكين التي كنا قد جئنا بها بحسبة الزواج فقل متبكها ما هذا السلاح ؟ وقتت في نفسي سبحانه الله أتسمه سلاح الطيران ؟ أم الدفعية أم المدرعات ؟ أم الصوريخ ؟ وأخيراً قلت : نعم إنه سلاح بصل !! إنها لغة الأقباء !! لغة المذهب الذي قال للحسن عكرت على الماء !! وهو يعلم أن الماء لا يجري في العلاء ، ولكن القوى يختلج الذنوب لتضعيف ليله ونسى أن في السماء ملكة يقول فيه مالهك ومليكها . وما كنا عن الخلق غافلين . لقد كتب على باب تلك ملكة . ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين .

وژيا منامية

سأنت غشى وأنا داخل حش و نيمه الأولى لما حدث بي هذا المكان ؟ وما هو الذنب الذي حبسته ؟ ومتى وقت ترحيل ؟ وهل هذا الليل من آخر ؟ ليل الظلم وظلمت وقصع عني هذه الأسئلة النوم فقد تمت بعد إرهاق الشديد رأيت في المنام نصديق رضى الله عنه وقتاً أنه مير المصطفى صلى الله عليه وسلم وسأله أيرضيت بحليقة رسول الله ما نحن فيه فرد عني يقول الله تبارك وتعالى : في وأصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم . وعلمت أن هذه لشدة لا بد لها من الصبر والصبر كما قال العلماء : احتمال لكدر هو مقاومة النفس الهوى لئلا تنقاد لتفانيات أو هوسات بحث الدين في مقابل بحث الشهوات . وقد يكون الصبر عفة إذا كان صبراً عن شهوة ، وقد يكون حليماً إذا كان عن جهة الجاهلين وكاد خليم أن يكون نبياً ، وقد يكون شدة إذا كان على الغضب وقد يكون قناعة إذا كان عن شهوة الغنى ، فالصبر مع الله وفاء ، والصبر لله ولاء ، والصبر في الله عصم ، والصبر عن الله جفاء . في وأصبر وما صبرك إلا لله ولا تحزن عليهم ولا تلك في ضيق مما يمكرون إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون . وعلمت أنه لا بد من صبر من ليسبح بحمد الله حين يقوم الإنسان وحين الليل وسعة دبر النجوم ولا بد من لزوم الاستمرار فإن من لزوم الاستمرار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ومن كل شدة مخرجاً وورقه من حيث لا يحتسب .

حاء عوف بن مالك إلى النبي ﷺ يشكو له أسر ابنه بيد الأعداء فقال له الرسول سنوات برف وسلامه عليه . أكثر وأنت زوجك من قول لا حول ولا قوة إلا بالله . وعاد رجل من بيته وأحمر زوجه بما أوصى به رسول الله فحنس بردان هذا القول : نور . لا حول ولا قوة إلا بالله . وما أن أوشك الفجر أن ينشق ضوءه حتى كان الباب يقرقه وإذا انصرف ابنيها ربه أن استقر به المقام بسأل ماذا كتبنا تقولان فقالا كنا نقول : لا حول ولا قوة إلا بالله . فماذا حدث لك ؟ قال لقد قيدني الأعداء بسلاسل من حديد كي لا أستطيع الفرار فبشعرت كأن حلقات السلسلة تتسبع شيئاً فشيئاً حتى أخرجت يدي وقدمي وعلى حين غفلة من الأعداء سقطت تلك الرئيس من الغم فذهب عوف بن مالك وعرجة تعرف فوق رأسه كأنها اخمام البيضاء ، فوق المروح الخضراء ، ذهب إلى رسول الله ﷺ ليخبر عليه ما حدث وإذا الصادق المصوم يقول له : يا عوف ، لقد أنزل الله في حقك قرآناً ينل إلى يوم القيامة ونلا عليه قوله تعالى . في ومن ين الله يجعل له مجزاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شئ قدراً .

صور من السجن

حبر نصادق لمصوم ﷺ أن امرأة دخلت النار في هرة حسنها وذكروا أن أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه لما ذهب إلى بلاد الشام وجد رجلاً يقف في حر الشمس وشمس وشمس ض ضيل فسأل : ثم رقت هذا في حر الشمس وهو لاه ؟ قالوا : يا أمير المؤمنين لقد أتى ذنبا فكان ما رأيت عفاً له ، فأخذ عمر بيده إلى الظل ثم قال لهم : قد سمعت رسول الله ﷺ يقول : في إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا . نعم يا فاروق هذه الأمة . بمن حكمت فعدلت فأمنت فمت . لقد كان إسلامك نصراً ومحررتك عزاً وخلافتك رحمة :

إن حار في شدة فوم شركهم	في الجوع أو تجعل عنهم غواشياً
حوق الخليفة والدنيا يقبضه	في الزهد منزلة سبحانه مولياً
فمن يبارى أبا حفص وسيرته	أو من يحاول للفاروق تشبهاً
بوه اشتت زوجه الحلوى فقال لها	من أين لي ثمن الحلوى فأشترتها
ما زاد عن قوتنا فالمسلمون به	أولى فقومى لبيت المال ردياً

إن رسول الله ﷺ يخبر عن الرحمة فيقول : من لا يزعم لا يؤرم . ويقول : لا تنزع الرحمة إلا من شئني . ويقول : الراحمون يرجهم الرحمن . ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء . وروى أبو بكر رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ عن أمين

وقد صدق الرسول ﷺ وهو يقول في قوله تعالى : **مَنْ كَانَ مَعَ الْعَرَبِ يَسِرَا** إن مع العرس يسرا **مَنْ** قال لن يعلب عرس يسرين ، فلهذا الله تعالى لشيخ الخليل الذي كان جوار يزارني وكان يحكي من مرضى السكر يكتب فيه وشمة الخوخ **مَنْ** له رجلاً من الحراس لكن رزقه الله قساً طيباً كان يشار في ضمه ويحضره شيخ ، كما أحضر له كوزاً ليول فيه وقصارى القول كان يمهده وهك نسل حبص من الرحمة كشعاع الشمس المائل من حجاب الباعثة وسبحان من ولي مرسى في جث فرعون **مَنْ** وقالت امرأة فرعون لفرعون عيني في ذلك لا تقتله عسى أن يفلحنا أو نعهده وننسا وهم لا يشعرون **مَنْ** مع **مَنْ** يد الله تعمل في الحماة .

مسي حلال الذي كان يورثه في دوراً به بعضه كتصريح بعد عرس في أول ذات يوم وقال هو يكذب بكلي : ادع الله أن يشفى رجلي فإني تعالى من المستعانة . فقلت له : إن أردت أن يشفى الله فاعمل بصبري . **مَنْ** تعرف الأخ ولا ؟ قل نعم : قلت إنه تعالى من الديوتية **مَنْ** لا تسمح له في دوراً به **مَنْ** ثلاث دقائق من نحرها فحمت عليه لياق وصيرته دعه يأخذ راحته ومعه من الحب نصف ما كنت قد قرنته له وسوف يشفى الله روحه ويذكرته بقول السيد محمد **مَنْ** : **المر لا يبل والذهب لا يسي والدخان لا يموت** اعلم ما شئت كالتدين **مَنْ** **مَنْ** بعد الصبحه حتى كان ذلك **مَنْ** الأخ ارضى بمحب خمس مدمة حتى لم يبعدها من في ذلك كما أردت لأستند في نحر عاتق من دوره انباه فلن له حتى كان يضربه من قبل **مَنْ** بعد صيرت ربع ساعة **مَنْ** وقت صاف **مَنْ** وحاهي ذلك الجلاء بعد يومين فرحاً مستبشراً بشده **مَنْ** نيوحه نعم !! بالكلية ندى تكيل به الناس صيكاك به عليت **مَنْ** ويل للمطففين الذين إذا ائتمروا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يقض أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين **مَنْ** بأبيها الناس حاسوا فمكك قل أن تحاسوا يوم **مَنْ** فمكك قل أن تؤنزلو .

فأه عه سيد **مَنْ** ذلك الحارس صلب فله أهداني هدية من نسيه ما حيث فقد أحذل ذات يوم لأتوب الصلاة المحر و **مَنْ** عودتي في العبر غمزي في يدى ووضع بها بصله صفوة وقال لي حذ هذه لتأكله بجانب عود **مَنْ** زوجتي **مَنْ** أم نيسة **مَنْ** و **مَنْ** أله لرمي فشرها في العبر فوب من المصوعات . **مَنْ** سيد الله !! فشر عرس من المصوعات !! وقيل الأكرهه . **مَنْ** يصيب الناس وحدهم ويصعبهم ويؤذيهم في زمانين نصفها ماله . **مَنْ** وصلهم فوق سور صحن في زعم **مَنْ** ونشره عائلاته ويبيع الآمين **مَنْ** وإطفاء اعتدب أسحاير في ملابس العفة . كل هذا ليس من المصوعات !!؟ قد له **مَنْ** صمغن باعم سيد صوف **مَنْ** لكنها بشرها .

وكذا د بمصر من المصوعات ولكنه صحك كالبكا

لست الله يا مصر !!

صيرنا إلى أن مل من صيرنا المبر **مَنْ** ولنا هذا أو بعده ينجل الأمر فكان هذا عمراً ولو مد حبله **مَنْ** فقد بطوى في جوف هذا العد الدهر ولنا عسى أن يترك الحق أهله **مَنْ** فصاحت عسى من لا ولا طعمها مر عجت نهر يهزم الليث حقه **مَنْ** وتغفر بالتور ويحك يا مصر !! سلام على الدنيا سلام على الوري **مَنْ** إذا ارتفع العصفور وانخفض الشتر

كأن من أشد الأشياء لنا يلاماً أنه لم يكن معاً ثياب حتى نصل ماعى أحسانا ويسه من تعد حرجا من دياره أو أحرجا منها وقيل لنا يومها : إنكم لن تتأجروا حسن دقائق وكوت الثياب تل وقد ملأها الهواء ومنها حشرة القمل وأوشكت العيرت أن تكتسب يوم يكن معاً إبرة ولا خيط فكنا نقصى أكثر ولنا ندعو الله بدعوتين عسها السي **مَنْ** **مَنْ** صحبه يوه الخندق وبى قريضة بعد ما أشد الكرب **مَنْ** إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذا ألغيت الأبصار وبلغت القلوب الحياح وتظنون بالله الظنونا ذلك ابتل المؤمنون وزلزلوا زلزلاً شديداً **مَنْ** قلوا يا رسول الله فدايقول؟ قال هم : قوتو : **مَنْ** اللهم استر عورتنا ، وأمن روعاتنا .

فصبت في صحن غلعة ثلاثة أشهر فصبت الساعة فيها كأنها شهر ومعنى يوم كنهه **مَنْ** **مَنْ** نرضى بعض متفلاً بعضاً كان أيامه سلسلة من الخال ولكن مما كان يصف من عرس قبل أنما كذا مجموعة تزيد عن العشرة في مكان واحد لكن كان الأئين ندى يبعث من أصوات المعبدين مع ثوم عا ويجعل الطعام ذا غصة كأنه الضريع أو الزقوم أو الضلين فكان ذلك كنهه نهر في النفوس أضف إلى هذا ما كان نغايه من الانشغال على أولادها وأهلها فبدأ **مَنْ** عليها العذاب البدني فمن الصعب أن يكون العذاب النفسي ولكن الليل مهما طار **مَنْ** من صاع **مَنْ** محرو وسحل من قبل **مَنْ** ولا نياسوا من روح الله إنه لا نياس من روح الله إلا اللوه الكافرون **مَنْ** كان القرآن لنا خير جلس وأصعب أيس وأعظم صديق وأكرم رفيق **مَنْ** **مَنْ** أراد أن يكلم الله فيدخل في صلاة ومن أراد أن يكلمه الله فليقرأ القرآن . **مَنْ** **مَنْ** أراد مؤنساً الله بكفيه ومن أراد حجة فليقرأ بكفيه ، ومن أراد العلى فالساعة تكفيه . ومن أراد وعاء وسيت بكفيه ، ومن لم يخلص شيء من هذا فإن النار تكفيه نعم كان القرآن ساء شرباً ومصلحة .

وحمر جلس لا يئمل حديثه **مَنْ** وفرداده نرداد فيه تحملاً وحيث التي يرتاع في ظلماته **مَنْ** من القبر يلقاه سنأ متبلاً

وصدق الله تعالى إذ يقول : ﴿ قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ﴾ نعم إنه الروح الذى يحيى الموات والنور الذى يذهب غياهب الظلمات ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً تهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم ﴾ .

• قصة أيامي •

« من قلعة إلى قلعة »

فيل مرجع إلى محقق صرة لا بد أن تذكر تحت موقعة التي تعتبر من مضحكات
حيث . وقد قلنا أن من أثر المصائب ما يحدث . فوحيث وأنا في معتقل القعة
بوجود صاحب قد اعتقل وهو أحد ضمة كبة الآداب حمعة عين شخص ، وكان ممدوب الضمة
التي . بعد نحو من يكيت حمعة ، وهو الذي كان قد دعاني مرتين لأحاضر في ضمة حمعة
من قبل . إذ غلبت عليه شدة حزنه من جراء ما كان يروى عن ضمة المخلص حمدي
في عظمه . فبعد ذلك من ذلك ما كان . غداً صباح " وما يشبهه في وحيث

[illegible]

113

ترامت الأنباء بقرب رحيلنا من هذا المكان . ومن البعض إفراجاً فسرت النجعة في النفوس ؛ فإن الإفراج للسجين كالإحياء للميت ، لأن السجن مقبرة الأحياء ، ومست الأعداء ومفرق الأحياء ، وعزّ الأصدقاء ، لكنني لم أشعر بهذه البهجة ، فقد زارني أحد الصالحين في المنام ، وقال لي اصبر واحتسب ولا تجزع ؛ فإنه ما زال هناك قضاء سيفذ ، وصلينا الفجر ، ونودى على أسمائنا ، وقال الشاوي : من سمع منه فيحضر مناعه ، ويستمد لركوب السيارة ، ولم يكن لدينا مناع سوى ثيابنا التي بليت وقال فيها حافظ إبراهيم :

أبلى الثقباء جديدة فقطعت منه الأظافر
فانظر إلى الثوابه لم يبق منها ما يظهر
هو لا يريد فراقها خوف القوارس والهواجر
لكنها قد فارقته فراق معذور وعاذر
إلى أعد خلوعه من تحتها والليل عاكر
أبصرت هيكل عظمه فذكرت مكان المقابر
فكانه هو ميت أحياء عيسى بعد عاذر
قد كاد يدمه النجم وتكاد تنوره الأعاصير
وتراه من قرط الهزال تكاد تغه النواظر

كانت هذه أحوالنا من ثياب بالية ، وهزل ، وضعف في لأحمه وعافية هرمها العذاب ، والضعف ، وجفوة النور ، وسوء التغذية ، والتبوية ، وسأت نفسي بعد أمر بالرحيل : لماذا سجت ؟ ولماذا لم يفرج عني من هذا مكان ؟ بعد الرحيل من سجن آخر ؟ وطريق ما طريق ؟ أطويل أم أقصر ؟ وحتى الآن ما زلت أغدو من يبيب من هذا السؤال ؟ لماذا سجت ؟ وما هي التهمة التي وجهت إلي ؟ وفي ذنب اقترقت ؟

إلى سجن طرة

قطعت بنا السيارة الطريق من نفقة إلى سجن طرة ، تحت حراسة مشددة من حدود الصالحين الذي لا يردون على سؤال منا ، وقد دارت في نفوس أسئلة كثيرة كان من : إلى أين ؟ وإلى متى ؟ ولماذا ؟ وكان أجوبه عن علم دت عند رى في كتاب لا يفضل رى ولا ينسى . ونزلنا في ساحة السجن التراب حيث وقفا ساعات طويلاً ننظر ما سيقع بنا ، وأمرنا نخلع ثيابنا لبس ثياب السجن ، وحمدنا الله فقد بليت ثياب حتى كانت علينا من يوم اعتقلنا ولبسنا ثياب السجن ، وقد حز في نفسي حالة ذلك الشيخ الذي بلغ من السن ما يزيد عن الثمانين عاماً ، وهو الشيخ محمد عوض ، كان يعمل نظراً في إحدى مدارس

السويس ، وكان رجلاً قد وهن المضم منه واشتعل رأسه حياً ، وقد بلغ من الكبر عتياً ، جرى به كما جرى بالآلوف من أمثاله من غير ذنب أو جناة أو جنحة أو مخالفة ، لكنها لغة لذئب الذي قال للحمل نقد عكرت على الماء .

صدقت يا رسول الله يا من رويت عن ربك في إحدب القديس الجليل : اشتد غصبي على من ظلم من لم يجد له ناصراً غيري واشتد غصبي على من وجد مظلوماً فقرر أن ينصره قلته ينصره . حرت كثير لحال ذلك الشيخ المهيب الذي جرى له بكثير من يدل سجن فكنت كنها فضضة لا يستطيع أن يلبسها لأنه ناكل الجسم كأنه يقول بسان حال من قد شاعر منه :

كفى بحسبي غولاً أننى رجل لولا مخاطبتي إياك لم ترفى

كتبه لم يرحموا شيخاً كبيراً ولا طفلاً صغيراً ولا امرأة ضعيفة ولا عجوزاً قايماً ، ولا مصاباً وهياً ، وأحيراً أمر بترحيلنا وتوزيعنا على العنابر ، لقد سرنا في الطريقة المؤدية إلى العنابر ونحن أصواتاً عتية وصحيجا وعجيجا فقلنا أن بالسجن جموعاً من المعتقلين ومست صومهم على كبريتهم وما أراد الحرس المكلف بتوزيعنا فتح باب العنابر وأدخلنا واحداً بعد الآخر وهو يقول منكمنا سحراً : هذا أخوك في الله !! وما جاء دور الشيخ محمد عوض ، قدمه قداماً : هه حذرك في الله !! إنها سحرية برجل كان يحب أن يخترع اسمه وعلمه وقضيه وضعفه ، فلو رحمت برحمه الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء .

ليس ما من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا وأمر بالمعروف وبنه عن المنكر . . ومن لا يرحمه لا يرحمه . . ولا تنزع الرحمة إلا من شقى . ودخلنا العنبر وما فيه من اسمه شيء ، فهو من أسماء الأضداد كما تسمى الصحراء بالمغازة ، وما هو بعنبر ، بل إلى أقسم بأنني غير حائث على أنه لا يلبق حتى يتموآب !! الدناخل فيه مفقود ، والخارج منه مولود ، نعم مفقود لأن الحضور فيه موت بطيء ، والخروج منه موت بطيء ، فما نجا من الأرض إلا قليل . وليس مرصاً عابراً أو خفيفة إنما أمراض أهلها الربو والروماتزم ، يشعر الإنسان عندما يدخل هذه الأماكن السامة والمثل والكلال ، فسوء التبوية وسوء التغذية ، والاضلام الدامس الليل والنهار ، وحر الشمس اللافح ، وإغلاق الباب ، أضف إلى ذلك هذه الأماسة الكبرى ، بكل هذه دورة لمية تصرف الفضلات خارج المكان ، إنما كان هناك بجانب العنبر صفيحة عن حبيب صنعت من الخشب وسط بول كثير تسبث منه رائحة تركب لأتوف ، وتسمى لأصهار ، وتخلأ ليربين وباء ووبالا ، والويل كل انوي لمن زلت قدمه فسقط في تلك الصفيحة . لضعفه أو لكبر سنه ، أو لضعفه بصره ، إنه حيث يرى من الشاعب وانفعب مالا تشرجه لعنارة ، فهو إما أن يقع في الغائط حتى متصف جسمه أو يقف في حر من

البول إنه في كلا خالين ضائق الصدر ، معني الوجدان ، صميم النفس ، وكم كنت ألقى من العناء ما ألقى عندما أريد قضاء الحاجة ، بما كان يدفعني إلى أن أقل من الطعام والشراب ، وكثيرا ما كنت أصوم ، وأنا أعلم أنه لا غذاء في الإفطار ، وما هي إلا لقيمات بقطعة حين هي عبارة عن صبح متجمد ، كأنها قطعت من جبل في ظلمات العصور الوسطى .

لقد ضاقت بما الأرض بما رحمت وضاقت علينا أنفسنا ، وعلمنا أن ليس لنا من دون الله كاشفة ، وأنه لا ملجأ من الله إلا إليه ، فمادا نصنع ؟ السحر رهب وقد انقطعت صننا تماما بالمع الحارسي ، فلا نصلنا أخبار عن الدنيا وما فيها ، وأصبحنا كما يقول القائل على لسان أحد السحرة :

حرجنا من الدنيا ونحن من أهلها فلا نحن بالأموال فيها ولا الأحبا
إذا جاءنا السجان يوما حاجة عجبنا ولما جاء هذا من الدنيا

نماذج مختلفة

كان كل عمر من عابر سجن مرة يشتمل على نماذج مختلفة الأسان والثقافة والعمل ، لكن مع بساطة جميع وحدة العقيدة وسمو الغاية وشرف اهدف ، فهذا شيخ قد بلغ من كبر عتيا ، وذلك شاب فتى ، وذلك في مبة نصبا ، وغصص العمر الأخضر ، جاءوا من بلاد شتى من أسوان .. إلى الاسكندرية .. رأيت شيوخا ما دخلوا السجن ظلوا صامتين حتى جاءهم لفرج من الله لم يملطروا إلا أمام العيد ، ورأيت شبانا في رمان أياهم رأيتهم إذا جن الليل عبيم نجاة جنوبهم عن المضاجع ، يدعون ربهم جوعاً وطعماً . شباب مكثون في شبابهم عضيضة عن الشر أعينهم ، قسيرة عن الباطل أرجنهم ، يضر الله إليهم في جوف الليل وأصلابهم منحنية على أجزاء القرآن ، إذا مر أحدهم بآية لبشر بالحقه بكى شوقا إليها . فرد مر بآية تنذر من عذاب النار شفق شهقة كان زفير جهنم بين أذنيه نعم ! لقد أحبوا ميل بالصلاة والقرآن .

سمعت أحدهم وقد قرأ في ركعة واحدة جزء ، تارك الذي بيده الملك ، ولي التركة الثانية ، جزء عم يسألون .

سمعت بعضهم يدعو الله فيقول : اللهم لا ترحمني من هذا المكان حتى أتم حفظ القرآن الكريم . واستجاب الله له فلبث في السجن عامين حفظ فيها القرآن الكريم حفظا جيدا . ومن ك سأل الله العافية إلا أنه رأى في السجن حياة جعل مع غار حراء ، نعدا . وتنتال وصحابة وصلاة وقرآنا كريما ، رأيت في السجن ستة خاتمات ك رأيت محبين والمهسين وأصبا ، كما القيت بالفضبة والفلاحين وعمال شد حاموا جميعا تحت لمة

كتب عليها : الإخوان المسلمون ، أو : الشاط الدني ، أو : النشاط المعادي ، أو : الثورة المضادة ، أما كان ؟ فإن الظلم مرثعه وغييم ، ، وه هو ظلمات يوم القيامة . . ولا تحسن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخروهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعين ، ووسهم لا يردد إليهم طرفهم وأقدهم هوا .

يا نائم الليل مسرورا بأوله إن اخوات قد يأتين اسحارا
وكم من جبال قد علت شرفاتها رجال فزالوا والجبال جبال

كان الحر يشتد ، ونسبة الرطوبة ترتفع ، فذلت العير الذي لا يصلح اصطبلا محبوس ، ولا حظيرة للمواشي كان يضم بين جدران مئة وعشرين . وكانت اخدرات ذات لون سود ، والأرض حتر وتعاير ، وقد تلاصقت الأجسام من شدة الرحام ، وانتقد في سماه العير بخار كثيف من التنفس ، فإذا كان كل إنسان يتنفس في الدقيقة ست عشرة مرة فما ذلك بمئة وعشرين يتنفسون في مكان قد أحكم إغلاقه . وهو في مس الوقت يحوى على حيرة من تحول الواقف والعتظ والروائح احبنة !! لقد كنا نتبادل وضع الألف على عتب مناج آيات ، لعل أحدها في ليالي الصيف الفاتضة يحصل على شيء من الهواء الذي ملأ الله به حببات الأرض لكن ذلك كان عيبا حراما . وكانت النساء الكرى عندما يكتف اثان منا حمل صبيحة الرار للإلقاء بها في مكان خارج العير . كنت هذه فرصة لمن يأتي عليه الدور فيه يستقل شيئا من الهواء ، لكهما وهما يحملان ثلث خضفحة كان يسلط منها في وسط عير ما يدير في النفس الغثيان ، وفي الكبد المرارة ، كانت مأساة ما بعدها مأساة .. لا هواء ولا ماء .. إلا ما يسد الرق ، ولا يوم حيث لا فراش ولا غطاء إلا لمفلل الذي لا يمنع ألم الأرض ، ولا شدة البرد ، ولا طعام إلا كطعام الأثيم .. كالصريع والرقوم والعنق والفسوس ، والظلمة قاتمة ، والفراغ قاتل وأصحاب الفكر قد تجسد فكرهم ، والكفائات وأسائدة العلوم والمعرفة أصبحوا ينتمسون من الحار من أن يفتح باب العير ولو لدقائق قليلة ، والفرصى يموتون ، أو يشون ، أو يستملنون ، فلا يعتنون ، والحر لا يح ، والبرق ملجم ، والياب ل حاجة إلى تضيف ، والارتفاع درجة الرطوبة لا تساعد على تخفيف الحرق !! لقد صفت المنوب الحاجر !! وضاقت عليها الأرض بما رحمت !!

دروس العصر

لما صدقت بنا الأرض ، والضم ضارب ضابه ، وتقوب أصححت أشد قسوة من الحجارة ، ربما أن تخفف من وطأة الأحداث فترحنا أن نتحدث من يستطيع الحديث إلى اخوانه بعد صلاة العصر من كل يوم ، فليحاضرنا الأطباء في الطب ، والأدباء في الأدب ، والمهندسون في الهندسة ، والعلماء في الإسلام حتى لا يضيع العمر في هذا الجمود ، وحتى نقضي الوقت في شيء مما يخفف الأعباء وقد كنت بإلقاء درس بعد العصر ، فاخترت التفسير واخترت من القرآن ما يناسب المقام فكان حديثي يدور في سورة يوسف حول ما لقيه الصديق ، عن نبينا وعليه الصلاة والسلام من شذائد وعجائب !! وهو لذي دخل السجن مظلوماً مكبة من مكابد النساء ، وكيف قام التقيص بموقف مشهودة في السورة ، فهذا قميص اجده : ﴿ وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أموا فصبر جميل والله نستعان على ما تصفون ﴾ وقميص الإبراء : ﴿ قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم ﴾ وقميص الشفاء : ﴿ اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتوني بأهلكم أجمعين ﴾ . ثم تحدثت عن دور الرؤيا في حياة السجين وحققا لم تكن هناك وسيلة اتصال لنا بالخارج إلا الرؤيا الصادقة وقد صدق رسول الله ﷺ إذ يقول : لم يبق يعني من النبوة إلا المبشرات قالوا وما المبشرات يا رسول الله ؟ قال : الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له ، وقد علمنا الصدوق المعصوم أدب الرؤيا حيث قال : « إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فليحمد الله عليها وليحدث بها . وإذا رأى غير ذلك مما يكره فليست به والله منها ولا يحدث بها أحدا ، فإنها لا تضره » . وقد جاء رجل إلى بيت الإمام محمد بن سيرين ليقص عليه رؤيا فأنخبرته الجارية بأن الإمام نائم فغضب وقال : ولكني أريده هو فقلت له : قص على رؤيتك ، وسأعبرها لك . فقـ : رأيت كأنني أصعد السلم فانكسر في سقطت من فوقه فست . فقالت له : إن صدقت رؤياك فستمت . فاهتاج غضبا وصعد السلم ليوقف الإمام من رومه ، فانكسر به السلم فسقط فمات ، فاستيقظ الإمام على هذا الصوت صوت سقوط السلم ، وانقض الرجل - لأرض ، فسأل الجارية فقصت عليه رؤيته قال الإمام متعجبا : سبحان الله رؤيا على جناح صائر متى فقس وقع . وسبحان ربي لقد شئت سورة يوسف على أنواع كثيرة من الرؤى - ثم العلى اعظم برؤيا يوسف :

﴿ إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ﴾ ثم ذكر مولانا تبارك وتعالى بعد ذلك اثنين من الرؤى قصصهما فتبين دحلا مع يوسف السجين : ﴿ قال أحدهما : إنى أراى أعصر نخرا وقال الآخر إنى أراى أحمل فوق رأسى عذرا تأكل الطير منه نبنا بتأويله إننا نراك من المحسنين ﴾ ثم ذكر مولانا جل شؤه رؤيا سبت التى كانت سببا أرادته شى تعالى لإنقاذ أهل مصر من أزمة اقتصادية حادة ، ومحنة مدمرة . وكانت سببا في أن يقول الملك : اتقوا به أستخلصه لنفسي قل تعالى : ﴿ وقال الملك إنى أرى سبع بقرات ثمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات جضر وأحر يابسات ﴾ فتأمل معى كيف قامت تلك الدلالات وهاتيك الإشارات وكيف كانت سببا في : ﴿ يوسف : ﴿ إنك اليوم لدينا مكين أمين ﴾ وكيف كانت عاقبة مصر والصبرين قنوا : ﴿ أهلك لأنت يوسف قل أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ ثم نظر كيف جمع الله الشمل ، ورأب الصدع ، ﴿ ووقع أبويه على العرش وخروا له سجدا ، وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربي حقا فقد أحسن إلى إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن بلغ الشيطان حيل بيني وبين الحق إن ربي لطيف ما يشاء إنه هو العليم الحكيم ﴾ نعم ! لقد كنت برؤيا في حيث ما فيها ومفرها ومعناه ومرماها فقد كنت داخل السجن أفنى الساعات عوالم كل يوم أسمع إلى رؤى إخوة وأقوم بتعبيرها ، والرؤيا لا تقص إلا على حب أو بيب . وما ريت ذكر هذه القصة عريضة في الرؤيا فكثيرا ما كنت أرى أبى رحمه الله تعالى في المنام جالس معى لا يفارقتى إلا عمن أقوم استعدادا لصلاة الفجر ، وكأن حدث قد عر على الأموات فجاءوا ينفون بجانبنا مدما بعد أن قست قلوب الأحياء وقدت من الصخور !!

مضمان في السجن

قضت شهور نصف بم فيها من المأوى والمعاونة والشلائد والمحن وانفقت وكنت عني رأي تلك المأوى ما أصبنا به - عني الكثير من المسجونين - بالأمراض الجندية التى سرت في صفوفنا سرعان النار في الخدء ، والسم الزعاف في الأحشاء ، وكان ذلك ناتجا عن مع الله عن مما كان يقدف كثيرا من استعمال قطرات الماء في الشرب . ونستعمل نعيم حوى الصلابة . وقد لطف الله في فعدوى من هذه الأمراض الجندية التى كان المرضى بها يعربون في مكة بعيد . وقد علم الله تعالى أن معى في العنبر إخوة يقومون على خدمتى . فبرأى غزلت مع سبى غزلوا لشفق دمى عن نفسى : ﴿ إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم ﴾ كدبت كان من الأحداث احدها التى وقعت في صيف السجن ذلك انفر سبى نعموا أن

بلموموه علينا بالمذبح غداة تم تنفيذ حكم الإعدام في الشهداء الثلاثة : سيد قطب ،
وه عبد الفتاح إسماعيل ، وه محمد يوسف هاشم . ولن أنسى صبيحة هذا اليوم وقد أذاعت
النبا إحدى المذيعات وكانت ترف نبا انتصار الجيش عن إسرائيل ، وكأننا استعدنا أرض
فلسطين المقدسة .. وما زاد الأمل في النفوس أنها بعد إذاعة لنبا قالت : والآن نستمع إلى أغنية
بسمي نو !!

إلى هذا الحد بلغت الشجاعة يقوم صدقوا ما عاهدوا الله عليه ونسي هؤلاء أو تناسوا أن
هؤلاء الذين تم تنفيذ الإعدام فيهم أحياء عند ربهم يرزقون . قال رسول الله ﷺ لجابر بن
عبد الله يوم استشهد أبوه يوم أحد : يا جابر إن الله تعالى كلم أباك كفاحا (أى بدون
حجاب) . وقال له : يا عبد الله تمن علي . قال : يا رب أتمنى أن أعود إلى الدنيا فأخبر
إخواني بما أنا فيه من النعيم المقيم ثم أقل فيك . قال له الله : لقد حثي القول مني أنهم إليها
لا يرجعون . قال : يا رب فمن يغبر إخواني ؟ قال الله : أنا أعبرهم فأرسل الله جبريل
بقوله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون .
فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم ينحطوا منهم من خلقهم . ألا خوف
عليهم ولا هم يحزنون ﴾ .

إن هؤلاء القم الذين نفذ فيهم حكم الإعدام محرر التاسع والعشرين من أغسطس
١٩٦٦ قوم قالوا كلمة حق عند سلطان جاث ، فهم بين حرة بن عبد المطلب ، وجعفر بن
أبي طالب . لقد أمروا هذا السفطان الجائر بالمعروف ونهوه عن المنكر فقتلهم بعدما عظمهم
بنابه ، وصب عليهم سوط عذابه ، لقد جرعههم كتوس الشكيل ، وثاقهم من العذاب ما لو
صب على الجبال لحوت له هذا . إن هؤلاء الذين نفذ فيهم حكم الإعدام يقول فيهم تبارك
اسم : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء ﴾ ويقول في الظلمة الذين
أوقعوا بهم تلك العقوبة : ﴿ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم
تلتخص فيه الأبصار ﴾ .

وبينا الأحداث الجسام تتوالى والهم والغم والنصب والوصب والحزن والأذى تنتظم
سلكا واحدا ، وقد بلغت القلوب الحناجر وأبلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا ، كان ربك
ينزل يرد السكينة في القلوب . كلما اشتدت الخطوب ، وادغمت المحن ، فكتت تسمع
بالعنابر نوبا بالقرآن كدوى النحل . فسبحانك ربى يا من قلت وقولك الحق : ﴿ هو الذى
أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم . والله جود السماوات والأرض
وكان الله عليما حكيما ﴾ . ونزلا السكينة في قلوب المؤمنين ما تحمذت العواقب ومن ثم
ترى السكينة في قلوب المؤمنين تذكر في مواضع الشدة ، قرأ قوله تعالى : ﴿ إلا تصروه فقد

نصره الله . إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين . إذ هما في الغار . إذ يقول لصاحبه لا تحزن
إن الله معنا . فأنزل الله سكينة عليه ﴾ . وقرأ قوله جل جلاله : ﴿ لقد نصركم الله في
مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا . وضافت عليكم
الأرض بما رحبت ثم وليم مدبرين . ثم أنزل الله سكينة على رسوله وعلى المؤمنين ﴾ .

عنه فقد وثق الصدق المعصوم في حومة بوعى ومساحات القتال في جموع
شركيين . وقف زعر رحمة الضياع في بطون الجباب وبأدى بأعلى صوته : يا أبا السى
لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب .

سيدى يا قاسم يا رسول الله :

أنت الذى قاد أخبوش محطما عهد الضلال وأدب السفهاء
وسموت بلبشر الذين تعلموا سنن الشريعة فارتقوا سعداء
سعدت بظلمتك السماوات العلاء والأرض صارت جنة خضراء

وقرأ معى قول محمد ترك منه : ﴿ لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت
الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأقامهم فتحا قريبا ﴾ ثم اقرأ قوله تبارك
سم : ﴿ إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حبة الجاهلية فأنزل الله سكينة على
رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة القوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء
علیما ﴾

مسحون من بقول حتىء كن فيكون . ومسحون من حشمت الأصوات معظم
ملكوتهم ، وعنت لوحوه حلال جوارحه . بحى العضء وهى رميم . وله ما سكن في ليل
والنهار وهو السمع النعم . توه عن الشريك دته ونفدت عن مشابهة الأعيان صفته . بالمر
معروف وبإحسان موصوف معروف بلا غية وموصوف بلا نهاية . واحد لا من فئة .
وموجود لا من عة . كل شيء فقه به . وكل شيء حشع له . رضا كل ينوس ، وعز كل
ذليل بعسى كل فقير ، وقوة كل ضعيف . ومفزع كل مبهوف . من تكلم سمع صفه ومن
سكت عم سره . ومن عش فعبه رزقه ، ومن مات فبیه مقبیه علا ففهر ، وبصر فحبر .
وقدر ففهر . فقه بلا عمد . ودق بلا آمد . لا ينفعه نال ولا يشعبه بيل .

من نصف له تعز ومن سته في كونه أنه كنه شند الكرب هان ، وأقرب لتسعدت
إلى عجم أشد سعادت بين ضمة . لقد جاءني البشر وأنا في سحن طرة من إدارة سحن
بحس بنى بشرى مؤنذ علا قد تركته حنين في بصر أنه لأربعة أشهر . وقد سلت هذه
سنى في كس كسيف صبح : غدا رأيت شقيقى الأكبر في اناء يحمل صلا صبر وقد

كسائه الله تعالى جمالا يصف به على باب السحرة وبني وبه هذا السب الخديدي ومن وراء الفضبان سألته : من هذا ؟ فقال : إنا ابنك سيد . والرواية تفسر بالإشارات التي تحملها الأسماء . فرواية من يسمى باسم أو سبيل أو مفتاح .. كل هذه الأسماء تعطى معنى السر والسهولة والفتح هكذا علمنا رسول الله ﷺ في تأويل رؤى عنه قد له الصحة ذات يوم : لقد رأى أحدنا أنا نأكل رطبا في بيت عفة منكم : ثم : ثم طاب لكم الأمر والعقبى لكم . وقد كان ﷺ يتفعل بالأسماء .. ما جاءه سهيل بن عمرو مدوها عن المشركين يوم الخديبة قال له الرسول . ما اسمك ؟ قال له : سهيل بن عمرو . قال له الصادق المصوم : الأمر سهل إن شاء الله .

وتقد تقابلت باسم سيد . فت : لعله سيد من في فاته خير حافظا وهو أرحم الراحمين . ولقد تم تأويل هذه الرواية عندما مضى من في السحرة بعد مولد هذا الغلام أربعة عشر شهرا . وجاء يزورون مع أعمامه . ولما أسى يوم أن شرع من بين ذراعي عندما انتهى وقت الزيارة ، وكان ثلاثين دقيقة . وقت له . وودع : أستودع الله الذي لا تضيع ودائمه .

وقد يجمع الله الشيعين بعدما يطان كل الظن أن لا تلبا

رؤيا قبل رمضان

كان الفلك يتحرك والأرض تدور حول نفسها وحول الشمس ، والليل والنهار يتمايلان ، إذ رأيت في المنام كأن حلاقا قد ربط بحبلين من صفه بحول الفكك فجاء إنسان ويده مديرة ، قطع الحبلين وأطلق الحجر من عقاله . فسمعت أن إصلاق سراجي من السحرة أمامه عقبتان ، إذا ما مرا بسلام جاء النرج من الله . لكني لم أكن أدري ما هاتان العقبتان ؟ ما نوعهما ؟ وما حقيقتهما ؟ كان هذا الحادث على أبواب شهر رمضان المعظم ، وجاء رمضان وقفت أبواب الجنة . وفتحت أبواب النار . وخلصت الشياطين لكن شياطين الإنس الذين يتحكمون فيها ، ويجهلون ظهورنا ، ويدعون علينا ندسا لم يسئلوا . لقد كنت أتوقع أن يجيء رمضان سيبت في قلوبهم ألوانا من الرحمة ، ويتوقع من الشفقة فيعاملون معاملة الإنسان لأخيه الإنسان ، لكن كان التوقع في غير موضعه :

ولا ترج السماحة من بجل لما في النار للطمأن ماء

أو كما قال الآخر :

ومكثت الأشباه ضد طابعها متطلب في الماء جذوة نار

كما أتوقع من هؤلاء أن يسمحوا لنا بالرسائل إلى أهلنا وأن يفتحوا باب الزيارات مضيق عن ذويها ، ويشف على أحارهم . ولكن :

لقد سمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن نادى
ونار لو نطقت بها أضاءت ولكن أنت تنفخ في رضاء

في رمضان كما عرفت في إسلام حمة أحرف . ثراه رحمة ، والميم معمرة ، والصاد صمد سحرة ، والألف أماني من النار ، والنون نور من الكرم العنابر . لكن هؤلاء الذين ذموا عن شئنا لو ورت لقوة قلب واحد منهم على من الأرض ما بقى لرحمة سبيل إلى رب واحد من بني آدم

عيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا
وليس الذنب بأكل خم ذنب وبأكل بعضنا بعضا عيانا

صدق الله تعالى في وصف هؤلاء بأنهم أصل من الأنعام فقال سبحانه : ولقد ذرأنا جهم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها وهم أعين لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل . أولئك هم الغافلون .

بعد بل هم أضل :

أسمعت بالإنسان يفتح بظه حتى يرى في هيئة البالون
أرأيت للإنسان يوضع رأسه في الطوق حتى يتلجج
أعلمت بالملوك يلهب ظهره حتى يقول أنا المسير عذول
أسأل ترى الحرق أو جدراته كم من قيل تحتها وطعن
من ظن فانوا هالك فأنما فانهم هو حمزة البسول

كما أتوقع أن هؤلاء في رمضان سيخشون الواحد اثنين الذي يأمر ملكا بندي في رمضان : يا باغي الخير أقصر . يا باغي الشر أقصر . ولكن هؤلاء لا يسمعون ولو سمعوا لا يستجيبون والحكم في المصنوع الكبير في يوم هم يارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار . اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب . وأنذرهم يوم الأزفة إذ القلوب لدى الحاسر كاطمين . ما للظالمين من حيم ولا شفع يطاع . يعلم حالة الأعين وما تخفى الصدور . والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء . إن الله هو السميع العليم

الله معه فمن عليه ؟ ومن وجد الله فماذا فقد ؟ ومن يتوكل على الله فهو حسبه . إن الله بالغ أمره ومن اعتمد على الله لا تزل قدمه ولا يضل سعيه ولا يضيع سؤله .

إلى أين ؟

ستلذنا للرحيل بعدما صلينا الفجر ، ولكنهم جمعونا في فناء السجن ، وكان يوما عاصفا تحمل رياحه الهوج لرمال والغبار وكان الضيعة التي خلقها الله تعالى قد احتجت على هذا الظلم البين ، وظللنا واقفين في هذا الجو المكفهر ، وفي هذا العراء حتى بعد الظهر ، ثم جاء بسيارة الترحيل ، ذات المقاعد الخشبية الحشنة فحشرنا فيها حشر الأنعام . إنهم قوه لا يعرفون للإتسان كرامة ولا للرجال قدرا ولا لكبار السن وقارا ولا للعلم كرامة . إنه ليحزن في نفسى كثيرا أن أرى هؤلاء الناس الذين داسوا بأحذيتهم العليظة كل قمة من القيم ، وحطموها مثل فاصصة المعبر عنهم منكوسة ، وصارت مثل في خيالهم المريض منكوسة ، وأصبحت معايير الأمور لديهم معكوسة . لقد انتهكوا كل حرمة ، واستحلوا كل عرض . لأنهم مسخوا ، فظنوا الحياة كلها مسخا شائبا :

إذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مأثما وعويلا

خفت بنا السيارة ونحن يلغا صمت أعظم من صمت القبر ، وعلامات الاستنفهم تصرخ في وجوها تريد أن تقول هؤلاء الجلادين : فمين تذهرون ؟ وعلامات التعجب تصبح : في ذنب جنينا نستحق عليه كل هذا والمصلحة من هذا ؟ ولكن سرعان ما ضاقت تلك العلامات أمام حقيقة تقول : إنه ظلم الإنسان لأخيه الإنسان وويل للإنسان من الإنسان . إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين .

كانت الجهة التي ستجده إليها فإنها في ملك الله ، وفيه تشرق والمغرب فأبينا تولوا فنم وجه الله إن الله واسع عليم . فنحن أبينا كنا فإله معنا : ﴿ ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض . ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ﴾ . واستقرنا المقام أمام أحد السجون المشهورة في مصر . إنه أبو زعبل ، ونزلنا هناك وكان النهار قصيرا ، وأوشكت الشمس لعزبة أن تطيع قبلة الوداع على السحاب فتكسوه ثوب أخياء الأحمر . كان اليوم يوما عبوسا قمطريرا خيم الحزن فيه على النفوس وزاد من أساها وأسفا أنه ما كان ينبغي في بلد الإسلام والأزهر أن تنزل كل هذه التكتيات على رعوس مسلمين . ودخلنا أحد العنابر ولم يكن يتبع هذا العدد ، فقام بعض المهندسين المعتقلين شربيعا عن عدد البلاط بحيث

تلاصقا لو أراد أحدهما أن يغير جنبه الأيمن إلى الأيسر لا يستطيع إلا إذا جلس أولا . ثم يتحول إلى الجانب الآخر . ولست أبالغ إنما أكرس الحقيقة إذا ما قلت إن بعض الأفراد لم يكن لهم مكان قاضطروا إلى أن يناموا في دورة المياه ، وكان بها مرحاض فكان كل واحد منهما يضع جسمه داخل المرحاض ورأسه خارج . وقد ينصرف الألم اعتصارا عندما تعلم أنه لم يكن بالسجن طعام تتاوله عند الإفطار ، لولا أن تشاركنا الحق بلطف بره فجاء لنا بعض المعتقلين ببعض كسر الخبز الجاف وبعض حصيات النخ . كل هذا يجري على أرض مصر !!

عجبت لمصر تهضم الليث حقه . وتفخر بالسنور ويحك يا مصر سلام على الدنيا سلام على الزوى . إذا ارتفع العصفور وانخفض السر

وصبيحة اليوم الثاني تودى علينا وعلى المعتقلين جميعا في هذا السجن ، قوتنا في الفناء الفسيح وكل يحمل أمتعته . وكنا ألوفا ، فذكرني هذا الموقف بصعيد القيامة بعدما تشر من القبور : ماذا يراد بهذا الجمع ؟ إنه جمع يفر المرء فيه من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنه . إنه يوم يذكرني بيوم البعث : يلقى الولد والده فيقول له : يا أبت لقد كنت بت بارا وإيت عسنا وعليك مشقفا . فهل أجد لديك حسنة يعود علي خيرها اليوم ؟ فيقول له : يا بني أيتني أستطيع ذلك . إيتني أشكو مما منه تشكو . وتلقى الأم ولدها فتقول له : يا بني لقد كان بطنى لك وعاء ، وكان حجرى تحت غطاء ، وكان ثدى لك سقاء . فهل أجد لديك حسنة يعود علي خيرها اليوم ؟ فيقول له : يا أماه إيتني أستطيع ذلك . إيتني أشكو مما منه تشكين . إنه العجب كل العجب :

وكم ذا بمصر من المضحكات ولكنه ضحك كالكما

إنها المأساة وإن شئت فقل : إنها الملهة . لماذا جمعنا ؟ قالوا : إنه بلغة السجون : تسكين جديد . وهم التسكين وقد أصابنا الإعياء واللقوب وكان هذا هو المقصود الأهم : أن تهزم العافية في الأجسام المتعبة ، لا نوم ولا طعام ولا هواء ، إنه تخطيط لموت بطيء . إنهم غلاط الأكباد ، قساة القلوب ، جفأة الأطبايع ، قذت قلوبهم من حديد ، بل إن الحديد يأه عندما تشبه به قلوبهم ، فإن الحديد قد يلين ، ولكن قلوب هؤلاء لا تلين .

ومرت أيام رمضان ، وأقبل عيد الفطر ، فأنار في النفوس الحنين إلى الأهل الذين تقطعت بهم الأسباب ، وشمع في هذا اليوم يفتح الأبواب : أعنى أبواب العناير الحديدية ، فكان في ذلك ترويح للنفوس وتخفيف للمعاناة ، فقد تزاورنا ونجاذبنا أطراف الحديث فما بيننا ، وشمع لنا أن نخفل بالعيد ، فقام الأدياء بإلقاء القصائد ، وقام آخرون بأداء بعض التمثيليات الهادفة . ثم بعد ذلك انتهى العيد بما فيه من دمة وبسة : دمة شوق وبسة رضا

بفضاء الله تعالى وقدره ، قضاء الله لا يُقابل بغير التسليم وليس له عدة سوى الصبر الجميل .
كان هذا السجن - أعنى سجن أى زعبل - أقل سوءاً من سجن طرة ، وذلك لأن عنايره
نظيفة ودورات مياهه جارية . فقد بُنى خصيصاً لنا قل أن ندخله ، ويوم نزل البائسون
وسلموه دخلته أول فرقة من المعتقلين الذين لا قوا ما لا قوا من ألوان العذاب التى تقشعر منها
الأيذان ، وتشيب من هولها نواصي الولدان . لقد حُلّقوا على سور السجن كما قال فرعون
للسحرة الذين آمنوا : ﴿ فَلَا تَطْمِئِنُّ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ غَلَاظٍ وَلَا صُلْبُكُمْ مِنْ جَذَعٍ ﴾
النخل . بدأ ذلك العذاب من أغسطس ١٩٦٥ إلى أن انتهت التحقيقات - استغفر الله -
بل التفتّيات . لقد مارسوا مع هؤلاء الأبرياء ألواناً من العذاب يستحق الشيطان أن يذكرها
فألهم أجعلها فى حسنتنا وكفر بها سيئاتنا .

كان المرحلون إلى أى زعبل يعلمون أنهم جئ بهم ليكثروا مدة طويلة . فقد كان هذا
السجن يسمى أغزن ، وكان فناؤه يسمى المحمصة لشدة ما وقع فيه من العذاب . ولا
استطيع أن أنسى ذلك العالم الجليل الكفيف البصر الشيخ عبد الحليم سفيان . وكانت
بهمته أنه تبرع لأسرة اعتقل عائلها ، فكانت هذه حريمة لا تغتفر . التقيت به فى سجن
أى زعبل ، فسمعت يردد هذه الأبيات :

إذا شاب الغراب أتيت أهل وصار الفأر كاللبن الحليب
وصار البر مرتع كل حوت وصار البحر مرتع كل ذيب
ثم بصت قليلاً ويقول :

عسى الكرب الذى أصبت فيه يكون وراءه فرج قريب

تعددت أنفسنا لكث طوليل . وكانت يد الله تعمل فى الخفاء ، وعمل المؤمن أن يسلم
الأمر فى وحده : ﴿ قل إن الأمر كله لله ﴾ . ﴿ والله غيب السموات والأرض وإليه
يرجع الأمر كله . فاعبدوه وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون ﴾ .

شئ من التيسير

تذكرت ربنا وتعاليت لقد قلت وقولك الحق : ﴿ سيجعل الله بعد عسر يسراً ﴾
وجاء وحكم كتابك : ﴿ لأن مع العسر يسراً . إن مع العسر يسراً ﴾ . وجاء على لسان
رسولك : « لن يغلب عسر يسرين » .

تقدمنا إلى قائد السجن بمطالب :

- طالبنا بأن يُسمح لنا بفسحة فى إحدى ساعات النهار قُسم لنا بنصف ساعة .
كما تلتقى فيها فتحدث والحديث ذو شجون ، ونمضى طوال هذا الوقت حتى يكون فى ذلك
رياضة للأحسام التى كادت تصلب من طول القعود .

- وطالبنا بأن يُسمح لنا بمراسلة الأهل يُرسلوا إلينا بعض النقود لتقوم إدارة السجن
شراء بعض الملبات والفاكهة والخضر عن طريق ما يسمى بـ « السجون » الكانتين ،
يُسمح لنا بذلك .

- وطالبنا بأن يُسمح لنا بقراءة الصحف اليومية فأذن لنا .

واستطعنا بذلك أن نكيف حياتنا حتى لا تسام النفوس من طول انكث وكنت
صحف مرآة تمكس ما يجرى فى هذا البلد . وكان ذا أثر عميق فى النفوس لما نعانى من
ظلم وما يروى فيه غيرة فى النعم : قوم يُعاقبون لأنهم مدوا يد المعونة لأسرة فقدت عائلها
حيث رُمى فى غياب السجون وراء القضبان ، وقوم يقضون الليالى الحمراء حول الموائد
خضراء يُشار إليهم بالبنان ، وتسرى بمفاخرهم المزيان . ما تعاقب الموان واختفت الجدبدان
نوم تشرع النعمة فى أعينهم ويدوسونها بأقدامهم . وآخرون يتجشمون الأوصاب
ويتجرعون ككوس لعذاب . قوم تهب عليهم السمات معطرة بالأريج ، وآخرون يفتحهم
نبت المواجر من فيج جهنم . قوم إذا جئ عليهم الليل ركبوا فرس النهو يفرحون ويمرحون .
وقوم لا يُسمح لهم إلا أن يفتروشوا الغبراء وينحفوا السماء .

إن الله تعالى صور هذا المنع أدق صورة فى أسمى درجات الدقة ، قال عز من قائل :
﴿ فكأن من قرءة أهلكتها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبتر معطلة وقصر
شيد ﴾ .

دعوة إلى وضع المساجد تحت الرقابة

تصور معى كاتباً يحمل قنماً مسموما يكتب فيقول : « راقبوا أولادكم فى المساجد » .
بها الكتب كيف ضوعت لك نفسك وكيف استجاب قللك أن تكتب هذه العبارة ؟
وكيف تدعو الجبارة إلى أن يضطروا المساجد تحت الرقابة البوليسية ، والمساجد منازل السكينة
والرحمة والملائكة . ألم تسمع قول الله تبارك اسمه : ﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله
واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من
المهتدين ﴾ . كيف ضوعت لك نفسك الأمدرة أن تكتب مطالباً بوضع المساجد تحت رقابة

إلا أن يكون ذلك سعيًا منك في غرابها لأن من دخل المساجد وهو يعلم أنه مراقب وبعد الرقابة سيكتب فيه تقرير يؤدي به إلى عالم التيه في ظلمات السجون التي تذكر بعصر التفتيش في ظلمات المصور الوسطى . أو ما قرأت قوله تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في غرابها . أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين . لهم في الدنيا خزي . ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾ . كيف تدعو إلى وضع المساجد تحت الرقابة ، وقد قال رب العالمين : ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾ . وقال في حقها : ﴿ في بيوت الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه . يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة . يحافظون بوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ .

وكيف يوضع أهل هذه البيوت التي أذن الله أن ترفع . كيف يوضعون تحت الرقابة . وقد قال الصادق المصوم صلوات ربي وسلامه عليه : « إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان » . إن المساجد هي بيوت الله . وقد قال الله في حديثه القدسي الجليل : « يوق في الأرض المساجد وعمارها وزوارها . فطوى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي . وحق على المزور أن يكرم زائره » .. فكيف يكرم الله زواره في تلك البيوت وتردد أن تضمهم تحت الرقابة ؟ إن الرقيب الأول هو الله وحده لا شريك له . كنت أود أن تصحح تلك الكلمة التي كثرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا - كنت أود أن تصحح هذه الكلمة الخبيثة فتكتب : واقروا أولادكم في المساجد . إن المساجد مهبط الرحمة : « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتم الملائكة وذكرهم الله لبيح عبده » .

الظلم إذا دام دُمّر

أهاهم بلا همس ولبال بلا قمر . تلك التي صار المعروف فيها منكرا ، والمنكر فيها معروفا . والتي صار شعارها :

صوموا ولا تتكلموا إن الكلام محرم
ناموا ولا تتعظّموا ما فاز إلا النجوم
إن قيل إن تبارككم ليل فقولوا : مظلم
أو قيل هذا شهدكم مر فقولوا علقم

نعم لقد أصبح الشعار للمجتمع : ﴿ نافي أو وافي وإلا لفارق ﴾ . وضاعت الصيحة كما ضاع أمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتحولت الأمة إلى أشباح تتحرك ومن قبل عنه إنه صاحب مبدأ أو يدعو إلى مبدأ ، فليس مكانه بين الناس ، إنما يُعزل بعيدا عنهم هناك وراء القضبان ﴿ أخرجوا آل لوط من قريبتكم إنهم أناس يطهرون ﴾ . وهم يقف الإنسان عاجبا مشدوها من شدة العجب عندما يقرأ قول الله تعالى على لسان نبيه صالح وهو يقول لقومه : ﴿ يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ﴾ . إنها ذروة المناسة وقمة الملهاة ألا يحب الناس الناصحين حتى يقول الناصح الأمين :

نصحت قلم أفلح وغشوا فأفلحوا فأوقنى نصحي بدار هوان

أصبحت ساء مصر مليدة بغيوم النفاق والظلم ، فهذا صاحب قلم يسيل مداده سما نفا يريد أن ينافق صلاح نصر فيكتب عنه قائلا : « إنه الرجل الذي تكلّمنا عنه بالليل ونحن نيام » ثم يستورد قائلا : « إنه الرجل الذي بلغ من دقة رقايته أنه يعلم خاتمة الأعين وما تخفي الصدور » . هل هذه العبارة في حاجة إلى تعليق ؟ ألم ينظر على باله آية في كتاب الله تقول : ﴿ الله لا إله إلا هو الخي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم . له ما في السموات وما في الأرض . من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء . وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم ﴾ .. إن الله تعالى هو القيوم وحده ، القائم على شئون عباده . ألم يقرأ قوله جل شأنه : ﴿ ما للظالمين من حيم ولا شفيع يطاع يعلم خاتمة الأعين وما تخفي الصدور ﴾ .. تلك خاصية من خصائص الألوهية والله لا يشرك في حكمه أحد ﴿ والله يقضى بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء ﴾ ألم يقرأ قوله جل شأنه : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ . ثم ألم يقرأ قول الباري تبارك اسمه : ﴿ ولم يكن له كفوا أحد ﴾ . ولو كان هذا الذي يعلم خاتمة الأعين وما تخفي الصدور كما قال صاحب هذا القلم - لو كان كذلك فلم لم ينجسنا بما سوف تقوم به إسرائيل في هزيمة يونيو . سبحانه هذا جنان عظيم : ﴿ وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو . ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾ .. لقد بلغ النفاق مداه عندما وقف أحد الشعراء ينافق عبد الناصر فيقول :

بشرى إن صلاح الدين قد عاد وأصبحت هذه الأهل أعبادا
أجال مالك من بين الأنام في في الشرق والغرب من ينطق الضاد
لو كان يعد من بين الأنام في كما لشخصك دون الناس عبادا

قيل لأبي بكر الصديق رضي الله عنه يا أبا بكر بم عرفت ربك ؟ فقال رضوان الله عليه : عرفت ربى برى ولولا ربى ما عرفت ربى : قلنا : فكيف عرفت ؟ قال : العجز عن الإدراك إدراك والبحث فى ذات الله إشراك .

لا يسأل عن الله بمى كان ؟ لأنه خالق الزمان ﴿ وهو الذى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ﴾ .

كان الله ولا شئ معه ، استوى على العرش ، والاستواء معلوم والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة ، والإيمان به واجب ومن الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ ، فإنه تعالى كان ولا مكان ، وهو على ما كان قبل حق المكان ، لم يتغير عما كان ، علم ما كان وعلم ما يكون ، وعلم ما سيكون ، وعلم ما لا يكون ، لو كان كيف كان يكون . قبل لعل كرم الله وجهه : متى كان الله ؟ فقال : ومتى لم يكن .

ولا يسأل عنه سبحانه وتعالى بأين هو سؤال إحاطة ؟ لأنه تعالى خالق المكان .

قلنا : وما خطر ببالك فأنه خلاف ذلك . والقول الفصل ما وصف الله به ذاته فقال تعالى : ﴿ ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ﴾ .

مر الإمام سفيان الثوري يقوم يحفلون بأحد العلماء فسأل : لماذا الاحتفال ؟ قالوا : لأنه أقام ألف دليل على وجود الله . فقال سفيان والمعجب قد أخذ عليه كل مأخذ : ومتى غاب سبحانه حتى يسأل عن وجوده ، آمن به المؤمن ولم ير ذاته ، وجحد المجاهد ووجوده فى ملك الله دليل على وجود الله .

الديان لا يموت

كيف صوّعت لهذا الجلال نفسه أن يتجرأ على الذات الأعلى ؟ فيصبح فى قاء السجن بصوت مزعج كربه ويقول : إن الله لو نزل من السماء فقد أعددت له هذه الزنانة . ولكن يزول المعجب وتهوى علامات الاستفهام عندما تقرأ قوله عز وجل : ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها . أولئك كالأنعام بل هم أضل . أولئك هم الغافلون ﴾ .

أتم تر كيف فعل ربك بهذا الجلال الطاغية ؟ لقد جاء اليوم الذى دار الفلك فيه دورته ، وغضب عليه سيده ، عهد الناصر ، فأدخله السجن ليزوق من نفس الكأس المرة التى جرّعها لأخوف من الضحايا الأبرياء . وهكذا اقتضت سنة الله تعالى أن من أعان ظالماً

سلطه الله عليه . والظالم وجنوده وأعوانه داخل دائرة المسؤولية قال تعالى : ﴿ إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين ﴾ وقال عز من قائل : ﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تتصرون ﴾ .

فماذا حدث ؟ أفرج عن هذا الجلال وسافر يوم عيد الفطر ، ليزور أهله ، وبينما هو فى الطريق الزراعى لا يدرى ماذا خيأت له الأقدار . لقد ظن أن الكون يسير وفق هواه ونسب أن فى السماء مملكة مكتوب على بابها : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا . وإن كان مقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسين ﴾ . خرج عنبه فى الطريق الزراعى سيارة ذات مقطورة ، فصصفت بسيارته ، فوقع فريسة بين أتيانها ودخلت فى عقه أجسام صلبة ، فأخذ يتحور كالنور والدماء تنزف منه ، فلم يكن هناك يد من فصل رأسه عن جسده . وهكذا كان القصاص العادل من رب الأرض والسماء ﴿ فلا تحسبن الله يخلف وعده وسله . إن الله عزيز ذو انتقام ﴾ .

يا نائم الليل مسرورا بأوله إن الحوادث قد يأتين أسحارا

وهكذا الدنيا إذا حلت أمام الظالمين أوجلت ، وإذا كست أوكست ، وإذا حلت أوجلت . وكمن تلك رُفعت له علامات ، فلما علا ... مات .

دعوة مستجابة

اتق دعوة المظلوم فليس ينهاه الله حجاب .

وإذا زُمت من الزمان بشدة وأصابتك الأمر الأشق الأصعب
فاضرع لربك إنه أدنى لمن بدعوه من حل الوريد وأقرب
واحد من المظلوم سهما صائبا واعلم بأن دعاءه لا يحجب

كان أحد كبار الجلادين فى السجن الحرق يمر بمنزلة الزنازين فوجد شيخا كبيرا فى زنزانه قد امتلأ نصفها بالماء والبرد قارس ، فقال له شامتا متكهما : كيف حالتك ؟ فأجاب ذلك الشيخ : بالحمد لله على نعمائه والشكر على آلائه . قالها بلسان اليقين ومنطق الحق المبين . نعم إنه يحمد الله الذى عافاه بما ابتلى به كثيرا من خلقه ، فقد وهبه قلبا ذاكرة ، ولسانا شاكرا ، وبدنا على البلاء صابرا .

كان الإمام أحمد بن حنبل فى محبته ، يضربه الجلادون بالسياط الحامية ، فكان إذا اشتد به الجلادون ضربا ، ارتسمت ابتسامة الرضا على وجهه ، وتلاميذه من حوله يكون ، بل ويتحبون . فلما رُفِعَ التعذيب عنه سأله : يا إمامنا لماذا كنت تنسم ونحن سكي ؟ فقال

أنت الذي تذهب إليهم في السجن ليقوموا على خدمتك هناك قاعب معي إلى أي مدى بلغ إهدار الآدمية وتحطيم الإنسانية في بني بشر؟! وإلى أي حد قتت قلوب هؤلاء الجبابرة وأولئك الأباطرة الذين نسوا الله وقتلوا من أشد ما قوته؟ نعم باربنا قتل الإنسان ما أكفره...

الشيخ اجليل في الزنزانة

دخل الشيخ زنزانته وهو يرتدي قوته تعالى : « وفل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لَّدُنْكَ سلطاناً نصيراً » ثم يقرأ : « رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين » . واستتب نغيلة وصلته ركعات وصلاة كيف المؤمن كما أخبر بذلك الصادق المعصوم وكان عيشته في حربه أمر فرغ إلى الصلاة وكان يقول : « أرحمها بها يا بلال » فمن أراد أن يحكم الله فيصل ومن أحب أن يكسبه الله فليقرأ القرآن وكانت عائشة تقول : كان رسول الله ﷺ يمدنا ونحمله ويكسنا ونكسبه فإذا حضرت الصلاة فكأنه لا يعرفنا ولا نعرفه .

وفوجيء الشيخ ببعض الجلادين يدخلون معه كلنا مفزعاً مخيفاً ثم إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ثم وقفوا عليه رب زمرته واستمر شيخ في صلاته فتنصلا روح يسرى في قلب المؤمن يقبضه بالله صوى ولا يملكه وقد قد حاتم لأصم محيا عن سؤال جاء فيه : كيف أنت إذا دخلت صلاة ؟ قال رحمه الله : « إذا دخلت صلاة جعلت كأن الكعبة أمامي ، والموت وراءي واحة عن يميني ، ونار عن شمالي ، ونصراحت تحت قدمي . موقفاً بأن الله مطلع على فإذا سمعت لا أدرى قلب الله ثم ردها علي ! » وبعد ساعات من وضع الكلب بجانب الشيخ نادى قائد السجن عن زبينة وقد هم بلسان الصلف والتهيه والكريه : اذهبوا وانظروا ماذا فعل الكلب باين ... وذهب زبينة على أمل أن الكلب قد أكل من الشيخ لحمه وعظمه وناء عليه صوف تصرف هم مكافأة مدية وهكذا كانت أحوال الناس وعلاقاتهم المنفع . فسحرة مددة .. كسب رخيص .. الأنانية .. حب الذات .. الفسق .. الكذب .. خيبة .. أنا وسوء من عدى .. الخ سعد فقد غنت سعيدة ونظروا من العين مسخرة من رب الزنزانة يخرجوا كلب ويقتلوا الدم ولكن كانت المفاجأة تجمعها قلوب وتعتقد في لأسنة دهشة وعجاً لقد وجدوا الشيخ ساجداً لله تعالى مستغرقاً في نور خلل وجمال والكمال عيه كوكبة تحفها السكينة والوقر ثم الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاج كائنها كوكب دري وقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها

يضيء ولو لم تمسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله للأمثال للناس والله بكل شيء عليم . نعم :

وإذا العاية لاحظك عيونها ثم لا تخاف كلهن أمان

وجدوا الشيخ ساجداً والكلب يحرسه كأنهما كانا على معرفة قديمة وصداقة أصيلة !! به الإيمان به تمكنت بشاشته من شغاف القلوب تكاد تجعل المستحيل ممكناً واشتد الأجنح عدا قرآن مسيلاً ، إنه اليقين في الله والاعتصام بعلمه المتين إنه صدق النية والإخلاص .. نها لغة لاسلكي القلوب لا يفهمها إلا من صفا قلبه وقوى يقينه إن هذا الإيمان يحرك حال ويغير العوا .

إن الله عاداً فطماً طلقوا الدنيا وخافوا الفتا
نظروا فيها فلما علموا أنها ليست على سكا
جعلوها خة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا

قد رجع الزبينة إلى سيدهم وقد انعقدت على ربوسهم حالات ضخمة من الدهشة قد كان منه إلا أن قبل ذلك ينساب والشتائم وقد هم : ارجعوا فحرضوا الكلب ليبتدئ حبه هناك ومعهم ذلك ولكن دون جدوى والكلب وفي لأولياء الله الصالحين والنوء قبلة عينا في القلوب مؤمة مكانة عظمى بيتاً إلى الإنسان حرماً هذا القدر العظيم من هم حتى بعضهم ثم إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً فقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتية يوم القيامة فرداً إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا .

بارب ما أعففت ! ما أكرمك ! ما أرحمك ! ما أجنت ؟ كل شيء قائم بك ، وكل شيء حاشع لك ، أنت قوة كل ضعيف ، وعز كل ذليل وغنى كل فقير ، ومفرج كل منهوب ، من تكلم سمعت نطقه ، ومن سكت علمت سره ، ومن عاش فعلبك رزقه ، ومن مات فإليك مثليه يا عظيماً يرجى لكل عظيم .

يا من يرى ما في الضمير ويسمع أنت الرقيب لكل ما يتوقع

لست أنت القاتل في الخدع القدسي اجليل :

« عدى أنت تريد وأنا أريد ولا يكون إلا ما أريد فإن سلمت لي فيما أريد كيفيتك ما تريد وإن لم تسلم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد ولا يكون إلا ما أريد ؟ » .

بارب :

حاصبت نفسي لم أجد لي صالحاً
وعددت أفعالي على فلم أجد
وظلمت نفسي في تعالى كلها
يا أيها الإخوان إني راحل
بارب إن لم ترضى إلا ذا تقى
من المصائب المذبذب الحيران ؟!

لقد شكنا الزبانية إلى سيدهم صمود الكلب وثبوته وصراره على موقفه من الشيخ فقال لهم وقد ظل وجهه مسوداً وهو كضم إذا فأخرجوا الكلب حتى لا يصاب من رائحة الزبنة بشيء يؤذيه ونسي هذا أو تاسى للقلوب دولة لا يمت ماضيها إلا الله لقد ظل الشيخ في هذا السجن عاماً خرج بعده مسافراً إلى مكة ائحز حيث عاش بها متقللاً بين الحرمين الشريفين وأراد وبك أن يختاره بن جواره هناك وأن يدفن بأرض الطهر ومنازل الوحي في ومن بطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله علماً .

إلى نجا من كل كرب يهدي المصطفى خير الجميع

وهب لي في مدينته فراوا ورزقا ثم دفنا بالبيع

مشهد مهيب

بذكرى ما حدث لذلك الشيخ الجليل مع زبانية انسجن الحرق بهذا المشهد المهيب الذي أجراه الله على يدي هذا العالم الجليل لقد « أف الحسن أحمد بن هان » وقد دخل على أحمد بن طولون حاكم مصر فأمره ونهاه فغضب حاكم على لعاه متجاهلا قول الصادق « صوم صلوات ربي وسلامه عليه » : « اثنان إذا صلحا صنعت الأمة وإذا فسدا فسدت الأمة العلماء والأمراء » .

غضب الحاكم ولم يبق في قوس صبره منزوع وبغ من غصه بعدما غلى مرحل عبضه ومحرته قال لجنده خلوا به إلى أسد حائض وعقروا عبيها فقصا حتى لا يفي من عظمته ولحمه ولا يتر وتفرد الأسد بالعالم الجليل وفي سبعة يوم التالي نظر الحراس بوجهه العالم يجلس في وقار وجلال يذكر الله ويتلو آياته - ركبات ووجدوا الأسد الرئاس معاً رأس في سكة وتوضع يستمع إلى أي الذكر الخكيم وكيف لا وهو كلام الله جل جلاله . الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تفشع به حمود الذين يحشون ربه

ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله في ثم كيف لا ومنزل الكتاب سبحانه يقول .
« لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » .

لقد جرى بالعالم إلى الحاكم وقال له : ما هذا الذي سمعت منك ؟ قال : العالم وماذا سمعت يا ابن طولون ؟ قال : كيف امتنعت عن الأسد ؟ قال : إن الذي منعت منه هو الذي يقول : « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً » ويقول : « وما قدرنا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه » قال ابن طولون : فأى شيء كنت تخشى وأنت مع الأسد ؟ قال : كنت أخشى أن يصيبني لعاب الأسد فينجس ثوبي قال ابن طولون : فأى شيء تمثلت في هذا المقام ؟ قال : تمثلت قوله تعالى : « واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا » فلم يسع ابن طولون إلا أن يودع العالم ويسأله دعوة صالحة يهديه الله بها سواء السبيل .

لو يعلم الزبانية

قال رجل للإمام أحمد بن حنبل : يا إمام ، إن أخطب للظلمة ثيابهم فهل أعتبر منهم ؟ قال : بل أنت من أعوانهم فانظر إلى أي حد عمت استئولية ، واحتدم الأمر ؟ إن الله تبارك وتعالى لم يلق النبعة على فرعون وهامان وحدهما وإنما على الحكم جنودهما قال تعالى : « ولرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون » وقال جل شأنه : « إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين » ولو يعلم الزبانية ماذا كان مصير فرعون وجنوده ؟ ما جلدوا ظهراً ، ولا انتهكوا حرمة ، ولا استباحوا عرساً ، قال تعالى عن فرعون : « فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقسوحين » لو يعلم الزبانية موقف السادة منهم يوم تقيامة في يوم تغلب وجوهم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبراً في لو يعلم الزبانية هذا المصير ما أطاعوا سادتهم أو كبراءهم حتى يكونوا في منأى عن عقاب في يوم في يود المجرم لو يفندى من عذاب يومئذ بنيه وصاحبه وأخيه وفصيلته التي تزبه ومن في الأرض جميعاً ثم تنجيهم في فيقال له كلا في إنها لظى فزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى في لو يعلم الزبانية كيف سيقرب منهم سيادهم ما أضاعوهم في دنيا في إذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وأروا العذاب وتقطعت بهم الأسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة ففترنا منهم كما

للحرب... كنا أمام الكفة فقص ونص في الطرقات ، وكانت إسرائيل - أمام انتصارها -
ترتدى ثياب الحقد وتصل على قلائد. فانظر متى ثم اعجب منهزم برفص وبفرح
وبطرب ، ولتصبر يصل على قتلاه !!

ختاتيك يارب . اللهم ثبت عليها عقولنا واحفظ عليها دينا .. هكذا كان خطاب
الزعيم جرر ويغر ، وبوصل صبحته العالية التي تبعت من رأس بأس الشيطان وفرخ فيه ،
من رأس فارغ بشخص في الهواء كزعوس التماثيل « أسد على ولي الحروب نعمة » .

حرمة التكافل

كان في السجن ما يسمى بالتكافل وهو تعاون الإخوة فيما بينهم بمعنى أن من وجد
يعطى من لم يجد ، وأن القوى بين الضعيف ، وبين الملهوف ، وأن القادر يأخذ بيد
العاجز ، وهكذا لقد كنا نتعامل مع ما يسمى (بالكاتنين) لدى يقوم بشراء الفاكهة
والعلبات ، ثم يقوم القادرون بالتعامل معه ، والشراء به ، وكان في ذلك صفة متبادلة .
فهو تزرع الربح الوفير للقاتنين عليه وتعود بالفائدة عليها ، حيث إن طعام السجن يأتي
بأمراض لا يعلم مدى خطرها إلا الله تعالى !!

ولشئ الذي يمر في النفس كوامن الحزن ، ولواعج الأسى ويخضع له القلب من
الملح ، أنهم حرموا التعاون فيما بين !!

ثم يكن في طاقة الجميع أن يتعامل مع الكاتنين لأنه عاجز عن ذلك لضيق ذات اليد ،
فإنه قيل أن يدخل السجن كان يكتسب قيمة عيشه بكدمه ، وعرق جبينه ، فلما دخل
السجن ، وقع أهله في ضيق شديد ، فقد كان من تسول له معه أن يقرى بهم ولو بالسؤال
عنهم كان مصيره كما يقولون « واه الشمس » .

فإذا ما مد لهم يد المعونة تمت حرمة لا تغفر .

اعرف رجلا كفيف البصر ضل في السجن عامين لأن حذره قد اعتقل فذهب إلى
أهله . وأعظمهم جنبين تلك كانت حرمة !

لقد تعال يقول : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » . والقانون النظام قانون « عبد
الناصر » يقول : من مد يده بحب سجن عاما . وهكذا قانونه من جاء بالحسنة فله عشر
مئات . فكيف تتصور أن تأكل شيئا من فاكهة وأحواك بخورك بغير إليك ، لا يملك أن
يبد يده . بل يشم أريجها ، ويهر من مذاقها !!

حبري حريث

هل تستطيع نفسك أن تقوم على مثل هذا العمل ؟

اعرف رجلا كان يخاص ، وكان يعمل بالباه ، فلما اعتقل اضطرت زوجته أن تبع
حتى لأتوات التي كان يقوم بواسطتها بعملية الباه ، فكيف يتصور إنسان أن يأكل شيئا يحرم
من أخوه والرسول عليه السلام يقول في حقوق الجار : « ولا تؤذ به برح قدرك وإذا دخلت على
أهلك ففاكهة فاما أن تعطيه منها ، وإما أن تدخل بها سرا ولا تترك أهلك يخرج بها فيعط
ها ولده » صدقت يا سيدي يا رسول الله يا صاحب القلب الرحيم !! والحق العظيم !!

حادثة تسلل داخل العنبر

من شرائعنا ما يصحك !

وكم ذا يمر من المضحكات ولكنه ضحك كالبحر

ذكر ذات يوم أن القاتنين على شأن الكاتنين ، في سحر أي رجل حيوانا بكفة
وبيرة من البرتقال وزعت على الشاملين مع الكاتنين وحرم منها الدين لا يجدون ما يتفقون
وبحسب الخامل أهله من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إغافا وكذا في العنبر قد
مع عبدا مائة وعشرين منه بعض أفراد لم يستطيعوا التعامل ومن ها حرموا من البرتقال
حدث ذلك القواير صارمة لمع مما باتا أن يمد أحد المعتقلين يده بشيء أما كان نوع هذا
شئ . من أحبه في المعتقل ومن ضبط متلبسا بذلك استدعى للتحقيق وحس حسب أفرادها في
زواير شاديب حيث يصرف له رغيث واحد طول اليوم بجانب قليل من الماء وبعض
حصى الملح !!

وقد يقول قائل : وإذا لا يمد أحدكم أعاه بشيء من المال سرا ؟ ألا تقول إن المال كان
حرما عبا ، لأننا أرسل إلى أهل ليرسلون النقود إلى إدارة السجن ونقوم بدورها بتوزيع
صدقات تتعامل بمفاسها مع الكاتنين فمن ليس عنده نقود يتعامل بها لا تصرف له تلك
صدقة ومن ثم يهر من التعامل بطريق التكافل أو التعاون ، حتى يخطموا برعهم تعاليم
إسلام في النفوس وحتى يخرج المعتقل إلى المجتمع إن قدر له ذلك مسوحا شئها أنانيا عبا
دته حقا مليقا بالحناء والبغضاء في ظل الاشتراكية اليوسلافية وتعاليمه « تنو » الذي قال
حريم لهم لأن تكون رعيما مهيا أفضل من أن تكون زعيما محروبا .

كانت القواير صارمة . ما قام أحد (الباس) جمع بسيس وكان هذا الاسم يطلق
من كتبة التقارير السرية .

فأمل معي يرحمك الله كيف صارت الأمانة قضية ، وكيف أصبح التعاون رذيلة ، وكيف صار المعروف منكرا ، والمنكر معروفا ، وكيف أصبح الذنب راعيا والخصم العبد قاضيا !!؟

حدث ذات ليلة أن قام أحد المتفنين في عبرنا غسل بعض ثيابه إلى أحد الإخوة الذين حرموا من التعامل وتسلل على يديه ورجليه في صفة نبي حتى لا يشعر به أحد من كتبة التقريرات ، وأخذ طريقه إلى مكان هذا الأخ ، وبب هو يريد العودة إلى مكانه إذ أخرج له أحد السياس رأسه من تحت الغطاء بعدما رآه يتسلل من هناك وعطى رأسه من باب التوبة وصاح قاتلا : قف عندك فقد رأيت واشهدوا يا سكان هذا نمر عن ما فعل هذا !!

وتسألنا ماذا فعل ؟ وقال بأمل صوته وكنته غنى نقص عن عصاة من المهريين صاح قائلا : (تكافل - تكامل - تكامل) .

اعجب معي لقوم ضيعوا البلاد والعبد ونه يصوبو عرسه ونه يخطبوا أرضا ولا عهدا لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون .

شعرت بمرارة في حلقى لما سمعت ورأيت وذكرى ذلك يقول في العلاء المعري :

إذا وصف الطائي بالهغل مادر وغير لنا بالمهاجرة باقل
وقال السهي للشمس أنت صيلة وقال لدحي لتصلح لولك حاتل
وطاولت الأرض السماء سفاضة وفاحرت الشهب الحصى والجنادل
فيا موت زر إن الحياة مريرة وبها نفس حذى إن دهرك هازل

نعم نثني على الناس زمان بقف احى فيه عن قمر نبت ويقول يا لئلى مكانه !!

وقمت لدنيا ولم تقعد كيف يتسنى أحدهم بعض حث ليرتفل حادث به نفسه لأخيه اسمه . هذا الشيء عجاب !!

إن الله تعالى أدخل رجلا مذنب الجنة لأنه سقى كوكبا قد اشتد به العطش فشكر الله له فغفر له ذنبه .

كيس هذا الخلق الذى سقاه لرجل ذا كيد رضى ؟! فما باله ؟! إنسان الذى كرمه الله على كثير ممن خلق ، وفضلته نصيلا !!

إن الله تعالى يسأل العبد يوم القيمة ويقول : عدى مرضت فلم تعدنى . فيقول العبد وكيف أعوذك وأنت الله رب العالمين ؟ فيقول له : مرض عدى فلان فلم تعده أما علمت أنك لو عدله لوجدتني عنده . عدى استطعمتك فلم تطعمنى . فيقول

العبد : وكيف أطعمتك وأنت الله رب العالمين ؟ فيقول له الله : استطعمتك عدى فلان فلم تطعمه ، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عدى !!

عدى استطعمتك فلم تسقى !! فيقول العبد يا رب : وكيف أسقيك وأنت الله رب العالمين ؟

فيقول الله : استطعمتك عدى فلان فلم تسقه أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عدى !! .

تاركت ربنا وتعلمت فك الحمد على ما قضيت ولك الشكر على ما أنعمت به . عيب وأوبت .

إنهم يريدون لعظيم الإنسانية في الإنسان بحيث يصير المرء في نظرهم قردا ، نى حيوان مقد لا يعرف لجة ولا حنقا ، يريدون أن يقتلوا فيها جانب الرحمة وينفضوا على مضية لا ينتر . ليغرسوا في النفوس حب الأثرة التى نسي الله تبارك وتعالى عنها ودم أمهات في قوله : وواظفوا قد أهمهم أنفسهم بطون بالله غير الحق ظن الجاهلية .

إن رسولنا الكريم يقول : من لا يرحم لا يرحم . ويقول : ليس ما من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم . ويقول : أيا أهل محلة باتوا ولهم جائع برئت منهم ذمة الله .

ويرحمه الله فاروق هذه الأمة عمر بن الخطاب الذى كان يقول بلسان حاله ومقاله : لو عثرت بطة في العراق لسألت الله عنها لم لم تصلح لها الطريق يا عمر ؟! . وما أحمى قول حنظل إبراهيم في عمره :

إن جاع في شدة قوم شركتهم في الجوع أو تسجل عنهم غواشيها
جوع الخليفة والدنيا بقبضته في الزهد منزلة مسبحان موليا
فمن يارى أبا حفص وسيرته أو من يحاول للفاروق تشيها
يوم اشتت زوجه الخولى فقال لها من أين لي لمن الخولى فأشريا !!
ما زاد عن قوتنا فالسليمون به أولى فقومي لبست المال رديا

ويرحمه الله فاروق هذه الأمة كان يقول لأهله : إن الناس ينظرون إليكم كما ينظر لغرير النجم فتقروا الله يا آل عمر !! .

كان الفاروق رضى الله عنه يتردد على خيمة امرأة عجوز عمياء في ضاحية من ضواحي المدينة أيام خلافة الصديق أبى بكر رضى الله عنه ، فكان يذهب إليها قبل أن تبرز العزلة من

خدرها فيسارع الطيور في البكور ، فيكس ما عيبتها ويرشها باناء ويحضر لها الطعام لم ينصرف ، والمجوز لا تعلم من هذا ، وذات صباح ذهب إليها كمادته ، فوجد حينها قد كسرت ورشت ، وأحضر لها الطعام فسألها من الذي فعل هذا يا أمة الله ؟
فالت له : رجل لا أعرفه !!

فذهب عمر ليأتي في اليوم التالي فحينئذ وراه صخرة ليظهر من الذي أتى إلى هذه الحيمة فإذا هو خليفة رسول الله أبو بكر الصديق !!

فقال له عمر : يا أبا بكر قد أدرك ما سألتهك في غيري لا تنبتني !!

فانظر يراعك الله إلى قوم وضعوا أرواحهم في صديق يتوفى متى كتب عيبا ﴿ ما عندكم ينفذ وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ .

توم إذا دعاهم الداعي إلى فعل الحيرات ثملوا قوله جل شئ : ﴿ وسارعوا إلى مفرة من ربكم وجة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعالمين ﴾ . وقوله تعالى :

﴿ فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا ﴾ . وقوله جل شئ :

﴿ ول ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ . وقوله تبارك وتعالى :

﴿ ساقوا إلى مفرة من ربكم وجة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ .

أي قوم كانوا ؟ وأين نحن منهم ؟

شأن بين ما كانوا عليه !! وبين ما صرنا إليه ::

كان الواحد منهم يقول : لرح يبرين يبرالين ، وحفر يبرين يبرتين ، وعسل عديس أسودين حتى يصيرا كأبيضين ، وكس أرض خباز في يوم شديد الغو ، يريشتين ، حير في أن قف على باب ليوم يضيع فيه ماء عيني .

فماذا كانت نتيجة التحقير في حادثة نسل ؟

لقد حبس كل من النسل والنسل به فما ذهبما ؟

أما ذنب النسل : لأنه ما زال حتى الآن يحمل بين حسيه نفس حيرة ، وأما ذنب النسل : لأنه علم ولم يبلغ !!

أرأيت أمة مثل هذه الأمة التي تحكم حكما يزع الرحمة من القلوب ، ويحطم الإنسانية في الإنسان .

اللهم اعلنا بعقولنا ورحمة بها !!

إنك أنت الغفور الرحيم !!

والجنة الجبن

قد يقول قائل : وهل للجنة رائحة ؟ إنه معنى من المعاني !! فكيف يوصف بما هو محسوس مادي !! وأباهر بأني ما قصدت بالجبن هنا تلك الرذيلة التي تمثل أحد طرق صفتين تقع فضيلة الشجاعة بهما وهما الجبن والشهورة - إنما قصدت به الجبن الذي تأكله والذي جرى به إلياقات يوم في « صلبته » فلما فتحت داخل العبر فاحت منه رائحة أشد نفا من جيفة الكلاب فصاح الأخ « الدسوق ضيف » وكان تاجرا من بور سعيد وكان مكانه بمواري صاح لما أركمت الرائحة أفقه قال : هذا هو الحين في عهد « عبد الناصر » وظن أنها كلمة هو قائلها سرعان ما تذهب أذرع الرياح ولم يتر ماذا سيحدث بعدها !!

لقد كتب بها تثير سري إلى قائد المعتقل العقيد « عبد المال سلومة » وبين غمضة عين وانتباهتها حفر سيادة العقيد إلى مكان الحادث وخلفه السادة أركان حربه وكأهم يريدون أن يفتنحوا حصنا مستعصما أو يدكوا قلعة حصينة ووقف سيادة القائد يزار زلير الأسود إذا دهر عرينها وسأل أين « الدسوق ضيف » ؟ وقد أمرنا جميعا أن نهلس هل ركنا وصنت الأكنة ، وشخصت الأبصار وفتحت الجلدة ، وثار الرجل وفار ، وتأجج وتوهج ، وأرغى وأربد ، وهدد وأوعد ، وألقى المقاب على من قال هذه الكلمة ، وكأنه قال فخرا ، ونطق كبرا !!

وهكذا كانت العقوبة توقع بحرم وحسم لكل من تسول له نفسه أن يطق بكلمة تشير من قريب أو بعيد إلى لدات انصونة ، ذات الزعيم الذي أوشك أن يقول : ﴿ ما علمت لكم من إله غيري ﴾ . والذي كان لا يقل نصحا ، ولا يرضخ لموعظة الناصحين ، بل كان يقول : أما ندى حلفت فيكم طعنة والكرامة ما أريكم إلا ما أرى .

بعم

لقد طال هذا سبل وأسود جانبته ، وحرار اللسان ، وعجز البيان ، وحرز اخوان !!

صرنا إلى أن من من صرنا الصيرر ولنا غدا أو بعده ينجل الأمر

فكان غد عمرا ولو مد حبله
وفلنا عسى أن يدرك الحق أهله
عجبت لمصر تهضم الليث حقه
سلام على الدنيا سلام على الورى
فقد بنطوى في جرف هذا الغد الدهر
فصاحت عسى من لا زلا طعمها مر
وتفخر بالتور وبك يا مصر
إذا ارتفع الفصفور وانخفض النسر

أسوأ من رائحة الجبن

حسنا بعد أن وقع العقاب على من قال : هذه رائحة الجبن في عهد عبد الحميد ..
جلسنا في حزن ووجوم كيف استطاع ذلك الضم أن ينعش من السلي دمي يشده بحيط
واحد ؟ وكيف استطاع كما قال أن ينم الناس . ويوقظهم كأنه يضعف عن زر ؟ وكيف
استخف قومه فأطاعوه حتى جاء اليوم الذي وقف فيه الله بعد أن صيب . ففصل لوحدة
بين مصر وسوريا وقف بين شرذمة من المصنفين يقول :

« لقد أمرت السفن أن تتحرك لتضرب سوريا » فالتفت لأخفى المصنفين . وسلا داف .
بالروح .. بدم .. تفديك يا جمال .. اضرب .. اضرب يا حمى .. أذب .. أذب يا حمى ..
حتى نجت خاخر وكأنهم يلبون في عرفات ، يسألون الله معرفة وترجمة يسبحون ويحمدون
ويكبرون ويسبون وبعد أن خشت الأصوات للزعيم قال :

« نكس رأيت أن السلاح العرفي ، لا يوجه إلى مصر حرفي »

وبحثت المظاهرات تدوى وتشتق عان السماء : عاش رجل السلام .. عاش رجل العزة
والكرامة .. عاش رجل الحرية .. من المحيط الهادر إلى الخليج الشائر .. ليبت عبد الناصر .

وعحب الناس وأكبر ظني أنه هو نفسه كان يسخر من تلك العقول .. وهذه الأشباح
لمن كان هدف الأول ؟ ولمن كان الهدف الثاني ؟ وكل منهما موضوع يدقض لآخر !! الحق
أننا نعيش في عجب !!

وكة ذا بمصر من المضحكات كما قال فيها أبو الطيب .

حتى بعد حادثة رائحة الجبن « الشيخ عبد المقصود حجر » وقد نى : أبغضوه أخوا
وجه نقد بن صفيحة الجبن ؟ ألا تدرى ماذا حدث لي في نسحن حرفي عن يدى شمس
بدران ؟

مقت له : قل يا أخى أسمع وكان الحديث بيننا ههنا !!

قل « الشيخ عبد المقصود » : لما دخلت السجن خرف ندى على وذلك من قبل

« خمس بدران » وبعد سؤال وجواب قال لي : إن لم تعترف الآن بالمعروف فسوف أعركك كيف
تعترف .. سأنتزع الاعتراف من رأسك بالطريقة التي أراها ، ولم يكن عندي ما أقوله ، فليس
هناك مهمة ولا ذنب ، فهاذا أعترف !!

ولكنهم قوم لو وزعت قسوة قلوبهم على أهل الأرض لما بقى للرحمة سبيل إلى قلب واحد
من أهل الأرض ، ولما لم يجد مني أى اعتراف أمرزبانته أن يأخذوني ، ويغلقوني ، ورأيت نفسي
أمام بحر من آبار المجازي ، وإذا به يصدر الأمر أن أنزل في هذا البحر المليء بالقاذورات
والفضلات ، وكان يوماً شديداً الحمر كان شمسه خرجت من بين الرمال ولم تشرق من بين
السحب ، لقد سال من الشمس لعاب كالمهل يشوى الوجوه .. أمرهم أن يخلعوا ثيابي كيوم
ولدتني أمي ، وامتنالا لأمر الطاغية نزلت في البحر ، ووصلت القاذورات إلى عنقي فقال لي :
الطاغية : اغمس رأسك يا ابن كذا وكذا وإلا حطمت رأسك بخدائي هذا !!

قال الشيخ - وهو من حملة القرآن الكريم - : فوضعت يدي على وجهي وغمست
رأسي فلما رفعتة قال لي بصوته المنزع : هل ستعترف ؟ فأقسمت بالله أن ليس عندي ما
أعترف به .

هذا وقد اشتعل جسمي لهيبا وكان هناك من خشرات ما يلسع ويقرض ويندغ كلها
كأنها قد اجتمعت على ، فضلا عن الرائحة التي تركه الأنوف وتطيش لها العقول . ثم قال
أخرجوه وحسبت أنني سأذهب إلى دورة المياه لأغسل ما علق بجسمي من تلك التحاسنات
مركزة ونكس فوجئت بهم يأخذونني عارياً ملوث البدن إلى مكان تركز الشمس حرارها
على فاجتمع على قبض المواجر ولهب ما علق بجسمي من قاذورات وما زك أنفى من خبيث
الرائحة وظللت هكذا ساعات وساعات .

ثم ختم الشيخ هذه المأساة بقوله :

أبعد هذا كله تنور ثائرهم ، وقيمون الدنيا من أجل كلمة قبلت في رائحة الجبن !!

إن الظلم لا يدوم ، وإذا دام دمر !! يا ابن آدم إذا غرتك قوتك على ظلم الناس فانظر
في قوة العزيز الجبار من فوقك ، ما أضغفك ! إذا غرتك قوتك فلماذا استحكمت فيك
شهورتك ؟

وإذا غرك غناك فارزق عباد الله يوماً . إن في القرآن دروسا جعلها الله تذكروها فم وعظاً
لأذان الواعية !!

تفنى بشائعه ويكفى بعد حلو العيش مـره
وتحوله الأيام حبي لا يرى يوما مـره

لقد علفت رموس المصلين في الشائق وسبق فذين اتقوا ربهم تحت السياط الحامية إلى
السجون وارتفعت أصوات المنافقين حتى جعلوا من شهيد الإسلام : سيد قطب : : مسلمة
الكتاب : ومن طائفة العصر أعدل من عمر بن الخطاب !!

إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن يجد لهم أجراً
إن النفاق أشد من الكفر ، لأن النفاق سم في عمل وأخطر الناس على المجتمعات هم
المنافقون !!

إنهم عالة على المجتمع ساعة لسراء ، وسوس بمحر في عظام الأمة ، إذا حلت بها
البأساء والضراء ، إنهم الأكثون من كل النوائد في إذا جاءك المنافقون قالوا لشهد إنك
لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون اتخذوا أيمانهم سخر
فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون

يقول تعالى في حديثه القدسي الجليل : : لقد علفت حلقاً ألتهم أحل من العمل ،
وقلوسهم أمر من الصبر ، في حنفت ، لأتبعهم فتنة تدع الخليم فيهم حيوان !! ، أف
يفترون ؟ أم على يجهلون ؟ : : تركت رباً وتعاليت بها من قوت وقولك الحق : في وإذا
وأنتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مستندة يمسسون كل
صبيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أن يؤفكون

إنهم أصحاب القلوب المظنة ، والأفئدة المشحرة ، إنهم الغشاشون ، الكذابون ،
المرتدون ، المشامون بين الناس بالجمجمة ، الملتصمون للذراء العيب ، إنهم المهادمون ،
الأفئتون .

في إن المنافقين يناديهم الله وهو مخادعونهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى
يراعون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن
يضل الله فلن تجد له سبيلاً

إنهم الذين إذا حدثوا كثبوا ، وإذا وعدوا أجبوا ، وإذا أتموا عاثوا ، وإذا حاصروا
فجبروا وإذا عاهدوا خدروا ،

ودع الكلوب فلا يكن لك صاحباً
بلقائك يلسم إنه بك واثق
سبقتك من طرف اللسان حلالة
ويروغ منك كما يروغ الثعلب

إنهم انصرون على الذنوب والخطايا في وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم ربون الله لووا
رءوسهم ورايتهم يصدون وهم مستكبرون

كم من صاحب بنفك عاقا ، وقسم بالله أنه لا يضيق لك غرد !!

إنه منث كرم في مظهره .. شيطان رجيم في غيبه يلقاك بوجهه إلى ذر ، وقلب إلى لب .

كانت سبح على نيبا وعصية الصلاة والسلام يقول : يا بني إسرائيل لا تأتونني تنسبون
نبي ربهم ، فتجكم قلوب الذئاب الصوري ، ولكن اليسوا ثياب الملوك ، وألبسوا قلوبكم بغشية
الله

إنه صدق مرض اجنأعي حطير ليس طفحا جلدنا ، وإنما هو مرضان في سم .

ولا نبت شجرة النفاق الحينة إلا في الظلم والظلمات .. عندما يرى ربيع الحرية تدبرا ،
ويحس به لظى الاستبداد ، فإذا انتكست القيم ، واهتزت المعايير ، وانقلبت الحقائق . ضلنا على
وجهه .. هـ هـ هـ ، وويل للأمة إذا نداعت عنها لأثم كما نداعي الأكمة إلى قصصه ، ولن
يكون ذلك كذبت إلا إذا صارت غناه كغناء السيل ، فغصاب باخين واحور ، إنهم كثيرون ،
ونكس كلزبه عياء تقبل حل كواهلهم ، عدلث بزع الله مهايتهم من قلوب أعدائهم
محسب . ويبقى نوحون في قلوبهم ، فيتركون الجهاد ويستكبرون . وما لوهم إلا حب ثوب
وكرهية موت !!

يهدد حصنة من أذل الحاصل ، قال الله في شأن اليهود : في ولجذهم أحرص الناس
على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن
يعمر والله يصحح بما يعملون

«منعج حريض على حياة أى حياة بمنعج بخيل جبان حقدود مصاب نعت لذات
والأية . شعرو : : انج سعد فقد هلك سعيد .

شعاره : : أنا وطوفان من بعدى .

وإن تكون هذه الصفات في مجتمع إلا إذا ضاعت منه أقدس القيم ، وعلى رأسه الحرية
لنقى في عها عمر رضى الله عنه : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا !!

ويصمم حتى يساوم على حرته قطيع من السائمة ، وقد كان الإسلام وما زال وسيظل
يدعو إلى الحرية وشورى والعدل .

وما من أمة تتحلل بتلك المبادئ إلا كان السعد رتدتها ، وتوحيق حثيثها ، وأكبها الله لباس العز والشرف ، وما من مجتمع يتحلل عن تلك المبادئ ، إلا كان الذل والده ، والخذالك حليفه وأذاقه الله لباس الجوع والخوف !!

وأخوف ما يخاف الناصح الأمين على بنى قومه من يفتقروا اتقائهم ، وإخلاصهم ، فيصابون بالأنانية الخالدة ، فيصبح هدف كل منهم نفسه ، ويصير شعوره :
لن أذود الطير عن شجر قد بلوت المر من ثمرة
نعم أخوف ما يخاف الناصح على الأمة حب الأثرة ونبت الإثبات .

وفي الأثرة يقول تعالى : ﴿ وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية .

وفي الإثبات يقول جل شأنه :

﴿ ويظعنون الطعام على حبه مسكياً ويتهموا وأمرنا إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً ﴾ .

ويقول تبارك اسمه :

﴿ والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحزن من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان جرحتهم حسنة ومن يرفح نفسه فأولئك هم المفلحون والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل لى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾

استوصوا بالشباب حبراً

وصية غالية وجهها سيد المحققين وإمام المثقنين إلى الأمة . يريد ما الحياة العلمية ، الدافعة بالإيمان ، الفياضة بكرم المشاعر ، استوصوا بالشباب حبراً ، فربما أرق أقطرة ، وإن الله يبنى بالحبيبة طمحة ، فعالمى الشباب وعالمى الشيوخ !

عم !

شباب نصف الحاضر ، وكل المستقبل !!

ومر تلك الطاقة التي تدفع الأمة من حاضرها أهم إلى مستقبلها السعيد ! ليكون يومها حبراً من قسما وغداً حبراً من يوم .

لذلك عنى الإسلام بتربية الشباب تربية تقوم على الطهر والنقاء ، وطهارة الأبدان والأرواح !! فطفلك لأحبه سبها ، وأدبه سبها ، وصاحبه سبها ، مروا أولادكم بالصلاة لسبع سنين واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم لى المضاجع .

قل صلوات ربي وسلامه عليه :

« يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للفرط وأخصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » .

تأخذك الدهشة ويستول عليك العجب . نعم وأى دهشة وأى عجب أشد من أن يعذب الشباب لأنه يزداد على المساجد ، ولا يذهب إلى دور السينما والمسارح وبلال لى سبيل ذلك ، كل ألوان المعاصاة وصنوف العذاب الأليم !!

صدقت ربنا فأت القاتل : ﴿ وما نعموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذى له ملك السماوات والأرض والله على كل شىء شهيد ﴾ .

إن الأمم تنسب نفسها بقاء أمتها

تنسب نفسها على الحق والقيم والمثل

وليس بعاصر بيسان قوم إذا أخلاقهم كانت حراما

وكيف يقوم صرح ويشيد بناء على أمواج من الرمال

وإذا أصيب القوم لى أخلاقهم فالقم عليهم مانعاً وهويلاً

وكيف تنبأ أمة مكانة من الجدد المؤثر عندما تحرض أباءها على الفساد والانحراف !!

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وبرحم الله شاعر النيل إذ يقول على لسان مصر :

قد وعدت الملا بكل ألى من رجالى فأنجزوا اليوم وعدى

وأرفعوا دولى على العلم والأخلاق فالعلم وحده ليس يهدى

أنا إن لدر الإله مائى لا ترى الشرق يرفع الرأس بعدى

لقد كان كارل ماركس يقول لى جرأة وتبحر : لأنسيت الناس الله بالمرح !!

ولم تكن السينما قد اخترعت فى زمانه لما باليا بكر نداءه من حيث نشعر أو لا نشعر فضع تحت العذاب الأليم شباباً مكبلين لى شياهم غضيفة عن الشر أهمهم ، نصرة عن

الباطل أرجلهم ، نظر أعينهم إليهم في جوف الليل ، وأصلاهم منجبة على أجزاء القرآن ، إذا مر أحدهم بآية تبشر بالجنة بكى شوقاً إليها فإذا مر بآية تنذر من عذاب نار شهن شهقة كأن زفير جهنم بين أذنيه !!

هل لدعوة إلى الإصلاح تكون يهدم الإنسان أم بنائه ؟ شتان ثم شتان !! وهيهات هيهات ما تقولون وما تزعمون !!

إن « ريتشارد نيكسون » عندما تولى رئاسة الولايات المتحدة قتل في بيان له : « إن أمريكا لا تعاني أزمة بلدية إنما تعاني أزمة روحية لقد وجدنا أنفسنا أغنياء في السلع لكننا فقراء في الروح نصل في قرب عظيم إلى القمر ، ونسقط في خلاف حاد على الأرض .

أصمت كيف واجه حاتم الولايات المتحدة تلك الصعاب ؟ وكيف أصاب كبده الحقيقة ؟

أمة بلا روح ، جسد هامد لا حراك فيه !!

إذا الإيمان ضاع فلا أمان ولا دنيا لمن لم يحى ديناً
ومن رضى الحياة بغير دين فقد جعل الفناء لها قريباً

ومن تستقيم الحياة إذا اكتفتها ظلمات الشهوات وعشيتها دهر خير الضلام ؟

ومن انتشرت ظاهرة الانتحار إلا في أرقى دول أورب وأغناد وأعظمها ثراء ؟

هل انتشرت تلك الظاهرة إلا لحراب النفوس من الروحانيات الصافية وموت الإيمان

في القلوب ؟

ليست السعادة في الانشاء بالكنوس المترعة أو الاستمتاع بالعبء الأمالي ، إنما السعادة

في تقوى الله واكتساب رضاه

ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقى هو العبد

وتقوى الله غير الزاد ذخراً وعند الله للأتقى مزيد

وإدراك الذي يأتي قريب ولكن الذي يمضي بعيد

أحداث جسام

جاء شهر مايو ١٩٦٧ وطالعتنا الصحف ونحن في سجن في زعبل بعناوين ضخمة وفي صر صفاحاتها تفيد أن الجيش قد تحرك إلى سيناء وقد أخذ وضع استعداد وأعلنت حالة

الطوارئ بعد تردد قوات الأمم المتحدة من منطقة خليج العقبة التي لم يكن أحد من الشعب يدري أنها قد وضعت تحت تصرف اليهود في الملاحه حتى جاء ذلك اليوم . وأحدث الأحداث تتحرك بسرعة ، ولم تكن مصر مهية لخوض الحرب . لقد كان قادتها يهرفون بما لا يعرفون ، ويمثلون الدنيا صياحاً وعجيجاً وضجيجاً ، وحلت بها نكبة الشعرات « سقى إسرائيل في البحر » ، منضرب إسرائيل ومن وراءها « وكان في إذاعة صوت العرب مديع جهوري الصوت يكاد صوته يصم الآذان ، كان عنده مقصوراً على توجيه السباب واشتدتم المقذعة للأمة العربية ، كنا ندعو إلى الحرب ، ولا نعمل لها حساباً ، وكانت إسرائيل تدعو إلى السلام ، وهي تستعد للحرب !!

إن اليهود قوم يحفظون جدول الضرب عن ظهر قلب وحساباتهم دقيقة ، وخضمتهم مدروسة ، وعطراتهم محسوبة .. أما نحن فكما قال موسى ديان :

إن العرب لا يقرعون ، وإذا قرعوا لا يفهمون ، وإذا فهموا سرعان ما ينسون . ولا يتذكرون !!!

وهذه كلمة عدو ولكي تحارب العدو لابد أن تفكر بمقلتك ، لنفع على موضع الخطر في تفكيره ، ولابد أن تعلم أن العدو لا ينمى لك خيراً ، ولو أبدى حسن صه ، فإذا كان عدوك ملة فلا تتم له واعلم بأن القول فصل ليس بالفرل ، ودقت صول الحرب ، وعلا صياحها ، والحرب أوما كلام :

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتموا وما هو عنها بالحدث المرجع

المجتمع الممزق

حدثنا حقائق التاريخ أن القائد الحكيم إذا أراد أن يخوض معركة ، كان لزماً عليه أن يقوم بتوحيد الجبهة الداخلية ، لأنها التي تقف وراء صفوف المقاتلين في الميدان ، وتمدهم بالعتاد والعدد وتغلفهم غيراً في أهلبيهم ، فإذا ما أصيبت تلك الجبهة بالفرقة ، وتصعد وحدها ، وتمزقت أو اصرها ، وانفصلت وشائجها ، وانحلت عراها كان سهلاً على العدو ينزل بها فاقرة تقسم ظهرها .

ولقد صور النبي الكريم في حديث جامع صورة المجتمع الفاضل ، واجتمع الحرب ، فقال في بلاغة مجزة وإيجاز وجيز :

« إذا كان امراؤكم بخياركم وأغنياؤكم سمحاءكم وأمركم تنورى بينكم فظهر الأرض أولى بكم من بطنها وإذا كان امراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأمركم إلى نساتكم فطن الأرض أولى بكم من ظهرها » .

كما قال : « يا معشر المهاجرين عصال خمس إذا ابتليهم بهن وتزلزلن بكم وأعوذ بالله أن تتركوهن : لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم . ولم يجمعوا زكاة ما لهم إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا . ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسبن وشدة المؤنة وجور السلطان وما لم يحكموا بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم ولم يقضوا عهد الله ورسوله إلا سلط عليهم عدو من غيرهم فأخذ بعض ما في أيديهم » كانت تلك الرذائل كلها مركزة في ضائع المجتمع قبل الحرب فكان على رأس مصر الزعيم الأوحده والدكتاتور المستبد الذي تمثل كلمة فرعون في ما أرىكم إلا ما أرى » وكان هناك الصحفي الأوحده صاحب المقال الأسبوعي « بصراحة » .

وكان هناك الحزب الأوحده « الاتحاد الاشتراكي » . ولم يكن هناك بيتان يتردد القهار ، الذي عنت الوجوه بجلال جبروته ، وخشعت الأصوات لعظم لمكوته ، الذي يخشى العظام وهي رميم ، وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم وهو القاهر فوق عبده وهو الحكيم الخبير .

تقدم قرب الزعيم الأوحده أعداء الله ورسوله من المنافقين وهيبة المستغنيين ، وأبعد كل شخص أمين ، فلم يصر العدو صديقا وإنما صار صديق عدوا واختلطت الأمور وصبح المجتمع يعيش في جو كتيب كضئسات في بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج المراء يده لم يكده يراها ، وصدق الله جل جلاله إذ يقرر تثت خفيفة : « ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » .

ويذ يقول : « من يد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا »

ويذ يقول : « ومن بين الله فما له من مكرم » .

ويذ يقول : « والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما هم من الله من عاصم » .

ويذ يقول : « ومن يؤمن بالله يهد قلبه » .

كان المجتمع قبل الحرب محرق النفس ، معتلا مريضاً كئيباً كاسف البال . قليل لرجاء ، فالفرع والحرف والتفق والإرهاب والنظم وتعنف كلها أشباح رهبة ، تخيم

بأجنحتها الكعبة على كل بيت ، والأمن والأمان ، والسكينة والاطمئنان كلها ، قد صل عليها المجتمع صلاة الجنائز ، ومؤسسة ناصر للسجون والمعتقلات قد صحت أبوابها ، وأخذت الزبانية أقصى وضع في الاستعداد لتزيق الجلود والأجساد !! فمن رفع صوته بكلمة حق يقال له : خذوه فقلوه ، وما أدراك ما قلوه : سجون لا يكف النازل فيها عن الصراع والعويل حتى لقد كانت هناك نكتة ترددها ونحن في السجون : كانوا إذا أذاعوا عب قرآن الفجر وقت السحور في رمضان كما نسمع صوت رجل يصيح بعد أن يسكت الفاري ، على آخر الآي يصيح قائلا : « صل على حضرة النبي » بصوت مرتفع وذات ليلة لم نسمع صوت هذا الرجل فساءلنا لماذا لم يظهر صوته هذه الليلة ؟ فجاء التعقيب من بعض الإخوة : لابد أنه قد اعتقل وتساءل البعض : ولماذا يعتقل ؟ فأجاب آخر : لأن صوته أعلى من صوت المعركة !! وقد أعلن الزعيم المهلم أنه لا صوت يعلو على صوت المعركة .

وتحت هذا الشعار استبيحت أموال ، واستغل النفوذ ، وهتكت أعراض ، وغولت الأمة إلى كتبة تقريرات ، حتى كان الولد يكتب التقرير في أبيه ، والأخ يكتب في أخيه !! وجاءت الصاعقة ، وفر المراء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنه ، وانتشر زوار الفجر ، يجوبون البلاد جيئة وذهابا !! فخيرني بريث أين الأمل في النصر ؟

وهل هؤلاء فعلا سيرمون بإسرائيل في البحر ؟ لقد تحولت الآمال إلى سراب بغيمة يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عبده فوقه حسبه والله سريع الحساب

إذا ما الظلم حل بأرض قوم وعمّ الفسق وانتشر الرياء
فويل ثم ويل ثم ويل لأهل الأرض من رب السماء

انتهى بعون الله تعالى المجلد الثالث وبليته بإذن الله المجلد الرابع من كتابنا « قصة أيامي »
وستبدأ المجلد بعنوان « عوامل النصر » والله نعم الموفق .

عبد الحميد كشك

عوامل النصر

وأعنى بها عوامل البناء ، كما أعنى بالبناء بناء النفوس ، وهل تنهار المجتمعات إلا عندما تخطم النفوس فيأتي تحطيمها على البيان من القواعد ، فيخر عليها لسقف من فوقهم ، ويأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون !!

إن عوامل البناء عقيدة راسخة .. معنويات عالية .. قوة الوازع الديني .. أسلوب علمي متطور في حرب الأعداء مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تَرَاهُمْ بِهَ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرَجَ مِنْ دُونِهِمْ لَا يَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ .

ونقد رزق الله الأمة الإسلامية لعقيدة والمعنويات المترتبة عليها ، والفروقة البشرية والموقع الجغرافي الممتاز ، والأرصدة العريضة التي صارت بمجدة أو مجندة في بنوك الحرب : ومصارف الصهيونية كما رزقها طاقة التي تسيل ذهباً أسود في عروق الأرض ، فالبنزول عصب للصناعات وغذاء للحروب ، والورقة الرائعة على مائدة الدبلوماسية العالمية ، فهل هناك عوامل أقوى من تلك العوامل لو أنها سارت في مسارها الصحيح ؟! إننا لسنا ضعفاء وليس عدونا أقوى منا ، لسنا ضعفاء في ذاتنا ، إنما أتى ضعفنا من فرقنا وتمزيق كلمتنا ، وليس عدونا أقوى منا ، إنما جاءت قوته بضعفنا لما تفرق شملنا - إننا ألف مليون .. نملك بلايين البلايين من الدولارات والأرصدة والطاقة .. إلى غير ذلك ونقد آخر الله وعده وهو يقول :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا الْمُشْرِكُونَ نجس فلا يقرؤوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ﴾ .

ونقد كان عليهما خبيراً وما زال وسيظل عليهما خبيراً فقد تحركت في النفوس بعض الهواجس : أئذا منعنا المشركين قطعاً علاقتنا بهم أوليس يترتب على ذلك الكساد الاقتصادي وفساد حال التجارة ؟! فأزال العيب الخير تلك الوسوس بقوله في نفس الآية : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ غِيلَةً فَسَوفَ يَنْفِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَتْنِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ .

وقد أنجز الله عهده ، وصدق وعده ، فأجرى في بطون أرض الإسلام من المعادن والبتروم ما يمكنها من إعلاء كرامة الله تعالى خفاقة عالية باذخة الذرى ، تناطح الخوزاء ، وتزاحم الشمس في الجلاء فهل أعدت الأمة بتلك الأسباب واستعزت بالله ؟ كما قال تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يَرْيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ وهل وقتت عند تلك المقولة التي قالها عمر وهو يخوض في الطين بقدميه عندما كان في طريقه إلى بلاد الشام ليتسلم مفاتيح المدينة المقدسة من بطريق الرومان سفيرتيوس وقد قال له أبو عبيدة : أنخوض في الطين بقدميك يا أمير المؤمنين ؟

فغضب عمر غضبة لله وقال : يا أبا عبيدة لو غيرك قالها ؟

نعم أنخوض في الطين بقدمي لقد كنا أذلاء فأعزنا الله بالإسلام فلو ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله .

وهذا هو الذي حدث ابتغينا العزة عند اليهود والنصارى ، والشيعيين ، فضرمت علينا ائذلة والمسكة ، وأصبح الحق باطلاً ، والباطل حقاً وصار المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً وأضحى الذئب راعياً ، وبات الخصم العنيد قاضياً !!

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ مِنْ يَتَوَلَّيْكُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّ مِنْهُمْ إِنْ لَا يَهْدَى الْقَوْمُ الظَّالِمِينَ . فَنَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ لِيُصِيبَهُمْ عَلَى مَا أَسْرَوْا لِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ . وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْلَاءُ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لِمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ سُوفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ . إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ . وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوراً وَلَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرُ أَوْلِيَاءُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كَيْدَ الْمُؤْمِنِينَ . وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوراً وَلَعِباً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ .

معاول الهدم

بعد بيان عوامل البناء نأخذ هنا في بيان معاول الهدم وبين عوامل البناء ومعاول الهدم نقف لأمة موقف الخوف والرجاء ، والوعد والوعيد ، وبين نور الوعد ويران الوعيد يتقرر مصيرها . والأمة التي تنسى ماضيها تستدبر مستقبلها ، والأمة التي تسامح على حريتها تتحول إلى قصب ملهب لسياط طهره ، ونهال العصا عليه تدمي جسمه .

ومعاول الهدم خطيرة أشد خطراً من الحرب الضروس إذ هي التي تقدم للهزيمة فإن لم تدارك الأمة أخطأها وتعالج جراحها فعليها العفاء !!

فإما حياة تبحث الروح في البلى وتبت في تلك الرؤوس رفاقي
وأما مات لا قيامة بعده مات - لعمري لم يقبى بمقامي

معاول هدم تفسخ أخلاق ، وإخلال اجتماعي وضعف للوازع الديني ، وهبوط معوى ، ونفاق ناشئ عن الظلم الاجتماعي !!

وهالك تكون الحافة وما أدراك ما الحافة ونفع الواقعة وتكون العلوية وما أدراك ما هي نار حامية .

فإذا ما ضعف وانزع الدين نامت النفوس على هدهة شهوات ، وبين فسوة العاطفة وغفوة الضمير تفسخ الأخلاق وينحل المجتمع ، وقد كانت الأمة العربية في حربها مع إسرائيل كانت بين يدي الحرب قد فتكت بها تلك المعاول حيث استغرى فساد ، وهم الظلم ، وانتشر البلاء وكانت صورة المجتمع كما صورته القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿ وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنهم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأحلهم العذاب وهم ظالمون ﴾ .

وكان المجتمع قبل الحرب كما صورته الصادق المصوم عليه السلام في أحاديثه الشريفة حيث يقول في الحديث الذي رواه أسامة بن زيد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « يؤل بالرجل يوم القيامة ، فيلقى في النار فتدلق أقباب بطه ، فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى فيجمع إليه أهل النار فيقولون : يا فلان مالك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتبه ، وأبى عن المنكر وآتته » رواه البخاري ومسلم .

تقد تحول دعاة المجتمع إلى أبواب للسلطان يؤيدون الداخل ، ويخذلون أهل الحق ، حتى لقد جئنا أحد كبار الشيوخ في السجن - لم يأت منفلا ولا مسجونا - إنما جاء ليلقى على أسماحا فرسا في التوعية فالتزم بالله قائلا : والله الذي لا إله غيره إن الحكومة قد طبقت تسعة وتسعين بابا من الشريعة ولم يبق سوى باب واحد هو حد الخراقة وقد طبقت فيكم ثم تسأل قائلا : أتبدرون ما حد الخراقة ؟ إنه قول الله تعالى :

﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم عجزى في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾ .

وطن بذلك أنه أرضى سيده ، وأنه سبهم عنه بالؤسسة والباشين فيصير وزيرا للأؤوف أو شيخا للأؤهر ، أو مفتيا للديار المصرية فذهب إلى أمه يخطي ، ونسى أو ناسى أنه سوف يدعو لثورها ، وإن لم يغفر الله له فسبيل سيرا !!

صدقت يا رسول الله إذ قلت : « رأيت ليلة أسرى في رجالا تفرض شفاههم بمقاريض من النار فقلت : من هؤلاء يا أبا جبريل ؟ »

قال : الخطباء من أمثلك الذين يأمرون الناس بالبر ، وينسون أنفسهم ، وهم يفتنون الكتاب أفلا يفتنون ؟ ! » .

لقد اشتد في الحزن وكاد الجوع يصدع كبدي وأنا أقرأ على رسالة حملها البريد إلى أحد المعتقلين وقد جاءته من صهره ، وكان شيخا واعظا قرأها على ذلك الأخ وإذا بفضيلته يقول له فيها : لقد أحست الحكومة صما إذ اعتقلكم يا ذوى الأعراس الدنيئة والنفوس المربصة ولقد كان الرئيس عبد الناصر أرفأ بكم من أهلكم حيث لم يقطع رواتبكم عنكم ، ثم أبان شتا وصبا ولعنا بكلمات تركم العقول فضلا عن الأنوف ، وكأنا بركان من الحارمى يرسل حمما ، كريمة الرتحة ، وبعد أن فرغ من قراءتها تجاذبها أطراف الحديث فيما بيننا : ما الذى دفعه أن يكتب هذا الكلام وكان في غنى عنه ؟ أما كان الأول به أن يسأل الله العافية من هذا السب والافتق !!

فقال لي صاحبي كلمة افنتت بها :

قال : إن الذى دفعه إلى هذا أنه يعلم أن الرسالة قبل أن تصل إليها منتمر على لجان الأمن المتخصصة بمراقبة الرسل ، وقد افدح في عقله أهم إذا قرءوا هذا الكلام سيطمئون أنه مواطن صالح ، وداعية إلى الوضوء ، لا يلهق به ، ولا يسلق له غبار ، وعندما يفتنمون بذلك صمحوه ترقية ويصمون عليه بهنرجات الخلق .

أنسى هذا الواعد أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « ما من عبد يخطب خطبة إلا الله سائله عنها يوم القيامة ما أردت بها ؟ » .

قال فكان ماثلك يرمى ابن ديار إذا حدث بهذا بكى ثم يقول : أحسنون أن عني تفر بكلامي عليكم وأنا أعنه أن الله سائل عنه يوم القيامة قال : ما أردت به فأقول أنت الشهيد على قلبى لو لم أعلم أنه أحب إليك لم أقرأ على اثنين أبدا .

وقال شيخ ثالث : من الشيوخ الكبار قال يصح الحكومة وبوجهها إلى الطريق الذى رضى عنه ، وبين ما كيف تعالجا نحن المعتقلين ؟ وما هو الدواء السالح والصالح النافع لنا ؟ قال بصوته خبورى : وجهوا لهم الضربة القاضية حتى لا يرفعوا ريوهم مرة أخرى ، وهكذا كان هؤلاء يدورون إلى المحاضرات ويتقنون من بلد إلى بلد يمتنون النفوس .. حرصون الموتى على الفل والفشريد ، ويخونون دماء الأبرياء ناصون أو مناصين قوله صلى الله عليه وآله : « آدمى يبان الرب ملعون من هدمه » وقوله صلى الله عليه وآله : « من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة ، جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله » .

أَمْ يَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِهِ ﷺ :

« إِنْ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَطْلُقُونَ إِلَى أَنْاسٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيَقُولُونَ : بِمِ دَعَلِمِ
النَّارِ ؟ قَرَأَهُ مَا دَخَلْنَا الْجَنَّةَ إِلَّا بِمَا تَعَلَّمْنَا مِنْكُمْ فَيَقُولُونَ : إِنْ كُنَّا نَقُولُ وَلَا نَفْعُ . »

نعم كان المجتمع كما صوره الرسول ﷺ في قوله : « إِنْ لَا أَخْوَفَ عَلَى أُمَّيْ مُؤْمِنًا ،
وَلَا مُشْرِكًا . أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيُحْجِزُهُ إِيمَانُهُ ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْتَعُهُ كُفْرُهُ . وَلَكِنْ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ
مُنَافِقًا عَالِمُ اللِّسَانِ يَقُولُ مَا تَعْلَمُونَ ، وَيَعْمَلُ مَا تَكْتُمُونَ . »

كانت طيول الحرب تدق ونيرانها توشك أن تستعر وألمة ضيق تكاد تهتك أحوار
الفقهاء ، ولم يكن هناك أدنى إشارة إلى توقع النصر . كان عجم يجمع يجمع يجمع يجمع
جميع المستويات : من قيادة سياسية ملأت السجون والاعتقالات بالأمر ، إلى الفساد في
حطمت حروب في غير موقعها كحرب اليمن ، إلى مجتمع يعيش في رعب وهلع من روار
الفجر . فخيرني بربك : أهذه حالة فيها يريق أمل النصر مرتقب ؟ إنني وأنا أطالع أحوال
المسلمين الأوائل ، الذين خاضوا غمار الحروب بشجاعة وإيمان ونسب ، يصرقون حار
القيادة السياسية وكيف كانت على مستوى المسؤولية ؟ ما هو دور الجبهة الأولى أبو بكر
الصديق يومى الفاروق عمر عندما أراد أن يستخلفه فيقول له : « إِنْ دَعَوْتُ إِلَى أَمْرٍ مُنْجِبٍ مِنْ
وَلِيهِ فَاتَّقِ اللَّهَ يَا عُمَرُ بِطَاعَتِهِ ، وَأُضْمِرْ نَفْسَهُ ، فَإِنَّ النَّقْيَ مِنْ عَمُومِهِ هَذَا الْأَمْرُ مَعْرُوضٌ لَا
يَسْتَوْجِبُ إِلَّا مِنْ عَمَلٍ بِهِ ، فَمَنْ أَمَرَ بِالْخُلُقِ وَعَمِلَ بِالْبَاضِ ، وَأَمَرَ بِالسُّرُوفِ ، وَعَمِلَ بِالسُّكْرِ
يُوشِكُ أَنْ تَقْطَعَ أَمْنَتُهُ ، وَأَنْ يُخْبِتَ عَمَهُ ، فَإِنْ أَنْتَ وَلَيْتَ عَلَيْهِ لُزْمُهُ ، فَإِنْ اسْتَضَعْتَ أَنْ
يُجِيفَ بِكَ مِنْ دِمَائِهِمْ ، وَأَنْ تُضْمِرَ بَطْنُكَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ . وَإِنْ تُجِيفَ نَسَائِكَ عَنْ أَعْرَاسِهِمْ
فَافْعَلْ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . »

(رواه الطبراني)

مجتمع مفكك العرى

أصيب المجتمع في أغل شيء بذلك كل إنسان وهو جانب الإنسانية الذي لحظتم والذى
قضى عليه الخوف ، فقد أصيب مجتمع ما قبل الحرب بعقدة الخوف من الخوف ، ولحور
الناس إلى كتبة تقارير حتى كان الولد يكتب في أبيه وأخ يبلغ عن أخيه !!! فهل يصلح هذا
المجتمع أن يخوض معركة من معارك النصر ؟ شأن بين ما كانوا يحبون ما صرنا إليه : لقد
كان المجتمع الإسلامي يقوم على الهبة والإتقان لا على الأناية ودثرة . فعند هذه الصورة
الإسلامية الضافية وفارن بينها وبين ما نحن عليه :

- عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : « مَنْ نَفَسَ عَنْ مُسْلِمٍ كَرْبَةً مِنْ
كَرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كَرْبَةً مِنْ كَرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَعَرَ عَلَى مُسْلِمٍ مِثْرَةً مِنْ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَافَقَ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ » (رواه مسلم) .

- وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ
لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ ، كَانَ اللَّهُ لَهُ حَاجَةً وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ
كَرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كَرْبَةً مِنْ كَرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَعَرَ مُسْلِمًا مِثْرَةً مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ،
(رواه أبو داود)

- وعن دحير بن أبيه أن النبي ﷺ قال : « مَنْ نَفَسَ عَنْ مُسْلِمٍ كَرْبَةً مِنْ
كَرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كَرْبَةً مِنْ كَرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَعَرَ عَلَى مُسْلِمٍ مِثْرَةً مِنْ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَافَقَ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ » (رواه مسلم) .

(رواه ابن حبان وأبو داود والنسائي)

- وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْمُبَرِّقَ نَادِيًا بِصَوْتِ
رَفِيعٍ ، فَقَالَ : « يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْلِحْ الْإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ : لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا
تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ ، فَإِنَّ مِنْ تَتَّبِعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَّبِعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ تَتَّبِعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ
يُفْضِلْهُ ، وَلَوْ فِي جَوْفِ زَخَّيْنِهِ . »

ونظر ابن عمر يوما إلى الكعبة فقال : « مَا أَعْظَمَكَ وَمَا أَعْظَمَ حَرَمَكَ وَالْمُؤْمِنَ أَعْظَمَ
حَرَمَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْكَ ... » (رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه) إلا أنه قال فيه :
« يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ لَبَّهُ لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَتَهُمْ ،
وَلَا تَطْلُبُوا عَوْرَاتِهِمْ » الحديث .

وكيف يرجى الخير من قوم تحولوا إلى جواسيس ينفذ كل منهم العيب للبقاء ، وينفذ
أمرهم الرمية في قومه ، فما أعظم ما أرشد به النبي ﷺ إذ يقول : « إِنْ الْأَمِيرُ إِذَا ابْتَلَى
الرَّمِيَّةَ فِي النَّاسِ أَسْلَمَهُمْ » (رواه أبو داود) .

وإن العدل هو ميزان الأمة الذى به تستقيم معاييرها وتسير سبلتها في جو معتدل ، ولذا
ركز الإسلام على العدل خاصة في الأمراء . قال ﷺ : « يَوْمَ مِنْ إِمَامٍ عَادِلٍ أَفْضَلُ مِنْ
عِبَادَةِ سِتِينَ سَنَةً ، وَحَدَّ يَتَّقَمُ فِي الْأَرْضِ بِحَقِّهِ أَزْكَى لَهَا مِنْ مَطَرِ أَرْبَعِينَ عَامًا . »

(رواه الطبراني)

ومن صور العدالة الاجتماعية أن العدل لا يعمل المساومة ولا أنصاف الخلول ، فعدل هو العدل على جميع المستويات لا فرق بين المنوك والسوقة ، تأمل معي هذا المشهد الهيب الذي يصق بالعدالة الاجتماعية في أسنى معانيها وأعلى مراقبها : عن عشة رضى الله عنها أن قريشا أهمهم شأن غزومية التي سرفت فقالوا : من يكلم فيها رسول الله ﷺ ؟ ثم قنوا : من يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ ، فكتمه أسامة فقال رسول الله ﷺ : يا أسامة أتشفع في حد من حدود الله ؟ ثم قام فاختطب فقال : إنما هلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، ورجع الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها .

(روى سحارى ومسنه)

- بقمة الخمود هو صمام الأمن للأمة ، إذ في إقامتها تحقيق حق والعدل والمساواة ، وفي تنفيذه يعيش المجتمع آمناً مطمئناً بآتيه رزقه رغداً من كل مكان . فمن الحقائق الدينية أنه لن يرتفع صوت الباطل إلا إذا غفل أهل الحق . عدتكم يزار الباطل في عرصات الدنيا يموتها ظلماً وحيراً وإغلااً وتفسخاً . وقد ترك العاصون وما يسمعون ، فمدر عبيهم سحرقتهم وتحرق عيهم . قال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ، وَاعْمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ وإذا ثرت أهل الفجور وما يصنعون ، كثرى المجتمع كره بنار استنارهم . من ثم فإن مبعوث حباية الإلهية صلوات ربى وسلامه عليه يبين لنا صورة الرائعة لمجتمع ندى بقم حدود الله فيكون قد أخذ طريق السعة - سبيلاً . ولمجتمع الذى لا يقيم حدود الله فيكون مائه لندمار ، ومصيره الدرك الأسفل من النار . فاستمع معي إلى هذا التصوير البلاغى الرائع في قوله ﷺ : « مثل القائم في حدود الله ، والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ، فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقا في نصيبنا خرقاً ، ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً » . (روى البخارى)

وشر ما يتنلى به المجتمع أن يشر ما حرم الله ، وعلى رأس تلك المحرمات إباحة الخمر وهى أم كثر وصل الحياث ، وكفها سوءاً أنها تغتال أغل شيء و الإنسان وهو العقل . وهل يثبت إلا إعلان حرب على الله ؟ وماذا بعد إعلان الحرب على الله ؟ إن الله تعالى لا تغلبه قوة ولا تقهر إرادته أهل السماوات والأرض لله والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يصونون .

إذا كانت الخمر أم الكبائر فكيف تُحتسى في أمة دينها الإسلام ؟ أليس ذلك حرباً على جبار السماوات والأرض ؟ أليس ذلك عدواناً على تعاليم خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ ؟

نقد جاءت النار فيها نيران الوعيد لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . قال ﷺ : « إن الله حرم الخمر وثمها ، وحرم الميتة وثمها ، وحرم الخنزير وثمها » .

(رواه أبو داود)

- وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « لعن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة : عاصرها ومعتصرها ، وشاربها وحاملها ، وأعمولة إله وساقيا وباتمها وأكل ثمنها ، والمشتري لها ، والمشتري له » . (رواه ابن ماجه)

- وروى عن أبى أمامة رضى الله عنه عن النسي ﷺ قال : « يمت قوم من هذه الأمة على طعم وشرب ولهو ولعب ، ليصبحوا قد مُسِخوا قردة وخنازير ، وليصيرهم خسف وقذف حتى يصبح الناس : فيقولون : نحيف الليلة بنى فلان ، وخسف الليلة بدار فلان خواصاً ، ولترسلن عليهم حجارة من السماء كما أرسلت على قوم لوط على قبائل فيها ، وعلى دور ، وترسلن عليهم الريح العقيم التى أهلكت عاداً على قبائل فيها ، وعلى دور بشرهم الخمر ، ولبسهم الخمر ، واتخاذهم القينات . وأكلهم الربا وقطيعتهم الرحم » . (رواه أحمد)

- ورؤى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء ، قيل : ما هى يا رسول الله ؟ قال : إذا كان المغنم ذولاً والأمانة مغناً ، والزكاة مغراً وأطاع الرجل زوجته ، وعق أمه وبئر صديقه ، وجفا أباه ، وارتفعت الأصوات في المساجد وكان زعيم القوم أذله ، وأكرم الرجل مخالفة شره ، وشربت الخمر ، ولبس الخمر ، والتخذت القينات والمعازف ، ولعن آخر هذه الأمة أولها ، فليرتقبوا عند ذلك ربما حراء ، أو خسفاً ومسحاً » . (رواه الترمذى)

نفاق وخيصر

حظر أمرض المجتمع النفاق إذا ابتليت به أمة أضحى الذل واندها ، والمزعة عاقبتها ، وأدافها ثم لباس الخوع والخوف بما كانوا يصنعون ، ذلك لأن النفاق كشهادة الزور يقبل حق بطلا ، والباطل حقاً ، يقرب الأعداء ويبعد الأصدقاء ، ومن ثم لا يصير العدو صديقاً ، ولا يصح الصديق عدواً ، ومدرسة النفاق تخرج الأكثين على كل نوائد ، وحيلة التماقم

الذين لا عهد لهم ، ولا ذمة ، ولقد فتح القرآن الكريم أبوابه ، بلقى النورس النافعة حتى تسلم انجمنات من هذا الداء العضل ، وما أمر ثلثة بعبد ، إنه ذلك الفقير الذى جعل من مسجد رسول الله ﷺ موطأ وسكنا ومتلا حتى مى بحمامة المسجد ، تحركت نفسه ذات يوم طمعا في ثديها ، فقال للرسول الكريم صل الله أن يهنى بها رسول الله !!

فذل له صاحب الخلق العظيم ، والقلب الرحيم بصوت فيه الخلال والجمال والكمال :

« يا ثلثة ، قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تؤدى شكره .. » لكن ثلثة الخ و
الطلب على سيد الكرم وعاهد الله أن آتاه من فضله لصدف ولبيكون من الصالحين ودعا
الرسول به .. اللهم ألحن لعلبة بما شئت ، ودعوة رسول الله ليس بينها وبين الله حجاب
أليس هو الذى زكى الله عقله ، فذل : ﴿ ما ضل صاحبكم وما غوى ﴾ وزكى لسانه
فذل : ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾ وزكى شرعه فقال : ﴿ إن هو إلا وحى يوحى ﴾
وزكى حسنه فقال : ﴿ علمه شديد القوى ﴾ وزكى فؤاده فقال : ﴿ ما كذب الفؤاد ما
رأى ﴾ وزكى صبره فقال : ﴿ ما راع الصبر وما طمى ﴾ وزكى رساله فقال : ﴿ وما
أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ وزكاه كله فقال : ﴿ وإنيك لعل خلق عظيم ﴾ .

وسحب الله الدعوة وزكى ثلثة بألوان من الأعمام من غم وبقره وإبل وتاسلت
وتكاثرت ، حتى صارت كالدود و كثرتها وضافت بها شعب المدينة ، فما كان منه بعد
ذلك ، إلا ترك الصلاة وراه الرسول الكريم ، وهرج المسجد لسوى العظيم وسأل الرسول
عه ، ولكنه علم أن ماله شغله ونعوه بالله من ذلك ، الله تعالى يقول في الحديث القدسي
الجليل : « من آدم عدك ما يكفك ، وأنت تطلب ما يطعمك : لا يقبل تقنع ، ولا من
كثير تشبع ، إذا كنت معالي في دينك آمنة في سربك عدك قوت يومك لعل الدنيا
العفاء » !!

فصارت حمامة المسجد من بيت الله فتمرعت في ضيق الأرض وأوحاها لما
استطاعت أن تخلق بعد ذلك في حواء الروحانيات الصافية بما أن تمرعت في حماة الضيق
المستون . يا ثلثة كان لا لغوته تكسيرة الإحرام خلف الصدوق المعصوم فاعادا دهاه ؟ وأى
بلاء تراه ..

فد رسل الرسول ﷺ به غامنه على الركاة فما كان من ثلثة إلا أن قال بلسان
الفاق : « ببع صاحبك أن ليس في الإسلام زكاة ، إنها أحت الجزية : هناك زلزل عامل
بيت الله يروا شديدا !! فقال : « أو لا تراه لك صاحباً ، وما بلغ رسول الله الكريم ذلك
خبر شيعه : « يا وبع لعلبة » ذلت لأن الله أمر قرآن حتى إن يوم القيامة قال جل
شأنه : ﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين . فلما

آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون : فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه عما
أعطوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون . ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله
علام الغيوب ﴾ .

لقد حمل ثلثة المال إلى الصداق المعصوم فلم يقبئه ، وجناه به إلى أن بكر في حلاقته
مردة ، كما رده عمر وعثمان ، ذلك لأن النفاق قد غزا قلبه فأفرغ الإلحاد بعدد عشنت فيه
الزندقه ، وقف معى عند قوله تعالى : ﴿ إلى يوم يلقونه ﴾ إنها كلمة تخلق ذا القلوب ،
وتنظر من هوها الأفتدة ، وتصدع لها الأكباد وتسيل لها اللس مرارة !!

إن الشافقين في أى عجم صليون ، هدامون ، معاول هدم ، وليسوا عوام بناء ، فقد
كانوا في محاسنهم يسبحون من ضعفاء المسلمين ومقرتهم !!

إن أحد الفقراء من أصحاب رسول الله عمل أجيرا ، وجاء آخر النهار بخصه من لشعر
بى رسول الله على سيل الشرج خيش العسرة ، جاء به والشافقون جالسون فاجموا بنسروب ،
ويضنون ، ويستبشرون ، فمرل الله في ذلك قرآنا قل جل شأنه : ﴿ الذين ينسرون
المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم ليستبحروا بهم سخر الله
بهم ولهم عذاب أليم . استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر
الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يبدى القوم العاصقين ﴾

إنهم الموقنون المشبوهون المرجفون المروجون لشائعات ﴿ فرح المشفون عقدهم
حلاف رسول الله ، وكروهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تقربوا في
الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يلقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما
كانوا يكسبون ﴾ إنهم لا آمنهم ولا عهد عدهم لا يرفقون في مؤمن إلا وادعة ﴿ فإن
رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن يخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى
عدوا إنكم رضىم بالتعذر أول مرة فالتعدوا مع الخالفين ﴾ .

ثم بنى الله نيه عن الصلاة عليهم بعد موتهم أو القيام على قبورهم ﴿ ولا تصل على
أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴾ . به
مهما أوتوا من الأموال والأولاد فبما ذلت وبال عليه ﴿ ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما
يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وترهبك المسلمين وهم كافرون ﴾ إنهم المشافقون على الأمة
احرضون عليها هم الذين يقولون : ﴿ لا تلتفوا على من عد رسول الله حتى ينضوا ﴾ . لا
بهم هؤلاء أن الله حل شأنه يقول : ﴿ والله خزائن السموات والأرض ولكن الشافقون لا
يلقونه ﴾ إنهم الشافقون في أصحاب المسم تحوال . وتقم السامقة ، بديوب : ﴿ لئن

رجعنا إلى المدينة لخرجنا الأعراس منها الأول ﴿ أم بعدة هؤلاء أن لا جل شأنه يقول : ﴿ والله العزة والرسول والمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ﴾ .

الإيمان قوة والنفاق ضعف

تلك حقيقة لا يختلف عليها إلا من انحلت موزن الأمور عنده فانؤمن لا يعرف النفاق ؛ لأنه قوى بالله متوكل عليه يعتقد أن ما أصابه لم يكن ليضعفه وأن ما أخصاه لم يكن ليصيبه ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ . من هنا نعلم : أن ما قدر على فكرك أن تضعه فلابد أن تضعه ومعه حرية ، أما النفاق فيه ضد الإيمان لا يجتمع معه في قلب مؤمن ؛ لأن النفاق شعيرة خبيثة ، تحت من فوق الأرض ما خا من قرار .

ومن هنا فقد سجل القرآن تكريم لمؤمنين حين صدقت جمعت في قوله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وحلت لفرجه وإذا ثبت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون ﴾ . بعد هذه الصفات الخمس يأتي الحكم من الحكم العدل في لونه نورك سمى : ﴿ أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم ﴾ .

وكما سجل القرآن للمؤمنين ثلث الصفات وحكمه مع بهب الحكم صححت السنة المطهرة للمؤمنين خمس صفات هي : ١ - إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أوفى خان ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر .

من هنا فقد حكم الله على - نفياً بقوله : ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً ﴾ .

وبين قوة الإيمان وضعف سدا في نفق بين أبي بكر الصديق وثعلبة بن حاضف فها هو ذا الصديق رضي الله عنه يأن منه كنه إلى رسول الله ﷺ يسأله الرسول الكريم : ماذا تركت لأولادك يا أبا بكر ؟ . وينسأل ليقين وصديق حق بين يمين على حاش الشريعة : تركت لهم الله ورسوله !!

أما ثعلبة فتطلب منه الرضا فتروضة فيأبى ويخبر من أسير في هذين المؤمنين ؟ . إن أبي بكر ملك الدنيا في يده ، ولكنه لا يسمح له أن يشرى بقلبه ههنا عنه . فرمى به بسهولة !! أما ثعلبة فبه مكها بفضة فترجعت عن سيرة فوجدت فساداً

صككت منه فضل تمكن لفساد عسيراً عليه أن يخرجها من قلبه وهذا هو الفرق بين المؤمنين !!

ذات ليلة

بينما نحن نيام في سجن أبي زعبل ولي ليلة من الليالي الخزيئة قبيل الكفة والخو مغرباً ، دا بها نقوه من نومنا فرعين وكل ما يشرع بألم في إصبعه كأن دبوساً وخزاه وخزاه شديداً ، مما استيقظنا علماً أن أحد الأضواء المنفلتين ، أراد أن يجامل السلطة فقدم لها نفقا رحيصاً ، أخذ الدم من أصابعها ونس مصابون بفقر الدم ، أخذه ما ونحن نيام : ماذا ؟ ليكتب وثيقة - عدم لقيادة يقول فيه : نعاهدكم على الوفاء بخلقكم ، أبشروا بالنصر وكم كان أسهل شديداً وأنا أرى النفاق يفتح موقف هذا الذي ظن أنه بذلك الموقف الخزي سيحصل بالإفراج عنه ، وسى أو ناسى أن كل شيء بقضاء ، ولكن لم أحد ما أعلق به أبلغ من قول رسول الله ﷺ : إذا لم تسبح فاصبح ما شئت .

سيف الحياه

لما وثقت الحرب أن تقع بينا وبين إسرائيل في يونيو سنة ٦٧ أذاعت القيادة عليها في معتقل وأغرى بها هذاعة صهيونية السحرة أذاعت أن من أراد أن يتطوع بالهال للقوات مسلحة فيب التتبع مفتوح ، وطن الناس الذي يقيمون وراء القضبان ظنوا أنه بفكر ما يكون مقدار التطوع بقدر ما يترتب يوم الإفراج ، فتقدم الأغنياء بمبالغ هائلة ، منطوعين عسى أن يكون ذلك سببا في كسر ذلك الحاجز الحديدي والكل يعلم أن النفوس قد غارت وتعمقت جرحها بسبب الضم ، وقد بهت القلوب الحناجر ، وغلت مراحل الخط ، وأن ما أخذ بسبب الحبه فهو حرة ، ولا يمل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه ، والذي أحزنني كثير أنه كان حواراً أح كرم كان يعمل بالبناء وكان يعمل أسرة تتكون من زوجة وسبعة أبناء فظنوا أنه يبيع أدوات العمل ليحصلوا على لقمة العيش بعد اعتقال عائلته مما ضرب ما أن شيع لما موته باليهود الخزي ، سألني ذلك الأخ عن رأيي : من يتبرع وهو لا يمت في الأدوات سوى خمسة وعشرين قرشا ، أبقى عنها ليشتري بها قداماً من خدي بعد تحول ضمه لسجن الذي يعمل في السجون كعمل الخميم ؟ فقلت له يا عم حسن .

سألني أن تكتب اسمي في سجل المبرعين ولو بخمسة قروش حتى لا يوضع اسمي في القائمة السوداء ، ويقتل من الأكاذيب والأباطيل ما أنت عنه في غنى ، فقد يقال : ذلك من شجرة المصدرة أو من شجرة النعادي ، أو من أعداء النظام ، أو من الخاقين على ربيع الشهادة

أو غير ذلك ، من العبارات التي كانوا يشدقون بها ضد الأبرياء لأتقياء الأنبياء الأضهار الأبرار الأخيار !!

وما مر علينا المستول عن كتابة الأسماء والنياح شيوخ من تقدم الأخ حسن بنجر مقداره خمسة قروش قرأته وسمته بعد أن دفعها ، وكأنه تذكير لولده فاشتدت عليه وضأة الظلم ، سمته وقد توجه إلى القبلة وأخذ يبه غيب صريع ويدعو له قائل : اللهم اجعل ما دفعته حار وناراً وغضباً من غضب الجبار عن كل من صمد وأودع في هذا مكان وقصص صنفاً بأولادنا . وشمرت كأن الأرض زلزلت زلزلاً فمر به دعوة مصوء ودعوة المظلوم ليس بيها وبين الله حجاب يرفعها الله تعالى فوق عدم فتفتح له أبواب السماء ويستقبلها الرب عز وجل . ويقول لصاحبها وعزقي وجلالي لأصيرت ولو معاً حين

لا نظلمن إذا ما كنت مقتدراً فالظلم ترجع عقابه إلى لده
تاه عينك والمظلوم متبه يدعو عليك وعين الله لم تم

موقف بين

كان من بيننا رجال شاركوا في حرب يهود في سنة ١٩٤٠ وكان على رأسه قائد مجاهدين أدهم محمود عبده ، والذي عرف عنه أنه كان يمسك كل نذرة من ربه بـ مسدس أراد هؤلاء الرجال أن يعذروا إلى الله فكتبوا مسكرة إلى الزعيم لأيوحا مجاهدون الله فبه على تصديق في قتال اليهود على أن يهودوا بعد انتهاء المعركة - إن قدر ما حدث - إلى السجن مرة أخرى فإن نالوا الشهادة فذلك الفضل من الله وما عرضت مسكرة على المسئولين قبلت بالرفض وقت الزعيم يومها : إن الهزيمة على أيدي اليهود حير من النصر على أيدي هؤلاء !! وهكذا ركب الغرور وعش الشيطان في رأسه (سنس منوى لشكرين) .

نقد فاضت العيون من الدمع لما قول صلب هؤلاء برفض ، لأنهم كانوا يرددون : « الجهاد سبيلاً والموت في سبيل الله أسمى أمانينا » ونكتب أعذروا إلى الله والزموه الحجة أمام من يعلم حادثة الأعين وما تحنى الصدور وهكذا كانت لأيه تمر . والأحداث تتلاحق ، والزعيم يغضب ويقول : (أنا مش خراج مثل يندن) و حرب يوم كلام ، والأجماع يكدون بصفتهم على الحدود ، والمتنلات والسجون قد تمت بصنومين ، والظلم طافح ، ملأ ضيق الأرض ، حتى كان يميل إلى أن الظلم لو انفسد في مئة حرة لكن تسعة وتسعون جزءاً منه في مصر ، والجزء الباقي يطوف بالدنيا ، ثم بيت إليه في مصر . فقد تمزقت وشائج المجتمع ، وانفصت عراه ، وتقطعت أرحامه ، وأصبح لأن حسوب عن أبيه ، والأخ عدوا لأخيه ،

والظلمات بعضها فوق بعض ، وأخرست الألسنة ، ومات الناصحون ، وانتشر النافقون ، والغشاشون ، وضمت الأمانة ، ووسد الأمر إلى غير أهله .

دعوة غريبة !

في صبيحة يوم من أيام مايو ، وقبل وقوع النكسة بأيام قلائل ، استيقظنا ذات يوم على بكاء أخ كنا نعرف فيه الشجاعة والرجولة والشهامة والتقى والصبر ، كان يبكي ويتحب وقد جرت على لسانه دعوة يقول فيها : (اللهم لحبطهم) وسأله بما يبكيه وعننا أنه قد وصله نبأ وفاة ابنه ، والرجل كان يود أن يكون حاضراً موته ، وتشيع جنازته ، لكنه حبل بينه وبين ذلك ، وأخذت شفته ترسلان لها للرجل الذي يغلى ، إنه وراء الأسوار المنبعة العالية الحصينة يحرم من تشيع جنازة ابنه ؟! أبلغ الظلم بالمعاد إلى هذا الحد ؟! إن هذا الأخ الشبلي كان قد حضر اخوة التي وقعت بالمسلمين عام ١٩٥٤ ودخل السجن الحربي وقص على طرفاً مما لقيه من العذاب في تلك المحنة .

صيت أدته بالتهاب حاد فاعترض على الطبيب فقال له طبيب السجن الحربي في ذلك الوقت ، قال له في غلظة وفضافة وقلب قد من حديد بل يتأذى الحديد إذا وصف لقلب به ، تهره الطبيب قائل : هم تشكو ؟

قال : أدنى كأن فيها جرة من نار !!

قال له : أي أذنك ؟

قال له : اليمنى .

وظن الأخ الباضل أن الطبيب وهو رسول الرحمة ومقذ الشاكي ، ومسعاً الملهوف ظن أنه سيوقع عليها كشفاً ، فيشخص الداء ويصف الدواء .

لكن الأمر كان بخلاف ذلك تماماً لقد رفع الطبيب يده وصفعه على أذنه نصابة صفة جعنت عينيه ترميان بشرر كاتصر فأغشى عليه إغماء لم يبق بعدها إلا وهو منقى في أرض البرية

أهذا هو الإنسان الذي كرمه الله في كتابه فقال : هو ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ؟! ﴿ ١٧٥ ﴾
هذا هو المواطن الذي كان الزعيم الملهم ابن مصر الذي ولد في بني مر كان يحاضره ويقول له : ارفع رأسك ، أغنى فقد مضى عهد الاستعباد ؟!

ولسان الحال والمقال يقول :

ارفع رأسك يا أغنى لأقطعها

أهنا هو الإنسان الذى أسجد لله الملائكة لأبيه يذ يقول :

﴿ إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشر من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون ؟ ﴾ .

أنتك هي الحرية التى منحها الله للإنسان وقال عنها الفاروق عمر : (من استعبد الناس فقد وندمهم أمهاتهم أحراراً ؟) .

أنتك من مسئولية الراعى عن رعيته والنسب قال عبد غفار : (لو عرفت بمئة بالعراق لسانى الله عما لم أتم تصليح لها انطريق يا عمر ؟) .

أنتك هي الإنسانية التى أعطاها الله من الحقوق - يحفظ عنها كرامتها وعمرها والنسب أودع الله من أجل تلك الحقوق - أودع امرأة النار في هرة حيث لا هى أطمئنت ولا هى تركب تأكل من خشاش الأرض ، ولكن ماذا نفعل لنقوم لا يسمعون ورد سمعوا لا يستجيبون ؟

أصحب للوب لا يلقهون به

وأذن لا يسمعون بها

﴿ عزم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ﴾ .. ﴿ أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾ .

اقتربت الساعة

مرت الأيام والموقف بينا وبين إسرائيل يندم ويردد سوعاً على سوءه وأحب ثم كثره حفلا سامعاً قبل وقوع الواقعة وقالت : ستكون حفلة تامة في تل أبيب ورد عنها ويرد الحرب الإسرائيلي قائلا : أعتقد لو استطعت أن تنبئى حفلة القادم في القاهرة - لعامة !!

وبما سخرى !!

تقد مرت إحدى السفن الأمريكية قبل البكة أيام مرت بقناة السويس وكانت سفينة حربية ضخمة مهمت بخبرة نصب ونشرت الصحف يومها صورة امرأة من سفينة

القناة ترفع حفاها عالياً برنما تشير إلى بحارة السفينة كأنها تهددهم بسلاح فرى لا يقى ولا ينز وعلمنا أن المسألة هرل لا جد فيها وأن البلد قادم على مأساة لا يعلم مداها إلا الله !!

لقد ظن القادة السياسيون أن تعبئة الجيش لا تعدو إلا أن تكون مهدداً ثمنها الأناشيد الخصامية الكاذبة ، وسجروا هذا الموقف سياسة - حافة الهاوية - وبعد ذلك برقص الرافضون على أوهم نصر خادع فقد هددنا إسرائيل وحشدنا لها الحشود ثم انتصرنا بتحويلها ومهددها بالخطب الحماسية الرنانة ، ونسى هؤلاء أو ناسوا أن الحرب أوطأ كلام وأوسطها حديد ونار وأحرها إما إلى صداعة تطرب الورى ، وإما إلى نواحة في المآثم .

يسوم النكسة

استقطبا صحيفة الحامس من يونيو كالعتاد فصلينا النصر في وفه ، وجسنا كالعادة نمر ورد الصباح إلى أن أشرفت الأرض بوزرنا واستعدنا لصلاة الضحى مصداقا لقول الصادق المصوم : « من صل الفجر في جماعة ، ثم جلس في صلاة يذكر الله حتى طلعت الشمس فقام وصل الضحى كتب الله له لواب حجة وعمره تامين تامنين » .

لكنا بعد طلوع الشمس سمعنا أزيز الطائرات بدوى في سماء مصر في مرة لم يسبق له من قبل ولما انصف النهار لم تكن ندرى ماذا حدث لقد أمرت السجى بمع الإذاعة أن تذيع عبا أى أخبار ، كما أمر بمع الصحف ، حتى لا يعلم بما وقع وما حدث من هزيمة مكررة حتى لا نشمت !!

ولما غربت الشمس هذا اليوم أذاع علينا بياناً من تأليفه وتلحيته : بأن الجيش قد انتصر ، وكان يردد في ذلك ما كان يذيعه مدير إذاعة صوت العرب بصوته الخهوري ، والذي أعلن في إحدى كمناته وبياناته الحربية بأننا قد أسقطنا العدو مائتين وخمسين طائرة ، وكان ذلك كذبا مقضوحا إذ لو كانت الطائرات ذهابا ما استطاع أن تسقط بها هذا العدد !!

لقد كانوا يذيعون على الشعب أن الطريق إلى فلسطين ، ما هو إلا فرجة جنوبية في نية صيب مقمرة حتى كانوا يقولون في إذاعتهم هذه العبارة المشحوة : (ألح إسرائيل ولقت في فتح) .

ولما أمر الجيش بالانسحاب بطريق تدعو إلى الأمل وإلى الأمم أذاع قائد لسنجن عبا - بنا قال فيه : إن الجيش لم ينسحب إلا لحطة عسكرية سيحصل فيها للعدو كمنها يكون مقرة - وكانوا يقولون لنا هذا الكلام كأننا العدو الذى نمت أن نخشوه . وكان خفيقة متض

في عفاء ، ونسى هؤلاء أو تناسوا أنه لابد أن تضح الحقائق ، وفي الذيل لابد أن ينجلى ، مهما طالبت ظلمته ، وأن حرارة الشمس مستديرة تلوح الباطل ، وأن الحق أبلج ، والباطل الجلع ، وجاءت الحقائق تترى فقد ضربت ضارقاتنا وهي رابضة في حناجرها ، كالبط على وجه الماء ، وانتهت الجبهة المصرية ، كما قال قائد الحرب الإسرائيلي يومها :

لقد ضربت الجبهة المصرية فإذا هي هشة عندما اصطدمنا بها ، وكأنه صدام بين مطارق الحديد ، وتوالى الفخار ، هكلا في موشى ديان ، كما قال أيضا : بها كت التدريب على خرب الأدغال في لبنان كان المشير ورجاله في مصر مشغولين بحل مشاكل الوادي الرياضية ، يقضون ليلهم وناهارهم مشغولين بكرة ، وإن تعجب تعجب ما قاله قائد سلاح الجو الإسرائيلي : مردحاي هود قال : إن ما حدث في مصر يفضي كثير أحلامى حولنا لقد سقطت الجولان ، والضفة الغربية ، ومدينة القدس ، كما ضاعت غزة .

ومع ذلك فقد ظلنا في السجون نحسى ما نقاسى على أي القيادة المبرمين الذين أرسلوا بالجيش ، وقالوا له انسحب فانسحب !!

لقد كنت كل شيء قبل الحرب بليل بالفرجة وعلى رأس هذه لأشبه الظلم الاجتماعي ولكم لا يقرعون وإذا قرعوا لا يلهمون وإذا فهموا سرعان ما يسون ولا يذكرون .

في عام ١٩٥٥ كانت السجون قد امتلأت برجال مسلمين ونساء مسلمات فوقعت الهزيمة في عام ١٩٥٦ على أيدي ثلاث يور : إنجلترا وفرنسا وإسرائيل ذلك بعد ظلم ، وقتل ، وتشريد ونجوح . لقد علفت رهوس لشهداء في المشايخ وعلى رأسهم شهيد الإسلام العظيم عبد القادر عودة الذي كتب في الإسلام كتابه الشهير (الشريعة الخائنة في الإسلام) وهو موسوعة علمية يستعين بها عديد من يهود أن يفتقروا شرع لله ومنهم سلطان العلماء الشيخ محمد فرغل الذي حارب الانجليز حل صدره نقمة حتى أنهم جعلوا مكانة عضى من أن به حيا أو ميتا تقدم رعيم الخالد رأسه مجاز . يمكننا سوا أن في السماء ملكة كتب عن : **﴿ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالم ﴾**

فقد تناسوا قول رسول الله ﷺ : **﴿ إن الله لا يجعل كعنة أحدكم إن الله يمل للظالم حتى إذا أحله الله بطنه ﴾** افزعوا إن شدد

﴿ وكذلك أحله ذلك إذا أخذ القوي وهي طائفة إن أحده أليم شديد ﴾

إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما جهر جيش الشجرة بإذن الله إلى بلاد فارس ونسى كان على رأسه سعد بن أبي وقاص خال رسول الله ﷺ وهو قائد موقعة قادسية ما قد عمر وهو يودع الجيش قال يا سعد :

أوصيني وإنيك بتقوى الله ولا يغرنك أن قليل حال رسول الله ﷺ فإن من أبعده عنه ثم يسرع به نسيه أو حسبه ، إننى لا أخشى على الجيش من أعدائه ، إنما أخشى عليه من دنوبه ، فبما إذا عصبا الله تساوبا مع عدونا في المعصية ، وزاد عليها في العدد والعدد .

كان عمر يخطر من وراء الخشب ويستشرف الغيوب ، ليلقنا هذا الدرس الذي لنا وعبد . إنه يخطئ من قاعدة تقول : إن النصر للأقوى ، فإن لم يكن هناك أنقى ، كان النصر للأقوى ، ونحن يوم الكفة ما كنا أنقياء ، ولا أقوياء بل كان الظلم يعم على كل بيت ، فوقع ما وقع من العدوان الثلاثي ، الذي سمح لإسرائيل بالمرور في حنيح العقبة ، والذي أدى بعد ذلك إلى حرب يونيو سنة ١٩٦٧ عندما أردنا أن سنرد حيفا ، ونمخ إسرائيل من المرور إلى الخبيخ ، فلما سمى دروس التاريخ فالتاريخ أستاذ مدرسة الدهر ، يميل في هذه المدرسة بواسطة الأيام ولها نيل ولكننا لم ننعص ولم نعتز بل عدت الأمور أسوأ مما كانت ، مثلت السجون ومعتقلات في ١٩٦٥ ، وبعد ذلك نصبت المشايخ على التاسع والعشرين من أغسطس ١٩٦٦ . كان رأس الشهيد سيد قطب معلقا في حبال مشنقة لتقديم هدبة حائصة إلى موسكو فكانت الكفة في عام ١٩٦٧ عقب هزيمة مكورة وقعت على جبال ابن صاع في من الأموال أربعة مليارات من الدولارات !!! هذا هو الحال ، وتنتشر آلاف مليون في مصر أربعة آلاف قرية لو أن كل قرية خصت بمليون لأصلح الله حالها أما عن نفس وأحرصى محدث ولا حرج وأنشد مطربون . ورفص رافضون وسمو نمت اخرب لشعواء رحمة مصر حبة

أبعد هذا الضلال ضلال ؟ ولكن إذا عُرف السب بطل الصبح !

إن القيادة السياسية تلك من توف الحقائق ما تستطيع به أن تحول الهزائم الشكرة إلى

حرب صلب

لقد كانت الكفة أمرا سخطا بهدسا حدث في اليمن . إن الصبر خاسر ونعيم إنها تقوى تعبئة تخطط ولا تام ونحن في عجلة معرضون وعن الله يعبدون وهو سبحانه بخاضعا قاتلا : **﴿ فبين تذهبون ﴾** . تبها عما نحن فيه من الضلال سائرنا إن ذهبنا إلى موسكو فإيه أعداء الله . وإن توجهنا إلى واشنطن فإيه أعداء الله فالصلاة لا تصح إلى هناك ، ولا إلى هناك ، إن تصح بالتوجه إلى بيت الله .

قد جرهم الشرق فتحد فلم تفلحوا وجرهم العرب المحل فحسرتهم حسراتا ميا فحربوا صراط الله مرة إن هو إلا ذكر للعالمين ، لمن شاء مسكن أن يستقيم إن الظلم لا يدموم وإذا دم دمر ولقد علمنا رسولنا الكريم هذا الدرس كان إذا أراد أن يغزو غزوة قال لأصحابه : **﴿ اعلموا في صفاتكم أي أحضروهم فبأسلم الدعاء بالنصر ويقول كنتمه التي تفيض نور وبها وحللا ورواء ﴾** : إنما تصرون وتزفون بضعفكم

كان هناك مسجون ومعتقلات في ١٩٥٤ فكانت هناك هزيمة في ١٩٥٦ وكان هناك مسجون ومعتقلات في ١٩٦٥ فكانت هناك هزيمة سموها نكسة وهي وكسة ونكسة وعار وشار في سنة ١٩٦٧ وما زالت دعوة هذا الأخ الكريم ترن في أذني عندما يلعب نأ وفاة ابنه فأحد يدعو الله قائلا : (اللهم خضه) .

فقد صعدت هذه الدعوة من قلب مكنوم حرج ، ونفس ملهانة مضطربة .
رفعت فوق العمام وفتحت ظنوب السماء ، وقلنا ها رفع السماء بلا عمد
أنصبر - صاحت

فكانت الواقعة وما أدرك ما الواقعة كانت في يوليو سنة ١٩٦٧ حادثة عبر واقعة بسبب خيال بسا فكانت هناك مشا ورحلت الأرض وجه مضربت الضربات في حضرتها وقدفت أصان القابل في ما تدر من شيء أنت عليه إلا جعلته كالرميم في ألم ترك كيف فعل ربك بعد يوم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وثمود الذين جاؤا الصخر بالواد وفرعون ذي الأوتاد الذين ظفروا في البلاد فأكفروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب إن ربك للبالمرصاد في .

مع البهايين في أي زعبل

في أثناء الحرب التي سموها كما يزعمون حرب الأيام ستة وهي في الحقيقة حرب التسع عشرة دقيقة التي لم فيها ضرب لطيران انتهت بذلك الحرب الحافظة أثناء تلك الأيام ثم اعتفان - يقرب من ثلاثين شهقا يدهنون بالبهاية .

وقد كانت فرصة ساحرة أن نتلقى بهم ولخاورهم وبين زيفهم وضلالهم فكون فريقا من إسلاميين كست واحدا من أعضائه وكان معا لميف من الشخصيات المعتارة أمثال الدكتور عبد الله رشوان ، حمى وأستاذ محمود شكر ، الباحث الإسلامي وأستاذ محمد رشاد الميسى ، وغيرهم كما قام البهايون بتكوين فريق منهم فكانا نتلقى بعد صلاة العشاء من كل يوم ، لمستمر حوار يتبادل قبل الفجر . وكنا نرى في ذلك متعة عقلية وروية فكرية ، والبهاية نفسه تشكلت من معتقدات وأسس منها من ينسب إلى الإسلام أصلا . ومن من ينسب إلى النصرانية أو اليهودية ، ولعل اعتناقهم في أثناء الحرب مع إسرائيل بعضى إشارة قوية لصلتهم بإسرائيل وقد دار الحوار في العقيدة وشريعة وأشعرية وأسأنا تسؤل الأول - من ينسب إلى الإسلام أصلا : هل أنهم مسلمون ؟

قلوا : نعم .

قلنا : فما الدين الذي جاء به البهاء ؟

قلوا : الإسلام .

قلنا : كان هو الإسلام فكيف يأتي بدين بعدما قال تعالى : في اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً في فكيف يأتي بالإسلام بعدما أكمل الله الدين وأتم العمة ؟

وإذا ما يكن قد جاء بالإسلام . فلا شيء بعد الإسلام إلا الكفر في ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين في .

ثم قلنا : بما تقولون في انتهاء نبي هو ؟ قلنا : نعم ؟ قلنا : لا نبوة بلا وحى فهل نزل عليه وحى وكيف نزل عليه ؟ وما حقيقة الوحى ؟ فكان جوابهم السكوت .

قلنا : وكيف يكون نبي والله تعالى قد حمى الرسالة بسيد المرسلين محمد قال تعالى : في ولكن رسول الله يخاتم النبيين في .

قلنا : إن محمد حمى النبيين والله يختم الرسل وعبروا رأيهم في البهاء فقالوا إنه رسول لا سي . فإذا كان محمد ختم النبيين فمختم المرسلين .

قلنا : ما : أيها أعم ؟ وأيها أحسن ؟ النبوة أم الرسالة ؟ وعرفوا النبوة والرسالة فكانت الأجواب بالجهل وعدل ذلك ذكرنا فم القاعدة الأصيلة في العقائد : بأنه لا نبوة بلا وحى ، ولا رسالة بلا نبوة وحيث ثبت أنه لم يوح إليه ، فإنه ليس نبياً وحيث انتفت نبوته فقد انتفت رسالته ، إذ لا رسالة بلا نبوة ، فالنبوة أعم من الرسالة ، فيكون من يدعي الأمور أن من حمى ختم حمى لأحسن البهاية سنة وحسة وعشرون ألفاً ، والرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولاً فمن حمى أكثرهم حمى لأقل لا يندرج فيه .

وقد تبين لنا من النقاش بعد ذلك أنهم لا يكفون بأنه رسول ، بل يذهبون في النهاية إلى كونه . ولكن تأمل بالصورة واضحة جلية وبما ذكر تفصيلاً جلياً هذا الدين الذي يسمونه الاستعمار وحمل الجهد وضلا وحمل السلام استسلاماً فبيكن القاريه هل ذكر من هذا فقد تعددت الشكوك حتى أجهزنا عليهم فكربا ومع ذلك فإن أهل الحق قد يتشعرون حسبا وغيب ولكنهم يكابرون ضاهريا ويستكبرون عن قول الحق ومهمما يكن من أمر فقد صهر الحق وبرج الحياء ولزمتهم الحق في ساحة احسان يوم تأتي كل نفس تحادل عن نفسها . يقول كل من من عملت وهم لا يظلمون .

ونقد كان القرآن الكريم يستلزم حبوب وهو حدثنا عن هؤلاء الذين ادعوا نبوة أو الرسالة بعد رسول الله ﷺ فينبول .

« ومن ظلم لمن اتى على الله كذبا أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله » .

حقيقة البهائية

س ١ : ما هو إيمان البهائية ؟

ج ١ : يؤمنون بالله وكتبه ورسله وقيامته والباب والبهاء ، الإيمان بالله هو رأس الإيمان عندهم ولكنه غير إيمان المسلمين .

فالمسلمون يقولون : لا إله إلا الله وحده لا شريك له . اتصف بصفات لا يمكن لمخلوق أن يتصف بها ، لأنه ليس كمثلته شيء . وإن كل ما في الوجود قائم به ومفتقر إليه .

أما البهائية فيقولون : إن الله حي قادر قويم ، ليس كمثلته شيء إلا أنه ليس له وجود مطلق بأسمائه وصفاته التي وصف بها الله على ألسنة أنبيائه ولا سيما في القرآن . وإنما وجوده مفتقر إلى مظاهر أمره . وهم الأنبياء والرسل يطهرون فيهم ويتجلى لعباده فيهم كما تجلى الشمس في المرأة الصافية وحيث يكون عبد النبي أو الرسول قد انمحي وجوده لمن غش فيه كما تمحي تلك المرأة الصافية ويكون هو الله فإذا خاطبته فأبما تخاضب الله ، وإذا كلمت كان الشكك هو الله . ويقولون أيضا : إن الله مفتقر إلى خلقه كافتقار الملك إلى رعيته فكما أنه لا مست بلا رعية كذلك لا خالق بلا مخلوق ، ولا رازق بلا مرزوق لهذا فاعتقادهم أن الكون أول أبدى كآلية الله وأبديته

ويزعمون أن كل الأنبياء والرسل الذين جاءوا إنما جاءوا ليشرحوا بالمظهر الأسمى الذي سمى نفسه فيما بعد : بهاء الله ، والذي هو على زعمهم موعود كل الأزمنة ، وكل الأديان التي جاء بها الأنبياء إنما جاءت تنهياً لديهم وكلها ناقصة لا يكملها إلا هذا الدين الذي هو دين البهاء .

س ٢ : هل تؤمن البهائية بالسموات ؟

ج ٢ : تؤمن البهائية بالقيامة لكن إيماننا ليس كالإيمان إذ أن عقيدتهم فيها تخالف كل الأديان السماوية فهم يقولون : إن الإنسان إذا مات قامت قبته ، فهو بعد الموت إلى نعيم مقم أو إلى عذاب نعيم وإن لأجساد هذه تعود إلى الأرض كما بدأت منها ، وتفتى فيها وما لعذاب ومقيم إلا على الأرواح ، لأنها المسيرة لهذه الأجساد ويستدلون على ذلك بأيات وأحاديث إسلامية يؤولونها كما يشاؤون من ذلك قوله تعالى :

ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله .

ويقولون : إن الله يخلق هذه الأرواح أحساداً لا تنة بنعيم أو عذاب وأن العذاب ينشئ ويسمون هذه القيامة (الموت فما بعده) القيامة عصرية .

وهناك قيامة كبرى وهي البعث أو الساعة أو الحشر . وهي شبه أمر رسول وأمه ، وبعث رسول جديده وكل قيامة أنبياء بها الأنبياء هي عدهم تعنى بعث لنباه كمنك يؤمنون بما يسمونه الباب وما يسمونه البهاء ، وإليك ما بهما :

من هو الباب ؟

ولد في شيراز في ١ محرم سنة ١٢٣٥ هـ الموافق ٢٠ أكتوبر سنة ١٨١٩ مولود للسيد محمد رضا نزل في شيراز أسماه بعد ولادته علي محمد ويقولون : به يتصل سبه بالحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وهذا ما به كتب .

وقد غرهم مات أبوه وهو صغير لم يفهمه فكفنه حنة وكان نحره صلب الخال اسمه مير سيد علي ولي السعة الخامسة أذنه حنة الكلب فتعبد به بعمه أمه الفقراء في كتابت يرون ونكه برز في الخط حتى كان بادرة زمانه حدة وسرعة في الكفة ونسبته وقبل أن يغ الخلم ترك المدرسة لأحتياج خاله به ولما بلغ سبعة عشر من عمره استقل بعمله عن حنة ، وأقام في أي شهر تاجراً خمس سنين ، ثم رجع إلى شيراز وانضم للمعابد ، على الطريقة الصوفية ثم رجع إلى أي شهر ، وزعم أنه يستضيئ تسخير روحانيات الكواكب ، وكان يقضي معظم ليله فوق سطح منزله ، حاسر الرأس نالاً الأوراد مبهما في تلاوة الأذكار تحت أشمس في أي شهر الخمر فاعتراه سبب ذلك دخول حصه قواه ، فأرسله حاك إلى كربلاء مستشفياً بزيارة المقامات الشريفة هناك وفيها اجتمع بالنسب كاطم الرشني خليفة الشيخ أحمد الأحاساني زعيم الشيعة الذي مزج تصوف وعسفة بشيعة ، وندى قال : إن الغائب ينتظر المسمى بالمهدي هو الآن من سكان هذه رويحاني عبر هذا العبد الحسناني وأن جسمه كجسام الملائكة نوراني ، وقد قال - ب بقوة شجعه هذه ثم انفضح بحداه عن مجلس الشيع وعتكف على العبادة ولأله الرباصة - شمس مدة . ثم صير شاسي يظهر حديه فل فيه : به : على انفس بالحدث أنامدية النعم وعلى باب وندى نوصي - إلى الله لا يمكن إلا عن طريق نبي . وأنه لا يمكن الدخول في هذا الطريق إلا عن الباب وأنه هو الباب .

ثم ادعى أنه هو الباب للمهدي ينتظر وبعد مدة قليلة في : إله هو مهدي همه الذي بشر به ذب . وبشر به محمد عتيق وفي د حمدي الأور سنة ١٣٠٠ هـ . في حق منير

١٨٤٤ قال : إن الله أحياه لحق البائة ، ومعه (كما زعم البهائيون) أنه حياه رسولا من عند الله مبشراً بظهور شعب منجب خلف ستار الغيب الإلهي وهذا سيكون رسولا من الله إلى البشرية ليقدّمهم من البتن والخروب ويدخلهم في السلم كافة وهكذا قال البهائيون في كتبه عند ترجمة الباب .

فما البهائيون أنفسهم فيكرونها ذلك ويقولون : لم يأت الباب مبشراً برسول ، وإنما منع الرسالة بعده مدة ألقى سنة عدد حروف (المستعاث) بالأبجدية .

قال في البيان : ه كل من ادعى أمراً قبل سنن المستعاث فهو مفتر كذاب افتره حيث تعمسوه .

وفي آخريات أيام كتاب ادعى الأتومية وسمى نفسه : الأعلى وبعضهم يقول همه الرب الأعلى وسمى نفسه القطة وسمى بها القطة التي تحت بهاء : باسم الله : لأن البهاء : للاستعانة بالله . ولا يمكن الاستعانة باسمه إلا بواسطته ، أما البهائية ففسروها على حسب مواهم وحموه القطة الفاصلة بين نبيه أمر محمد عليه الصلاة والسلام وظهور لغيره وهو (البهاء) .

بعد أن أعلن الباب دعوته وفتح بها جنم حوته عن استجابوا له ثمانية عشر سحاحم حروف آل ه حتى : لأن الحاه بالأحذية : ثمانية والبهاء : عشرة ووزعهم على البلاد ومن هؤلاء الشلا حسين الشيرازي الذي سماه باب الباب وهو أشدهم إخلاصاً في الدعوة ولعل إنه الحرك لما وأنها من فئاته ومنه اللا على جازفروشي الذي صوره القلوب ومنهم : ألا على البسطامي لم تابعهم بعد ذلك : زرين تاج بيت ملا صالح القرويني البرقاني التي كانت تسمى هند ولكني بأم منفي غلام ، ولحماها سميت زرين تاج يعني التاج الذهبي وسماها الباب (قره العين) وسماها بعد ذلك : الضاهرة وكان ما سوانف عظيمة في نشره البهية حتى نفتها الحكومة الإيرانية إلى العراق وحسبها الحكومة التركية في بيت الشهاب الألبوس فأقامت نحو شهرين ثم رجعت إلى إيران .

وهناك اشتدت دعواها وقويت عصبها وصار لها جيش نجب يخشى بأه ويرهب جانبه ، وأصبحت تمتد في الأرض إلى أن قصت عليها الحكومة بعد عدة مقومات فقتلت ، ثم أحرقت وكان ذلك في سنة ١٢٦٤ هـ ونفى الباب في دعوته هذه سبع سنين اجتهد بها وأتباعه في نشر مبدئيه وقتلوا دونه ، وتمكنت السطة منه ومن بعض أتباعه ونفسي أولياء الأمور في حبسهم وصبرهم وتغلبهم وتفتيحهم ، ولأني هو من الحجر والحس ما لال إلى كان غني إلى أذربيجان وفي يوم الثمن والعشرين من شعب سنة ١٢٦٦ هـ نفذ حكم الإعدام في الباب فقتل ربما بالرصاص في مدينة تبريز هو وأحد أتباعه وضربت حثامها عن حافة الخندق

وفي اليوم الثاني فقدت الجثمان فلم يرها أحد قبل أن للكلاب أكلتها وزعم البهائيون أن أتباع الباب سرقوا الجثة واخفوها زمنا طويلا داخل صنلوق في مصنع رحل ميلان إلى أن آمنوا فقلوها إلى حيفا بفلسطين ودفنها في سلع حل الكرمل في مدفن فخم هناك وفيل : إن الجثة المدفونة هي جثة مزعومة والله أعلم بالحقبة .

ماذا قال الباب في دعوته ؟

قال الباب : ه لعمري أول من سجد لي محمد ثم علي ثم الذين هم شهداء من بعده ثم أبواب الهدى أولئك الذين سبقوا إلى أمر ربهم وأولئك هم الثيرون وأن أول ذلك لأمر لو يوم القيامة - يعني قيامه دعوه - كل على الله يعرضون - يعرضون عليه - إن الذين عرضوا على وهم كانوا بالله وإياه مؤمنين فأولئك هم أصحاب الرضوان فد حزنهم في الكتاب بأحسن مما اكتسبت أيديهم وكذلك لجرى المصعبين ثم يقول فيه وإيا قد نزل من قبل أنه أنه لا إله إلا أنا إياي فائقون لتوفيق إن لم يكن أولا قبل ولا آخر بعدى ولا طاهر عبرى ولا يضا دولي ولا آية من عدى كذلك يحضر الله الله منكم أجمعين ولعمري إن أمر الله في حقى أعجب من أمر محمد رسول الله من قبل لو أنه فيه تفكرون ، قل له ربي في لعرب ثم من بعد أربعين سنة قد نزل الله عليه الآيات وجمعه رسوله إلى العالمين ، قل إلى ربي في الأعجمين ونزل على من بعد ما قد قضى من عمري خمس بعد عشرين سنة آتت التي كل عها يعبرون وقد جمعت الحكومة الإيرانية بعلماء الشيعة ومجتهديها فاقشوه ، وناطروه فم يقع واشتد عنادا ، وطفى ، ولما عابوا عليه عدم فصاحته قال : إن القرآن خالف فصاحة العرب وقال أيضا : إن الحروب والكلمات كانت قد عصت واقترفت خطيئة في الزمن الأول وعوقبت على خطيئتها بأن قدمت في سلاسل الإغراب ولما أن بعثنا جاءت رحمة للعالمين فقد حصل العفو عن جميع المذنبين والمخطئين حتى الحروف والكلمات فاطلقت من قيدتها تذهب إلى حيث شابت من وجوه اللحن .

وقرر الباب وأنصاره في مؤتمريهم الذي عقدوه في صحراء بورشت سنة ١٢٦٤ هـ نسخ الديانة الإسلامية لأن للباب الحمار المطلق في تغيير الأحكام وتبديلها لذا كان عليه أن يألى صلاة وصيام وحج وكان لقراءة المين في هذا المؤتمر لصوت الأعلى واللسان الأضون .

اتى محمد الله المجلد الرابع من كتابها (قصة باني) وبه المجلد الخامس بإذن الله تعالى .

عبد الحميد كشك

مخالفات الباب

وقد خالف الباب المسلمين في الأذان ، وفي الصيام ، وفي الأعياد ، وفي الموارث ، وأباح خمسة أيام من كل سنة جعلها أيام حرية بفعل الباب فيها ما يشاء بلا قيد ولا شرط !!

وبعد الحديث عن الباب نتحدث عن البهاء فما اسمه ؟

اسمه ميرزا حسين علي المازندراني البهائي وأبوه الميرزا عباس . ويسميه البهائيون ميرزا بوزرك ، ومعناه الميرزا الكبير وسمى كلمة ميرزا أمر زاده بالتركية و ابن الأمير بالعربية . وهي كلمة تركية الأصل بمعناها السلاطين الأتراك والعرس لمن يشرفونه .

وقد ولد البهاء ب طهران يوم الثلاثاء ٢٠ محرم سنة ١٢٢٣ هـ الموافق ١٢ نوفمبر ١٨١٧م أي أنه ولد قبل الباب بسنين .

يقول البهائيون :

« إن الباب لما علم يقرب أجله وأنه سيعدم جمع مخطوطاته وخاتمه ومقلمته ومصحفه في جمعة وأرسلها في صحبه ملا باقر ليلسها إلى الملا عبدالكريم نقزويني في مدينة قم ، ولما وصلت الأمانة إلى الملا عبدالكريم قال : انه مأمور بإصاغا إلى الميرزا حسين علي المازندراني ، وبسبب ذلك انتزع الميرزا حسين علي من كبار البهائيين مقام الرئاسة عليهم وسمى نفسه بهاء الله انتهى كلام البهائيين »

كيف ينسر البهائيون القرآن ؟

يعتمد البهائيون في تفسير القرآن الكريم على التضييل واتباع التشابه ابتغاء الفسنة ، وابتغاء تأويله كما يعتمدون على تحريف الكلم عن مواضعه ، ومن يستمع إلى تفسيرهم يعلم عدم اليقين أهم أهل أساس بلغة القرآن . أنهم لا يميزون بين حقيقة وأخبار ، إذ أن من القواعد اللغوية الثابتة أن اللفظ يعطى الحقيقة لا يتحول عن ذلك إلى غير إلا إذا تعذر الحقيقة مع وجود قرينة مأمنة من لاردة المعنى الأصل فمنعلا إذا قال الله تعالى ﴿ كتاب أنزلناه إليك لتفخرج أناس من الظلمات إلى النور ﴾

فهل يراد بالظلمات هنا ظلمات النبل ؟

وهل يراد بالنور نور البهار ؟

به الحقيقة ما متعلو : إذ ما فائدة من إحراج الناس من ظلمة الليل إلى نور النهار وهذه سنة الله في كونه ليست في حجة إلى إيمان رسول ، ﴿ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ﴾ ثم ما وظيفة الكتاب الذي أنزله الله على رسوله بالنسبة إلى ظلمة الليل ونور النهار ؟ إن هذا معنى معتبر ، وهو مراد الله إذن فليجأ إلى الجواز حيث تعلق المعنى الأصل .

وعند مراد بالظلمة صفة لشرك والضلال وشبهات ، ويراد بالنور نور التوحيد الحق والصدق ، وانجاز كأن نقول لها : سمعت أسدا يحط بالناس فليس المراد بالأسد هنا الحيوان المفترس فذلك معنى متعلق عندنا بغير إلى انجاز لمراد بالأسد الذي يختطف الرجل الشجاع لوجود قرينة مائة من إرادة المعنى الأصل وهكذا

أما لهابيون فقد استعملوا حقيقة في انجاز بغير قرينة مائة ، فمثلا نجدهم يفسرون البعث بعد الموت بإحياء النفوس عن طريق اعادة .

ويعبرون بغير الموت بأنها قدر العفة ومن ثم قد أنكروا البعث بعد الموت وإليك بعض التمدح من تفسيرهم لسفر آل كرم :

﴿ فقد ضلوا وأضلوا كانوا وضلوا عن سواء السبيل ﴾ ، فإن الله قد أنزل القرآن عربيا مبلا يفسر بغير العربية وفورعدها بقرينة .

تمديد من تفسيرهم

قوله تعالى :

﴿ وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون فربما هدى وربما حق عليهم الضلالة ﴾

بفسرها القوم :

بأنه متى انتهى دور رسولكم بعث رسول غيره ينقسمون إلى فريقين - كما انقسمت أمم رسولكم لا دعاكم - فريق استمع له وآمن بدعوته فاهتدى ، وفريق أعرض فحق عليه الضلالة ، فشقى .

فهم يفسرون قول الله تعالى .

﴿ كما بدأكم تعودون ﴾ ، ويتركون ما قبلها للمخالطة ، فهم والحال هذه يؤمنون ببعض الكتاب ، ويكفرون ببعض .

قوله تعالى :

﴿ وإما نزيك بعض الذي نعدهم أو نزيك فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون . ولكل أمة رسول ، فإذا جاء رسوهم قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون . ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين . قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ .

فسرها القوم :

بأن ذلك إشارة بنهاية أجل أمة محمد وأنه لما سئل عن ذلك قال : « إنما أنا بشر لا أعلم ولا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا وإنما لكل أمة أجل ونهاية » .

وهذا تناقض في قول الجماعة فإذا كان محمد هو الله كما يقولون - تعالى الله عن ذلك - في زعمه فكيف لا ينهم عن النهاية ؟

وكيف يقول :

﴿ لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مضى السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون ﴾

وأن قال كفار فربما : ﴿ مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك ل يكن معه ذخيرا . أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تبصرون إلا رجلا مسحورا ﴾ .

قائل له ربه : ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما أمركم إليه واحد ﴾ .

والجواب نموذج طهر فيه ضلالهم جليا في تحريف الحقائق والصورورة إلى الجبريات دون أن تكون هناك قرينة مائة من إرادة المعنى الأصل ودون أن تكون هناك علاقة بين حقيقة وانجاز فلا قرينة ولا علاقة .

قوله تعالى :

﴿ إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت وإذا الجبال سُويت وإذا العشار عطلت وإذا الوحوش حشرت وإذا البحار سجرت وإذا الفوس زوجت وإذا الموءودة سلت بأي ذنب قتلت وإذا الصلح نشرت وإذا السماء كشعت ﴾

فسروها :

كورت الشمس : أى ذهبت لمس أحكام دين محمد . ويفسرون دالما السماء والشمس بالدين أو العلم وأبدلت بأحكام وضعية ، وانتصر أخذك التوضي على السماوى الشرعى .

وتكثرت الحوم : والبحره هم الغنماء أى ضعف أمر عماء أمة محمد وصبرت الجبال ذلت ، وعدت فركبتها السارة ، وحرقتها القطار ، ولم يبق طريق صعب بها . وعظمت العشار وهى : الإبل واستدلت بالمراكب السرية والكهربائية . وحشرت الوحوش : الخدائن خيون وعرف الإنسان ما كان يفعل منها . وروحت النفوس : المهبوانية والسانية . وظهر منها حيوات ونباتات ذات مميزات وصفات لم تعرف من قبل .

وسجرت البحار : بما سار بها من مراكب نارية ، أو بما يبحر فيها من قنابل وضرايب . ونشرت الصحف ، ويصون بها خرائد وإعلانات .

وكشفت السماء : وعرف أنه ليس هناك حرم صلب . وبه هو لا نهاية أو أن مداه العلم احمى كمنطق . وهكذا حربوا نكمه عن مواضعه وأوجوهه بمر ما أزلت لأحبه .

دلت ترى أنهم حرفوا الكلم عن مواضعه بل حرفوه من بعد مواضعه واستعملوا الجهر فى الحقيقة دون أى علاقة بينهما ودون قرينة مائة من إرادة معنى لأصل وهذا هو أسلوب الذين قل الله فيهم :

﴿ فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه معه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ﴾ .

والآيات التى فسروها من الشمس والنجوم وغير ذلك لا تمت إلى ما قالوه بأدى سبب : لأنها وردت فى شأن القيامة . وإلا فمادام يقولون : الآيات التى حمى الله بها هذا المشهد ﴿ وإذا الجعيم سعرت ، وإذا الحلة أزلت علمت نفس ما أحضرت ﴾ .

سبحانك ربي هذا بهتان عظيم كبرت كلمة تخرج من قلوبهم إن يقولون إلا كذبا .

سورة آخر

سورة الجاثية :

﴿ ويوم تقوم الساعة يومئذ يمسر المبطلون وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون . هذا كتابنا ينطق عليكم باحق إننا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴾ .

وبما هو معلوم لديهم ان تلفظ الساعة فى القرآن الكريم يراد به البهاء عندهم فاعجب منى ، ما الصلة بين الساعة التى يراد بها القيامة ، والى قال الله فيها :

﴿ يسألوك عن الساعة أى الساعة أىان مرساها فم أنت من ذكرها إلى ذلك منتهاها إنما أنت صبور من يحشاها ، كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا غسقة أو ضحاها ﴾ .

وقال الله فيها : ﴿ وما يترك لك لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ﴾ .

فأى علاقة بين تلك الساعات وبين بهائم !!! سبحانه هذا بهتان عظيم !!! قالوا فى تفسير هذه الآيات (أى) الجاثيون : إذا قام البهاء خسر المبطلون الذين أعرضوا عنه ، وحكم بين البهاء وكل أمة كتابها المرسل به رسولا ، وقبل لهم هذا كتابا الذى يشاء مع رسولكم ينطق عليكم بصدق دعوى البهاء .

لماذا يقول الباطن فى قوله تعالى : ﴿ إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴾ .

أعرض عنها لأنها لا تقبله ولا يستطيع ما تأويله ، ولأنهم درجوا على الإيمان ببعض الكتاب والكفر بالمعنى الآخر ، فما وافق تأويله هواهم جازوا به ، وما كان صريحا تركوه .

قال أحدهم لأحد علماء المسلمين :

نحن نعظم محمدا أكثر منكم . قلت كيف ؟ قال : لو أن محمدا قال لى يا فلان ، لقلت لبيك اللهم لبيك قلت : أستغفر الله من ذلك .

قال : لأنه ينطق بلسان الله ولا ينطق عن الهوى ، فبده يد الله ولسانه لسان الله ، وأمره أمر الله ، ووجهه وجه الله ، فقلت وأنا أستغفر الله من ذلك وأقول اللهم ثبت قلبى على دينك ... وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنا إلهكم إله واحد ﴾ وصدق رسوله الكريم إذ يقول : ﴿ لا تطرونى كما أطرت النصارى المسيح بن مريم إنما أنا عبدالله ورسوله ، فقولوا عبدالله ورسوله ﴾ .

ومن تأويلهم الباطلة ما ذكروه فى هذه الآيات الكريمة : ﴿ الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان ﴾ .

قالوا : إن الرحمن علم القرآن محمدا وخلق الإنسان أى الباب وعلمه البيان بقصود بالبيان الكتاب الذى نسيه الباب إلى نفسه وأنه قد نزل عليه ، وعجبا لقولهم هنا !! اسم يتفقون أن الباب إل فمن الذى أنزل عليه الكتاب أنزله على نفسه !!

فانظر إلى أي مدى يتبادون في خلافه وبتأنيده ، إن عقيدتهم مجموعة من الشذوذه
والخشايهات والصلالات وهم يفتنونها بعباد إنسان ليكون كالشرك والمصادق والشدة
والكفايد .

إنما المصحح التي يقع فيها الصيد ، ونقص فيها على الصالحا .

فإذا مات ذلك الذي اسمه : عباس ، عدلناه عن الهباتة أجدت قتلا : لأن نكرو
بها يجب أن تحب العالم ، ولحب الإنسانية ونحيد في خدمتها ، ونعمل لمسالمة العالم وأخوة
العامة .

ولقد أجد الماحلون بالإسلام هذا يقول أحسن مأخذ ، ووضعوه في الدرجة حب
لأنهم ظنوا أن الهباتة جاءت بشيء جديد ، - رأه من اصبر حبه - ، ساك حبه مع الله
الحروب ونيز - اضع ، واخفيقة أن الهباتة - باتت بشيء جديد ، وأن ما جاء به سرفه من
الإسلام ، والإسلام منع الفضائل ومصدرها من قد جاء القرآن قبل ألف وأربعمائة سنة
ما هو خير من جاء به الهباتة وعنده عباس فقد في الله لنا في نقره .

﴿ ادخلوا في السلم كافة ﴾

﴿ واعصوا بحمل الله جبا ولا تفرقوا ﴾

﴿ ولا تازعوا فتشلوا وتذهب ويحكم ﴾

﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ﴾

ويجد مسلم دحوله المسعد بالإسلام ونعم صلاته أيها كمال بالإسلام ويقول من
الإسلام عليه السلام : لن ترضوا حتى تحبوا ، ويقول : لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه
ما يحب لنفسه .

ولكن مسلمين جهنوا بهم ونحو الدعة هنا الجهل عريضة لشرب صلاه وت
فسادهم من تشريعات الهباتة .

لم يفر الهباتة في كتابه المسمى لأقدس : لا يحرم ما حره القرآن من نكاح الأعمى
والهباتة لم يحرم أو إحداث وإتباع حرم الأبناء فقط فقد قد حرمت عبك
: ح أماتكم .

أما عن الميراث :

فقد تميزت حيث تميزت كاملا بأخذ من الشركة من كل مائة تسعة عشر لبيت العدل
والثاني يوزع على البن وأربعين سهما يعطى للأولاد منها ثمانية عشر يسوى له بين الذكر
والأنثى وللزوج أو الزوجة ستة سهام ونصف وللأب خمسة سهام ونصف وللأم أربعة سهام
ونصف وللأخوة ثلاثة سهام ونصف وللأخوات سهم ونصف وللعمات سهم ونصف .

أما عن دفن المولى :

فإن الميت يكفن بدون غسل في أنقى ملابسه البيضاء ويعمل في أصغه حاتم من
نخفيق ، ويوضع في صندوق من خشب أو حديد أو نحس أو بلور ، وأرکها عنده
ما أخذ من البلور لم يدفن في أهد عمق ممكن من الأرض وإن شق له في الصخر كان أبرك .
أما صلاة الخارة عندهم : فقد شرعها الباب وأنتها الهباتة في كتابه الأقدس .

يقول الهباتة :

قد نزلت في صلاة الميت سنة تكبرت من في منزل الآيات وتدى عنه علم الغراءة
له أن يقرأ ما نزل فيها بشير بلذات إلى ما كتبه الله في به بأن يكرر بعد كل تكبيرة تسع
عشرة مرة .

إنا كل لله عابدون بعد الأول

إنا كل لله ساجدون بعد الثاني

إنا كل لله قننون بعد الثالث

إنا كل لله ذاكرون بعد الرابع

إنا كل لله شاكرون بعد الخامس

إنا كل لله صابرون بعد السادس

ما الصلاة التي يصلونها :

فقد قال الهباتة : قد كتب عليكم الصلاة تسع ركعت في منزل الآيات حين التروا
ولي السكور والأصل وعقوبا عن عدة أخرى في كتاب به هو الأمر المختار .

ويسمى هذه الصلاة الصلاة الكبرى وهي مشروعة في كتبهم فما تلاوات خاصة
وركوع بلا سجود ، يصلها الإنسان مرة واحدة في اليوم ، بشرط أن يكون فارغ القلب
من جميع الشواغل ، وهناك صلاة وسطى وهي ركعة واحدة وحشة واحدة يصلها الإنسان

مع عجر ، وفي الظهر وبعد غروب الشمس ، يتوجه فيها شطر عكا وتشتغل هذه الصلاة على قيام وركوع وقنوت وتعمد ، وكلمات يقونها في تعظيم البهاء ، واتباع البهاء وكل صلواته لا يحود فيها .

وهناك صلاة صغرى سمى وأشباههم ممن تكفر شو عيهم وهي كنمات يقونها القائل مقبلا القلة التي هي قبر البهاء وتكون هذه الصلاة وقت الروال فقط

فانظر معي أهالك وحى رب على هذا البلاء بهذا تشريع !!! سبحانه ربنا من قلت : **﴿ أَمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾** ؟

فأنت ترى فيما قاله بهاء ما يدل دلالة قسوة على أن البهائية تخالف عبادات الإسلامية بعد مخالفتها للعقيدة حتى بعث بها خاتم الأنبياء **عليه السلام** فحق فيه قول الله تعالى :

﴿ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأَنَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْقَرُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ يُقْبَلَ تَوْبُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةٌ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ اقْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ .

أما عن عدد الشهور حتى قال الله فيها : **﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ ﴾** .

فإن البهاء يقول في كتبه **« الأقدس »** : إن عدة شهور السنة تسعة عشر شهر في كتب الله قد زين أولها بـ الاسم المهيمن على العالمين - يعنى اسم نفسه - وأسماء الشهور هي :

« بهاء ، جلال ، جبر ، عطمة ، نور ، رحمة ، كنمات ، كمال ، أسماء ، عزة ، متبنة ، عم ، قدرة ، قول ، سئل ، شرف ، صلوات ، مس ، علاه »

وكل شهر من هذه الشهور تسعة عشر يوما والخمسة الأيام الباقية يسميها بهم البهاء : وهي يوم راحة وحرية وزيارات وأنس .

وكذا غير حساب السنة وبدا أسماء الشهور حتى نكح يوم من أيام الأسوع اسم جسد فسمى الأحد و (حلال) والاثني بـ (حمل) والثلاثاء بـ (كحل) والأربعاء

بـ (فضل) والخميس بـ (عدال) والجمعة بـ (استجلال) والسبت بـ (استقلال) .

أما عن الحج فإنهم لا يحجون إلى « مكة » وإنما يحجون إلى « مدفن البهاء » وقد كتب عن الحج فقال : « قد حكم الله لمن استطاع منكم حج البيت - ويقصد به مدفنه في عكا - دون النساء عنا الله عنهن رحمة من عنده إنه هو المعطي الوهاب »

وهم مزاران مقدسان الأول في « شيراز » وهو مولد البهاء ، والثاني في « بغداد » وهو المكان الذي أذن فيه البهاء بضلاله .

أما عن عبادة الصيام فإنه تسعة عشر يوما كل عام تبدأ من الثاني من شهر مارس وتنتهى في العشرين . واليوم الحادى والعشرون من مارس هو يوم العيد ويكون موافقا ليوم « النيروز » .

ويقول في كيفية الصيام :

كنوا أنفسكم عن الأكل والشرب من الطلوع إلى الأغرل ، وإياكم أن يمنكم الهوى عن هذا الفضل الذى قدر في الكتاب . . .

فإن هذا الصيام من الصيام الذى شرعه الله تعالى وأمر به في قوله :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ لَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ .

من أى تشريع متماهى جاء البهاء بهذا الصيام **﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلَ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾** .

بعدما علمنا ما شرعه البهاء لأتباعه في العبادات تنتقل إلى ما شرعه في الحدود فقد حد الله تعالى لعباده حدودا حسب الجرائم فقلنا حده إما جلنا أو رجما وللسرقة حدهما وهو القطع وللزنا حده وهو ثمانون جلدة وكذلك حد الحمر .

وللحرابة حدها المين في قوله تعالى : **﴿ إِنْ جَاءَ الَّذِينَ يَحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ﴾** .

وللبغى حده المين في قوله تعالى : **﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتُلَا قَاتِلُوا قَاتِلَهُمَا فَإِنْ بَقِيَ أَحَدُهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّذِي بَقِيَ حَتَّى يَتَّقِيَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾** .

والردة حدها المين في قوله **﴿ مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ ﴾** .

كما البهاء فنه تشريع في الحمود تبع فيها هواه - عقل الله فيه عن ذكره ، وكان أمره فرطاً .

يقول في الزاني والزانية :

قد حكم الله لكل زان أو زانية دية مسلمة إلى بيت العدل . وهي تسعة مثقل من الذهب . وإن عاد مرة أخرى عودو بضعف الجزاء هنا ما حكم به مالك الأسما في الأول وفي الأخرى فبدر لها عذاب مهين

ومن هذه العبارة بهم أن نرحل إذا عاد بضعف عليه الحراء في الفرامة أو الضريبة والمرأة إن عدت بغير لها العذاب مهين .

حكمه في السارق : قد كسب على السارق الفضي والحسن وفي الثالث فاجعلوا في جبينه علامة يعرف بها لئلا تقبله مدن الله ودياره وإياكم أن تأخذكم الرافة في دين الله اعلموا ما أمرتم به .

حكمه في أن لا نجاسة أبد : لا في أنفسه وكسبته وضع الله حكمه دون الظهارة من كل شيء وعن مثل أخرى موهبة من الله إنه هو الفقور الكريم ، قد انصفت الأنبياء في بحر الطهارة في قول الرضوان إذ تجلب من من في الإمكان بأسمائنا الحسنی وصفاتنا العليا ، هذا من فصل في أحاط العالمين .

ثم عن الأسرة البهائية والروح وأحكامه فإن الله يحكم الرواح على من استطاع الزواج فيقول في كتابه المسمى الأقدس :

« قد كتب الله عليكم الكح إياكم أن تجاوزوا حد الأثين والذي النج بواحدة من الإماء سترحت نفسه ونفسها »

ويشترط لصحة الزواج عدسيتين وضاهة أفراد : الزوجين وأبوي الزوج وأبوي الزوجة . كما على قيد الحياة أو من كان منهم حياً ويعمد انهور فيجعلها للفرق والهدوى تسعة عشر مثقالاً من الفضة إلى خمسة أضعافها ، ويجعلها للمدلى تسعة عشر مثقالاً من الذهب إلى خمسة أضعافها .

ويقول في كتابه : والذي فسخ بالدرجة الأولى حرمه في الكتاب .

ومن كره صحبتها أو كرهت صحبته بغير قان سنة كاملة - يسمونها مرة الاضطراب - لعلهم - سيما فإن لم يتفقا فلا بأس من إيقاع الطلاق ولا يوقع الطلاق لغيره . الحفل الحفل .

وعدة الطلاق مدة الاضطراب وإن لم يتزوجا بعد الطلاق فللزوج حق استرجاع زوجته مهما طال الأجل ولكن بعد مراجعة الحفل .

أما عدة الوفاة فقد أوقفت مدتها إلى بيت العدل وإذا اختلفا في السفر من بلدما فعليه أن يعيدها إلى أهلها أو إلى بلدما وبعضها نفقة سنة كاملة وإذا سافر الزوج من بلده عنه أن يحدد أجل سفره وإذا تأخر عن الأجل عليه أن يخبرها بتأخره وإلا كان لها الحق أن تشكوه إلى الحفل .

لا جهاد في البهائية

ترتكز البهائية على ركيزة تدور حولها دائماً وتدعو لها ويحشد في سبيل دعوتها كل ما لديها من إمكانات وتلك الركيزة هي أنه لا جهاد ولا قتال وبهذا فإنها تدعو إلى الذل والهوان والاستكانة ، وهذا تنفي ركبا من أركان الإسلام ، وتلغي فريضة محكمة من فريضته انتشرت في صول القرآن الكريم وعرضه في إن الله اشعري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الحجة فيقتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والفرقان ومن أولى بعهده من الله فاستبشروا بحكم الذي يابعم به وذلك هو الفوز العظيم .

لقد شرع الله تعالى الجهاد لنشر دعوة الإسلام والدفاع عن شخصيته والذود عن حياضه من غري قوم في عقر دارهم إلا سخرت عنهم الذلة ومن مات ولم يقر أولم يحدث نفسه بغزو مات ميتة جاهلية واشهاد يوم يقتل بمنزله بأول قطرة من دمه كل ذنب ويرى مكانه في الحجة وبقي الله فيه النصر ويشفع لسبعين من أهله ويزوج بالثنتين وسبعين حورية وبالله الله ناه الوفاق أقل بالثمة فيه خبر من الدنيا وما فيها ولا تحسن الذين قبلوا في سبيل الله أموالا بل أحياء عدوهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضلهم ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين .

والناس إن ظلموا البرهان واعتسفوا

فالغرب أجدى على الدنيا من السلب

فالشر إن تنقه ياخير ضقت به

ذرعاً وإن تلقه بالشر ينحسم

قالوا هروا ورسلى الله ما بعثوا

بقتل نفس ولا جادوا بسفك دم

جهن وتضلّل أفهام ومنهضه

غزوت بالسيف بعد الغزو بالقلم

ثم ماذا يكون موقف المسلمين إذا اعتدى عليهم العدو كما هو واقع الآن في شتى بقاع الأرض على أرض أفغانستان و « لبنان » والدول العربية المجاورة لإسرائيل ، وكما هو حادث في « أرمينيا » و « الصومال » وعلى أرض « السودان » ماذا يقول البهايون الذين يحكمون بالإعدام على الجهاد مع تنفيذ الحكم .

أهضرب المسلمون بالطيران والصواريخ والقنابل بر وبحرا وجوا ثم يقولون للمعتدى وعليكم السلام اهضرب ماشئت ، واقتل من شئت فإننا سنرد عليك بالسلام .

أهنا عقل أو ذاك منطق ؟

وماذا يقول السفهاء من الناس أمام هذه البهيات العقلية ؟

أمن العدل أنهم يردون الـ ماء صموا وأن يكبر وردى
أمن الحق أنهم يطلقون الـ أسد مهم وأن تفيد أمدى
نضر الله . لي فأرشد أبنا في فئسوا إلى العلا أى شد

إن القوة الفاشية لا علاج لها إلا قوة تمسها فتكل عمل رد فعل مساوٍ له في المقدار مضاد له في الاتجاه وما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة إن حاقبة للمعتدين ولا عدوان إلا على الظالمين وما استعمل الإسلام السيف إلا للقضاء على السيف وجل جلال الله إذ يقول :

﴿ فَإِنْ قَاتَلَكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عَدَاوَةَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾

وما أعظم قوله جل شأنه :

﴿ لِمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾ .

هذا هو المطق الذي تنادى به الفطر السليمة والألباب الحكيمة .

عقائد البهايين

تخفف عقائدهم عن العقيدة الإسلامية الصحيحة كل الاختلاف ؛ ذلك لأن لإيمان عدهم غير ما عدا أهل الملة التي بعث بها خاتم الأنبياء والمرسلين ونزل بها الروح الأمين وحدها بها القرآن الكريم .

فلما اختلفت العبادات بيننا وبينهم من صلاة وزكاة وصيام وحج اختلفت العقائد كذلك بحيث أصبح الإسلام والبهائية تقيضين لا يجتمعان وضدين لا يلتقيان، إن الأمين جبريل لما سأل الرسول ﷺ عن الإيمان قال له الصادق المصنوع: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وأن تؤمن بالقدر خيره وشره . فما هو تصور البهايين في الإيمان بهذه العقائد ؟ وماذا يقولون فيها ؟

١ - يزعم البهايون : أن البهاء رب الأرباب وسيد مظاهر ، وعالم محيط همه بكل شيء وأنه هو الله .

قال عبدالبهاء عن أبيه « تجل رب الأرباب والمجرمون حسرون وهو الذي نشأ نكم البشرية الأخرى وأقام لطامة الكبرى وحشر نفوس المقدسة في الملكوت الأعلى »

وكتب البهاء عن نفسه :

يا أهل النفاق قد ظهر من لا يعزب عن علمه شيء .

وقال أيضا عن نفسه « لا يرى في هيكل إلا هيكل الله ، ولا في جمال إلا جلته ولا في كبوتى إلا كينونته ولا في ذاتي إلا ذاته قل لم يكن في نفسي إلا الحق ولا يرى في ذاته إلا الله .

٢ - توجيه العبادة إلى مظهر الأمر الذي هو النبي أو الرسول وأن الله يتجلى فيه ، كما تجلى الشمس في المرأة ، ويخاطب بما يخاطب به الله .

٣ - لا معجزات للأنبياء وما داموا يؤمنون بأن الأنبياء هم آله وأنهم مظاهر أمر الله فلا حاجة للمعجزات .

يقولون في معجزات موسى « العصا - هي عصا الأمر - » .

واخية « هي ثعبان القدرة » واليد البيضاء هي بيضاء المعرفة .

ويقولون في معجزات عيسى إنه أبرأ لأكمه والأبرص ويعنون بالأكمه الجاهل والمردود بالعلم والأبرص يعنى « الضال » وإبرأؤه بإفداية .

وأولوا إحياء أرواح أسبداً متى بنعيم الجنان .

٤ - لا انقطاع لأرواح وقد كتب اليه في سنة سبعة م معه إن هؤلاء العباد لا يقولون باستحالة ظهور مظاهر لأحدية وتوالت ذللاً في يد قوتي فيه وبين قوته يقولون يدته مقلوبه ؟!

ويقولون : إن أقول : فضع روحى بعد عيسى بن مسمى منى منى .

٥ - لا بعث هذه الأحياء وإنما هي لأرواح فقط فكيف من مات فمات قبائمه وهو إن يبعث أو لا يبعث والعدل بيني وبينهم دائم أبدي .

٦ - خيانة كبرى فبما س... والله دور سى من فقه . فقه الله . وهؤلاء

٧ - ثلاثمائة وهم قوه عشوا صديق فرسى عده . معه ففرب أرواحهم إليه وصدهم شيطان وشيطان إله . معه خيبة . والله ح... فيه حيويت حيث لا تعرف لأعبر . فنعلمهم بقصودهم بديت حوائجهم

٨ - بس هناك وصل من ثلاثمائة تروى على الله أو يرسل ويكره أن يحرير من على عيسى عليه الصلاة والسلام . ويقولون : ورد في القرآن : فقول به الروح الأمين : أو قل نزل روح القدس .

وهو الله نزل على محمد فخلق محمد بالقرآن وكلمته في السماء . معنى ذلك

إن هذا النبي يطلع بلسان الله أو أن أوحى هو الله !! فسمع الله من بكهم وضلالهم ويعود بالله من عقابهم .

٩ - ويعتقدون أن الله في الأرض بينين :

أولاً في شوارع وهو الذي أعلن فيه لياق دعوته . وثانياً في عسده . وهو الذي أعلن فيه نيه دعوته . وكلامها بعد أن ينسى . ويقول : الله في كده .

ورفض لينين في المقامين . وثالثاً في ستر مبه غرض بكه رحمة - يعنى ليوث غنى رب فيها أو سجن فيها .

كلمت بأمركم مولى العارفين : كما أن غمركم شريكت لأرض عما أمرهم من لدن قوى أمير . وقد منحت البهايون المصحى لدى سجن فيه - - - - - في صبر . - - - - - بسكو بيت عسده وغيره .

١٠ - ويعتقدون في أن الله واحد أحد وليس له شريك في العصمة ولا في عظم

لشأن يقول اليه في نفسه : ليس لمضع الأمر شريك في العصمة الكبرى إنه يظهر . يفعل ما يشاء في سكرت الإنسان قد حص الله هذا المقاد نفسه وما قدر لأحد نصيب من هذا الشأن لعظم المنع .

١١ - إن اليه إنه وقد صرح هو نفسه في كتابه بقوله : يا ملائكة الإنشاء اسمعوا نداءه ما لك الأسماء إنه يبدىكم من شطر سجنه الأعظم .

إنه لا إله إلا أن المقنن لشكر تسخر شعل العظم الحكيم .

وكتب لي أحد المتقربين من أول الأمر هذه بعبارة لما رأى مصعب الأقرانه وخز علاته ومسحلاً بعض كلمته

قول : . وفي الحب عرفت إلى ساحة قدس مولانا محبوب حفرة ولي أمر الله كل ما شهدته فيكم للإحلام ولا تجذب في سبيل خدمة ربنا النبي الأبي .

ونحنيت من - حنة قدسية لكم كفى تضيء وإبهاك ثيبداته الإقية ولا شك في أن حضرتكم بعدة حفرة حول فقه - يعنى الله - جل جلاله سوف تتأتون بفقرانه لاهرة والانصرفت حفرة في سبيل خدمة أمير محبوب الأبي وذلك بفضلته ومنه وعبدته . . . الخ

أيام بقدسها البهايون

للبهايون تسعة أيام بقدسيتها ويحرمون العمل فيها وهذه الأيام هي :

ليوم الأول . وليوم الثاني . من شهر الله المحرم (ميلاد الباب واليهاء) .

ليوم الخامس : من جمادى الأولى (بعثة لياق) وأعوذ بالله من قوفه . وأقول يا يوم فتراته اليوم خدنى والعشرون : من شهر مارس (عيد الفطر أو يوم النيروز وما يندى له جبين الحده حلالا . ويتفاضر له الوجه عرقاً من شدة ما فيه من أسى أن اتخذت بعض الشعوب الإسلامية هذا اليوم عيداً سموه عيد الأم أو أصبح الاحتفال به أكثر من الاحتفال بعيد الفطر . وعيد الأضحى وهل للأمام عيد ؟ وهل لإكرامها وقت محدود ؟ إن مما يدعو للأسف أن ترى مسلمين يقدمون هدايااً لأمهاتهم مستجيبين في ذلك لدعوة نادى به أحد الصحفيين وجعل هذا اليوم بالذات يوم يحتفل فيه بالأم وهو في حقيقة ليس حدثلاً إنه هو يوم الأحرار يوم أحزان الذين فقدوا أمهاتهم .

سبحانك يا أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ؟

وعجا هؤلاء القوم يختلفون بأنه يوم . ويعقوب ويعقوب رحمه الله

لهم أربا حل حقا وارزقا الله

وأن الباطل باطلا وارزقا الله

بقوم اسمو سبل المصلحين ، ولا تنمو سبل المفسدين ، ولا تنمو أهواء قوه قد
ضلوا من قبل وأصوا كثيرا وضلوا من سواء السبيل

ومن لأهه شعبة التي يقصدون يوم حدى وحشرون . من شهر إبريل : (دعوة
البهاء أو أخته) هروءه على الله

وكانت يوم التاسع والعشرون من إبريل : تبع أيام سنة المفردة .

٢ مايو : إعلان الدعوة وحده به رسول

٢٥ مايو : موت البهاء .

وجوه من والعشرون من شهر شعب : موت الباب

سبحانك يا أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ؟
ولم يوح إليه شيء ومن قال سأزل من ما أنزل الله ولو ترى يد الطائون في غمرات البيت
والملائكة يسطو أيديهم أخرجوا ألسنكم اليه تحزون عذاب افون بما كنتم تقولون على من
غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ولقد جئتمونا فرادى كما جئناكم أول مرة ولكنكم ماحولاء
وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاء الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد ت قطع بينكم وصل
عنكم ما كنتم تزعمون ؟

فقد تبن - ما افتراه البهائيون من أنه وما ابتدعوه من كتب وحملوا في غدوا من دون
الله الباب ولهم . وسعدوا اليها ما لا يحصى أحد . لا بالله وأولوا . ت نقرآن تأويلا باطلا حرج
بها مديهم عن مرد الله .

و كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا ؟

ويعر وحى ونفوس الله إذ يقول : فما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب واخبره
والسورة ثم يقول ناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون
الكتاب وما كنتم تدورون ولا يأمر أن تنحدوا الملائكة والذين أربابا يأمرهم بالكفر بعد
إذا آمن مستنون ؟

ولهم يا نشهدك ونشهد ملائكتك وأحمة عرشك وجميع خلقك أنك أنت الله
. حدث لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك رضا بالله ربا وبالاسلام دينا
والمحمد ﷺ نبي ورسولا .

عليه حب وعينه موت وفي سبيله حاضد وغلبها معنى الله .

وبعد : بهذه كلمة به حقائق تاريخية . لقد امتدت الفتوحات الإسلامية في الشرق
و الحرب وسد عبوده عن فارس ونزوه فودع الروم حروبه حرب وفيها اليهود وفقدوا
سبيلهم فروى عن لأموى ودلت دولة الفرس وحدثت بران الفجوس ، وانجحت ضمة

فحدثت أخبار حرد وكثير الفرس وروء لروال غريب وقامت منهم عراقى أو جمعيات
مخارج

و أول هذه جمعيات تبت من قبل عمر بن الخطاب وصلى الله عليه . ثم تبت التي
تسمت - ر - سنة بعدة اخرى ففتت من عهد ، رضى الله عنه ، وقررت لتسمين من فتن
مستقبل من تبت من على

و تكثرت من جمعيات حربية هدمت تظهر حب وتختفى حبا حرا ، وتجدد
عصر . وبعد لاحده مختلف لاجله ، ويختلف جهات فدية تادى باسم دين . وثيرة -
حلاقة وليس يكن حدة يوم . وهدف واحد هو أنهم يريدون أن ينفصلوا عن الإسلام .
والله يفتي لأن يدوروا ، وأقصه مهد هذه الجمعيات كانت فارس ، وفارس مله به حاد وبه
في كل عصر من مملوك حديد لأن فارس بعيدة عن مركز الخلافة ومهادها واسع واقاربهم
كثيرة وأهمها أتباع كل مذهب .

وأخير وليس بأخر يظهر من شرور دخل اسمه على محمد يدعى السنة في السلافة
السوية الضاهرة وما أكلر الدعين منهم إليها في كل عصر ول كل قطر !!

فقد هذا حال منس بالله وأله : باب مدينة العلم ثم ادعى اهموية مسئولا
حدثت (مذهب من غترى) ثم ادعى السوة أو الرسالة ثم الأتوية . فهل صدق في واحدة
منه ؟ لا تلت أن من كذب في واحدة فهو في الجميع كاذب ثم يقتل بحكمهم بكفره !!

وتم سفره في كنه أن من ادعى الرسالة قبل مرور ألفى عام فهو كاذب وفنوه وروء
مجال - في بعد مرور ثنى عشر عاما يدعى الرسالة بعد أن ادعى خلافة سبه ويدعى أن
سبه حه مشر به . وأنه - سنة به - كيجي نفس به ثم بعد قليل يدعى لأتوية لكن
حتى ويعنى فلا : إلهه عدل به فيحى كان مبهمة به ويعنى قد غفوه !

﴿ اعبدوا الله ربي وربكم ﴾ وقال لربه : ﴿ سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ما قلت لهم إلا ما أمرني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتي كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد ﴾

أما الباب وأما البهاء فقد امرنا الناس بعبادتهما والبهاء خاصة أمر الناس أن يتوجهوا له بالدعاء وأن يخصوه بالعبادة ، ووصف نفسه بأوصاف الله الكريمة وسماها بأسماء الله الحسنى وأمر أتباعه أن يولوا وجوههم شطره في صلاتهم وقال : إنه على كل شيء قدير .

ولكن العجب لأولئك الطعام الذين اتبعوه وأقروا بربوبيته مع أنهم يرون عجزه عن خلاصهم وخلاص نفسه من التعذيب ونشريد والإهانة والضرب والسجن وإلا فما قيمة إنه لا يدفع عن نفسه أي عبادة ولا يملك القدرة على حماية نفسه ؟

أرب يسول التعليل برأسه
فقد دل من بيت عليه شعائب ؟
سوك ربا كان يسع منه
ولا حير في رب بأنه المظالم
برئت من الأصنام ودرس كتبها
ومث بالله لدى هو غلب

ونقد بالغ البهاء وعبدته في تزويق بهائيتها وطليلها بالدخان الخادع وتويعا الأردية فهي مع المسلم برداء ومع اليهودي برداء بينا لها مع المسيحي والبوذي والمجوسي أردية أخرى متباينة .

وهكذا فيها مع كل غلطة وجه ومع كل دين مقابلة ، إنها مبدأ تشكيك تستعمل جهل الجاهل يدينه ، فتفتح له باب التأويل . وللتأويل عند العامة مكانة ، لأنهم أخطأوا انهم بأن القرن نزل عربيا غير ذي عوج وفسروا قول الله تعالى : ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ﴾ فوصلوا الآية وقطعوا عند قوله تعالى : ﴿ الراسخون في العلم ﴾ وجعلوا راسخين في العلم : شركاء مع الله في علمه .

أما أولئك الذين يلوون ألسنتهم بكتاب فقالوا على الله الكذب واتبعوا ما تشابه من التنزيل ووثقوا ابتغاء الفتنة فقلوبوا الخفايا وحدثوا الجاهلين وضلوا وأضلو .

وبعد : فقد قدمنا للتقارير الكريمة مداه نظري عن البهائية وقد تبين أنها مذهب خطير على الإسلام والمسلمين يبدد قوتهم ويترق جمعهم ، فليحذر المسلمون عاقبة اتباع هؤلاء

مفسدين ، إن الله لا يصلح عمل المفسدين ، إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

قال عليه السلام ستكون فنن . قال على رضى الله عنه : فما اخرج منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله .

لقد كان لنا مع البهائيين في سجن أي زجبل صولات وجولات قضيا فيها نيبالي ذوات تعدد من بعد العشاء إلى أن ينشق عمود الفجر ، وكان الصبر دائما للمسلمين ، لأن الإسلام حق .

وكان الذين يتصدون للدفاع عن البهائية من أقوامهم فكرا وأرجحهم عفلا ، ولكن حق أقوى وأقوم قولا ، وأهدى سبيلا والباطل يُلجج كالزبد يذهب جفاء وأما مبيع الناس فيمكث في الأرض ، لقد جادلناهم بالحكمة والموعظة الحسنة معهم يتقون ، ويحدث هم ذكرا ، ونكهم دخلوا الحلبة بأفكار مسبقة كان من الصعب عليهم أن يترجحوها عنها ، والباطل هو الباطل يظل يعربد في عرصات الدنيا إلى أن يتصدى له الحق فيدمعه فيذ هو رهن !!

الافراج عن البهائيين :

سقطت ذات صباح في سجن أي زجبل فسمعت من يترق باب مزينة فإذا هو رئيس البهائيين ونادى علي في شحاتة ظاهرة وحقد دفين وقال يا شيخ كشكش قد أفرج عنا اليوم ، ثم قال بلهجته العامية « وخشى القرآن بضعكم » وكان هذه الكلمة أم يسع على النفس لأن الشحاتة تورث النفس لوعة ولكن سرعان ما عادت النفس إلى أصولها الأصينة ومذمعتها لصابية في قوله تعالى : ﴿ واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون . إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ .

وناديت عليه قبل أن ينصرف وقلت له : إني ناصحك بنصيحة قبل أن تعذر السجن فقد لا تنقذ . قال : فم تصحنا ؟ قلت له : أسلم تسلم ، والرجوع للحق فضية ، فقد قمنا عليكم لحقة ، وقطعنا عليكم العاذير بسبب الجلسات التي دريسا الحور نسمى فيها . ولكنه لم يجر جوابا ، وانصرف وأنى واستكبر وكان من الكافرين ، وعشش الشيطان في رأسه وباض فيها الإلحاد ، وأفرخ الزندقة ، ثم ذهب إلى أهله يتمشى فرحا بالإفراج من سجن صغير إلى سجن كبير ، وقد يعقبه سجن أليم وشديد في زنازين القبور . وبعد يومين من الإفراج عنهم إذ بضابط السجن يأتيه بجريدة الأهرام ويقول لي : أنذكر ولانا البهائي سري أفرج عنه منذ قتي ؟ قلت : نعم . قال : لقد مات أمس وهذا تعبه .

مسرعين إلى العنابر ، كما أنه وثى مدبراً إلى مكاتب الإدارة بنى نفسه ماء المطر . وبعد قليل صنعت الشمس وصفا الجو ، وعدنا إلى الاستماع وعده نجف على المضفة وقبل أن يتحدث انفتحت أبواب السماء بماء منهج وانفض الجمع وهرون الدكتور مسرعاً إلى مبنى المكاتب وبعد قليل صنعت الشمس وعدنا للمرة الثالثة وما أن وقف السيد الدكتور حتى غضبت السماء هذه المرة غضبة لم تسمح له بالعودة إلى الحديث فقد ظلت تمطر كأنها ترى خال المسموم وما وصوا إليه . لقد كان هذا الدكتور من قوم موسى فيبقى عبيهم . لقد أمروه أن يحاضر فعز على نفسه ألا يحاضر عندما غضبت السماء ، وإن كان يمشي شيئاً من غضبة الله نعم أن حور محاضرة تلقى علينا أن يقول للذين أرسلوه لضم مرتعه وخيمه ، والظلم لا بدوم ، وإذا دم دمر ونقرأ عليهم قوله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون ﴾ وذكرهم بالحديث القدسي : يا عبادي لقد حرمت انظم عن نفسي وجعلته محرماً بكم فلا تضموه ويقول رسول الله ﷺ : اتق دعوة المظلوم فبى بيتنا وبين الله حجاب .

لا تظلمن إذا ما كنت مظلوماً فالظلم ترجع عفاه إلى الله
تاه عبك والمظلوم منه يدعو عليك وعين الله لم تـ

موقف حرج

ردوا أن يضعوني في موقف حرج فطلبوا مني أن أقوم بإلقاء كلمة على الإخوة المعتقلين . وخفيته أنني قضيت تلك الليلة التي وصلى فيها هذا الأمر ، قضيتها مؤثمة مسهداً وتذكرت قول الإمام ابن الجوزي رضي الله عنه : « إن لأقصى سيل أتقلب في فراشي بخنا عن كلمة أَرْضِي بها السلطان ولا أغضب به الله فلا أجد » . وتذكرت للإمام ابن الجوزي موقفاً من المواقف التي بلغت من الخرج أنصفه فقد خطب الجمعة في مسجد به سنة وشيعة ، فاشته أحد الخصمين على الملائكة يريد إخرجه فقال له : أيهما أفضل عند رسول الله (ص) : أن يوبكر أم علي ؟ وعلم الإمام أن صاحب هذا سؤال ما أراد بسؤله هذا إلا ابتغاء غشوة ، والفتنة قائمة لعن الله من أبقضاها ، فأهمله به حجة أدق من ميزن لدهف فقال : فصيها عند رسول الله ﷺ من كانت بهتة تخته . كلمة من نور فيت أي بكر تفت رسول الله . وبنت رسول الله تحت عنى وقد سألت الله أن يحيى من تحت الشدة التي يرد بها الفتنة . وما ابتلى المؤمنون بقدر ما بشنوا بالسجون . وأمسى الله تعالى من فضه أن أتحدث عن لئله والدواء ، فأشخصي بلاء وأصف الدواء . فتحدثت عن عوامل سوء . ومعافاة هذه . ولزدت بذلك بلاء الأمم وهدمها ، فلحقت غم من البناء في عقيدة راسخة ، ومعويات . به لغة من لغة صادية . وفدرة صالحة . وأسبغ على صبيح . وحقق عوامل هذه في ضعف الوارع الديني . فتصمح الأخلاق . بالحسن الاجتماعي . وحملت به

على أن تجاني من شباكهم التي نصبوها وعلى أن ألفتني ان مول . حتى دون أن أسمع للأخبرين أن يتسلقوا على كفتي .

يوم الإفراج

الليل مهما طال فلا بد من ضلوع فجر والله تعالى في كل نفي مائة ألف فرج ، والله غيب السماوات والأرض وإليه يرجع الأمر كله ، فاعده وتوكل عليه وما بك بغافل عما تعمسون فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً . وإن يغلب عسر يسرين .

استيقظت صبيحة يوم السبت الثلاثين من شهر مارس ١٩٦٨ . وقد طالعتنا صحف صباح أن الزعيم الأوحدي سيلقى بيما مساء هذا اليوم . وبينما أنا أجلس مع بعض الإخوة نضع نصصف . وقد أرسلت الشمس شعة هادئة إذا لي أسمع اسمي في مكبر الصوت فذهبت إلى مكتب الإدارة ، فقالوا لي : أحضر أمتعتك . ولم أسأل : لماذا ؟ أفقد شيئاً السؤال ، وأحدثني أحد المستوب في الأمن ، حيث تركبنا سيارة خاصة وكما ثلاثة : السائق والحارس وأنا ، وساد نصصت العميق فقم يتكلم أحد ما بكلمة ، وأخذت الأفكار تداعب عقلي ، إلى أين ؟ هذا مرج ؟ بر كان ذلك كذلك سمعت كلمة مبهمة يد صد يكوب ؟ هو ذهب . إن نحن شعة متحف في قضية كشتير حديث ؟ هو ذهب . إن نحن في رجل مرة أخرى حيث نخرج . إن نحن غير مسمى ؟ كى هذه وأفكر وسيرة تصوي لأرض تحت عجلاته . إن نحن وقفت هنا في مكان لا أعرفه ورأيت بعض أفراد يقتحمون باب السيارة ويحسمون على لأتمة وقد وضع أحدهم ذراعه في ذراعي وقادني إلى داخل المبنى وقد اعتدت أنني إذا دخلت في مكان مجهول أعلم أن الداخل فيه مفقود والخارج منه مولود . اعتدت أن أردد هذا الدعاء .. يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث . ومسى بعضهم في أدنى قنلا : أبشر فإنه إفراج ولكنك تنتظر في هذا المبنى قبلا تقابلة تم بينت وبين مدير المباحث . وبعد برهة تم اللقاء ، وإذا به يلقى على عاصفة في بصولة الزعيم المنهزم ، وأن العرب لم يكن هم أي وز في العالم لولا جمال عبدالكصير هو الذي رفع سمعة العالم العربي وحمل من حرب أمة يحسب ها العالم أنف حساب .

أوبهته الله ويشهد رسونه أن قائل هذا الكلام قد لا يؤمن به فما جاء جمال عبدالكصير إلا ليحقق ثلاثة أهداف : أوخ القضاء على الإسلام ، وثانيها تعزيز الصف العربي ، وثالثها تثبيت مكانة إسرائيل في المنطقة .. ولما فقد هذا اعطط المرسوم له قال له أسياده : لقد بخت الرسالة وأديت الأمانة فمت . فأخرجوه له شهادة الوفاة في الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ وشيعوا جنازته الرسمية في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ حيث أدرج في أكتاف القدر . وما أن نهي حسن صنعت من إنقاء محاضراته حتى شعرت كأنني وضعت عن كاهلي جبلاً ثقيلاً . وما أذن

لى بالانصراف، ظننت أنني سأصرف إلى بيتي، ولكن قيل لي: إنك ستنتظر حتى الساعة السادسة مساء لمقابلة تم بينك وبين السيد الوزير، ومرت الدقائق كأنها شهر والساعات كأنها دهر، واقرب الوعد المضروب بيننا، والتقيت به في مكبته وأنا أسأل الله العافية. ولقد مد الرجل يده وبها عشرون جنباً وقال لي: خذ هذه القود البسيطة واستعن بها في نفقة أولادك فسألته: وبأى وجه أستحقها؟ إن كانت على سبيل الصدقة فست فقيراً، فأرجو أن تعافيني من هذا الحرج. وألح في الأخذ وألححت في الرد وعافاني الله منها، فزح بحريرين بغربالين وحفر بخريرين بإبرتين وغسل عبيدين أسودين حتى يصيرا كأبيضين، وكس أرض الحجاز في يوم شديد الهواء برشنتين خير لي أن أقف على باب غير باب الله بضيع فيه ماء عيني.

وانتهت الزيارة وانصرفت حيث كان بصحبتى أحد الضباط وتوجهنا إلى المنزل بعد غيبة استمرت حولين كاملين، وطرقت باب المنزل وكانت الزيارة مفاجئة للأهل، أما الأم فقد انعقد لديها من الفرحه فلم تستطع الكلام وأما الإخوة فقد فاضت من أعينهم دموع الفرحه، وصنبت لله ركعتين، وقت: الحمد لله على جزيل نعمه فقد أحسن لي إذا أخرجني من نسجني يا فاطر السموات والأرض، أنت ولي في الدين والآخرة توفني مسلماً وألحقني بعديين.

وفود الناس تأتي للتهنة

ضنت شهراً أستقبل وفوداً من الناس يأتون مهتئين جمعت بيننا محبة الله في الرحاب الطاهرة والبقيع المقدسة، في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار.

إن هؤلاء الذين جاءوا مهتئين قد غلت قلوبهم من ثرية والسمة والفاق، فنحن لم نتعارف على منتم أو منصب أو منفعة. فلو كان ما يجمع شيئاً من هذه الأعراض الزائلة لكانت صدقة وعجبتنا ومعرضنا زائلة. لكن الذي كان يربط بيننا نيت من ذلك وأوسع. إنها أخية في الله تعالى في: وألف بين قلوبهم. لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم.

إن علاقة السياسيين الذين تربطهم الوصولية علاقة لا أساس لها ولا جذور. بل إنها سرعان ما تقلب إلى عدااء سافر ولا تنسى ما كان بين مصطفى النحاس ومكرم عبيد أو ما كان بين عبدالناصر وعبدالحكيم عامر.. لكن أصحاب العقائد تقوى صداقتهم على

من الأيام لأنهم كلما ازدادوا من الله قرباً ازدادت قلوبهم مودة وحبا. إنهم على منابر من نور على يمين الرحمن وكلتا يديه يمين. إنهم تحابوا في الله لغزو منفعة أو دنيا. فوالله إنهم لنور، وإن وجوههم لنور لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يفزعون إذا فزع الناس. ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم.

هؤلاء هم الذين قال الله تعالى في حقهم في حديثه القدسي: «وجبت محبة للمتحابين في»، المتباذلين في، المتجالسين في». إنهم الذين قال فيهم الصادق المنصوم عليه السلام: «سبعة يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله». وذكر منهم: «... رجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وافترقا عليه». وذكر منهم: «ورجل قلبه معلق بالمساجد» فما بال هؤلاء وهم أوتاد المساجد حلساً لهم الملائكة إن غابوا افتقدوهم فإن كانوا مرضى عادوهم وإن كانوا في شدة دعوا الله لهم..

ليس من العسير أن نقيم المصانع ونشيد ناضحات السحاب، ونبنى البوارح، وننشئ الجوارى في البحر كالأعلام، ونصنع أساطيل الطائرات، ولكن من الصعب أن نبني النفوس على العقيدة الراسخة، والمعويات العالية والقدوة الصالحة، وقوة الوزع الديني، لذا قال: «سنارد نيكسون» عندما تولى حكم الولايات المتحدة: «إن الولايات المتحدة لا تعاقب أزمة مادية إنما تعاقب أزمة روحية». لقد وجدنا أنفسنا أغنياء في السلع نكسا فقراء في الروح. نصل في قرب عصم إلى القمر، ونسقط في حلاف حاد على الأرض.

إن اجتمع الإيمان قد حدد الله معانيه في قوله: «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيئون الله ورسوله أولئك هم مجتمعهم الله إن الله عزيز حكيم».

واقعة عجيبة !!

فدما قالوا: «إن من شر المصائب ما يضحك». فقد زلزلني أخ كريم هو عندى ثقة صدوق وسأنى أثناء زيارته: في أى سجن كنت في اليوم الثاني وتشرين من فبراير عام ١٩٦٨؟ قلت له: كنت في سجن طرة. ثم سأله: ماذا تسأل هذا السؤال؟ فقلت: أظننت قد عنمت أنه في هذا اليوم قامت مظاهرات صاخبة وعيفة من طلبة الجامعات: قلت له: عنمت ذلك من الصحف. فقال: لقد كنت أحضر مؤتمراً انعقد في هذا اليوم وقام فيه أحد كبار المسؤولين خطيباً، وكان ذلك المؤتمر في أحد مقار الاتحاد الاشتراكي وكان المتحدث يعمل وزيراً لمجموعات، قال في خطابه: إن الشيخ كشتك كان وراء المظاهرات التي قامت

في جامعة عين شمس . فسأله : من أتياك هنا ؟ قال : رأيته يمشي يقود سيارة من طراز مرسيدس . فقلت له : أنت لا تعرفه إذ كيف يقود سيارة وهو كفيف البصر . فبنت ، ولكن نعل الباطل لا يستحقون ، إنهم يمشون بما لا يعرفون . ومن الخطأ أن يقول الإنسان ما لا يحسن وأن يعلم قبل أن يتكلم ولا يخاف أن يأثم ، وإذا أثم لا يتندم .

وهكذا قامت دولة التفرقات على الأكاذيب والشائعات فضاع ضحية ذلك الأبرياء المظلومون الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أنه يقولوا ربنا الله .

فرس الفتى وبقرة الفقير

ذكرتني هذه الواقعة لحمية التي نصتها على ذلك الصديق بقصة فيها من الظلم ما يصعب تجاهه كل ظلم . فقد ذكروا أن غنيا كان له فرس وكان جاره الفقير بقرة فولدت قرة فقير عجلا ، فقب له الفتى : إن هذا الحمل من فرس ولا بد أن أضمه إلى وعت دون الفقير أن يحميه ، وأجبر بها إلى القضاء . وكان أقصى رجلا صالحا ، فسألتها بين يديه ومع لكل منهما : قل لي : لا أستطيع الفصل في تحت القضية هذا اليوم لأنني أشعر بدم الحبيب قد نزل عني ، فقل له الفتى . وقد سنون عليه المنحى وأخذت الدهشة : وهل يخفى الرجال ما يبدي ؟ فقال له الفتى : وهل تعد العرس عجلا يا سبي ؟

هم إنه الظلم ، وإن للضالين لغة يحدونها ويحسون لضعفها بها :

بن الفتى وإن تكلم بالخطأ قالوا أصبت وصدقوا ما قالوا
وإذا الفقير أصاب قالوا كلهم أخطأت يا هذا وقلت ضللا
إن الدواهم في المجالس كلها تكسر الرجال مهابة وجلالا
بهي اللسان لمن أراد فصاحة وهي السلاح لمن أراد قتالا

هذه لغة أهل الجاهلية الذين غلب الله عن قلوبهم وعلى أبصارهم عنادة وبحسب أنهم على شيء ، ألا هم الكاذبون استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان إلا إن حزب الشيطان هم الخاسرون

العودة إلى المسجد

صُبت لي أن أعود إلى المسجد الذي كنت فيه قبل دخول السجن وأن أعود في الجمعة القادمة بعد الإفراج . فقد أفرح عني في اليوم الثلاثين من مارس ، وكذا يوم

نسبت ، وطلب مني أن أعود يوم الجمعة الخامس من إبريل دون أن أتأمل قطعا من الراحة بعد عاء السجن ، وانتشر خبر العودة ، واغتنى المسجد بالزوار من كل حدب وصوب . ومازلت أذكر هذا اليوم ، فقد كان يوما مشهود من أيام الإسلام ، فقد احترقت صلوف المصلين إلى الخير بصحوة بالغة شغرت كأن القلوب قد قطرت إلى الحاجر فرحا ، واستضاءت بنور الله بشرا وكرما ومازلت أذكر موضوع هذه الخطبة التي بنيتها بقول : لقد عدت إليكم بمشيئة الله بعد مائة أسبوع .

لقد يجمع الله الشيعين بعدما يظنان كل الظن ألا يلاقيا

وقد أمتنى الله تعالى أن يكون موضوع هذه الخطبة في تفسير قوله تعالى : ﴿ ولئن صبرتم لهو عبث للصابرين . واصبر وما صبرك إلا بالله . ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون . إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ .

وقد سررت هذه آيات في رفعة حضرة وى يوم من أيام الإسلام الخالدة . لقد رلت بعد أن استشهد أسد الله حزة وعف الرسول إلى مكان الحادث ، وألقي نظرة على الجسد الطهور وقال لي كلمات تنبئ حزنا . والله يا عم ما أصبت لي أحد كما أصبت اليوم فيك . وما وقتت موقفا مثل موقفى هذا عليك ولن أمكننى أحد منهم لأمتلئ بسمين أو مائة .

فماذا كان رد العلق القدير على ناشر الهدى وواسع المدى صلوات ربي وسلامه عليه ؟ كان الرد برقة عزاء عاطرة : ﴿ وإن عاقبهم فعاقبوا بمثل ما عاقبهم به ، ولئن صبرتم لهو عبث للصابرين ﴾ .

وأذكر يومها أنني عرفت الصبر بتعريفات كثيرة ذكرت منها : أنه مقاومة النفس الموى فلا تقاد للفتاوى ، وبأنه ثبات باعث الدين في مقابل باعث الشهوات ، وبأنه احتفال الكد .

وقسمته إلى بدنى ونفسى ، وقد يكون النفسى قناعة وحلما وشجاعة وعفة باعتبار ما يسب إليه الصبر .

وكان يوما حافلا ، ولقاء مشهودا ، فلقد ظلت بعد الصلاة أصابع المصلين وألقى التهانى بالعودة حتى أديها صلاة العصر وما استطعت الانصراف إلا بشق الأنفس ، إنها دولة القنوب إذا عرفت الله أصبحت نورانية تحلق في آفاق الطهر وساحات الرضا ، إنها الممالك التي أقامها الله تعالى في صدور عباده المؤمنين ، سعادتها في رضا الله عنها ، وليس في الانتشاء بالكسوس المزعجة أو الاستمتاع بالنفيد الأماليد ، إنما ترى السعادة في تزكية النفس بالإيمان

وإشراق العقل بالحرمة وانتصار بالاستشراق إلى العالم العلوي والملك الملايكي ، إنها تردد هذه الدرة النبوية : « إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي ، إنها مهتف هذا الشهد :

فلنك تحلو والحياة مرهبة وليك قرص والأنام غصاب
وليت الذي بيني وبينك هامر وبينى وبين العالمين غراب
إذا صح منك الود فالكل حين وكل الذي فوق الغراب تراب
إنما تشدو بهذه المعاني الرقيقة :

رضائك خير من الدنيا وما فيها يا مالك النفس قاصيا ودانها
فليس للنفس آمال تحفلها سوى رضائك هذا القنى أمانها
فطرة منك بأسولى وبأمل خير إلى من الدنيا وما فيها

وسارت سفينة الدعوة باسم الله محريا ومرساها ، وأعلنت تجرى في موج كالجبال فمن ركب تلك السفينة فقد نجح ، ومن قال : سأوى إلى حل يخصصني من الماء كان من المفرقين ، وتزداد إقبال الناس على المسجد ، وجدوا فيه للنفس روحا وربانا وجهة نعيم ، وحرصوا على حضور دروس المساء التي كانت تفتى ما بين المغرب والعشاء .

وهكذا عرفنا الإسلام تصهره الشدائد وتزده قوة وتكسب حوده صلابة .

فكم زالت رياض من رباهما وكما بادت لجبل في الهوادي
ولكن تحلة الإسلام قصو على مر العواصف والعوادي
وجعلك في حنى الإسلام بال بقاء الشمس والسبح الشداد

لأفصر الجبابرة

سبحان صاحب العزة القائمة والملكة القائمة ، غشمت الأصوات لعظم منكونه ، وعت الوجوه لجلال جبروته ، هو القوى العظيم وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العظيم ، سبحانه أوجب الوجود لذاته ، وكسب الفناء على غيره .

في اليوم الثامن والعشرين من شهر سبتمبر عام ١٩٧٠ جاء من يبرق بأن عبد الناصر قد مات وعنى أن أعد حقيقة المعتقل قد تكون هناك حركة اعتقالات واسعة لذين تم اعتقالهم من قبل تأميمنا لظهر الثورة . قلت : سبحان الله أشقى به حيا وميتا ؟ إن هذا الرجل الذي ملأ طباق الأرض ظلما وحورا أصبح قد مات ؟ نعم إنه قد مات ، فليس هناك من يستصلى على الموت مهما كان حبروته وصولجانه . إنه كان في مؤتمر القمة الذي

عقد بالقاهرة بين الملوك والرؤساء العرب ، كان بينهم خالا كالتطاووس مزهوا بنفسه ، مفرورا كعادته ، ولكنه في الواقع كان كما قال الغاتل :

كأهر يحكى انشاعها صولة الأسد

وكا قال آخر :

أسد عنى ول أجروب نعامه

لقد اغض مؤتمرا القمة وكان هو في وداع أمير الكويت ، وعاد إلى بيته حيث كان عن موعد مع ملك الموت ، وعت حاول الأطباء فقد أحاطوا به حيث قال لهم أحد القربين : لابد أن تفعلوا شيئا وكأنهم يستطيعون أن يحموا الروح من الخروج ، وسبحات من يقول : لو فلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حيث تطرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا إن كنتم غير مدينين لرجعونا إن كنتم صادقين .. لقد بذل الأطباء قصارى جهدهم بهذا نفيس ضئف وذلك يوم بتدليك القلب وذلك يقف على حقيقة البصر ، ولكن

ومن نزلت بساحته المناها فلا أرض تقيسه ولا سماه
وأرض الله واسعة ولكن إذا نزل القضاء ضال القضاء

ماذا يفعل الأطباء يا اغضى الأجل ؟

إن الطبيب له علم يدل به إن كان للمرء في الأيام تأخير
حتى إذا ما انتهت أيام رحله حار الطبيب وعانته العقاقير

ويرحم الله مارون الرشيد لما شعر بدنو الأجل ، أمرهم أن يملأوا قرة ليراه قبل أن يموت ثم أمرهم أن يملأوه إليه فجلس على شفير القبر وقاضت حياته من الدمع ، ودعا رب لمره قاتلا : « يا من لا يزول ملكه أرجم من زال ملكه » .

لقد مات جمال عبد الناصر وأدرج في أكتاف القبر ، وطويت صفحة عزمه ، وتفسا صعداء ، وتذكرت قول الصادق المصوم عليه السلام : « إن العبد المؤمن إذا مات استراح بانوث من عاه الدنيا والتأخر إذا مات استراح منه البلاد والعباد والشجر والدواب »

الله أكبر لا تمات بميت لكن زوال القبط بشرى للزوى

فسبحان قاهر احارة وبطم القبابرة ومدمر الأكاسرة ، وسيد الأباطرة

ولى في فناء الخلل أكبر عورة لمن كان في بحر الخلقلة راق

شخصي وأشكان تمر وتفيض ففنى جميعا والمهمين باق

إن الفاجر كالأرزا صماء معتدلة حتى يلصقها الله متى شاء .

موقف حرج

مات الزعيم يوم الاثنين وفتح النفق كما تطفح الأرض بماء المجارى وأرسلوا في المئات حاشرين ، وجمعوا الناس لمقات يوم معلوم لتشييع الخاتمة يوم الخميس ، وفي هذا مخالفة لشرع الله ، فإكرام الميت في الإسلام دفنه .

ومرت هذه الأيام ثقيلة متعبة ، وجاءت ساعة الدفن وأنا أجلس بجانب المذبح أتقرب مصر هذا الذي كاد يقول أنا ربكم الأعلى وأوشك أن يصبح بأعلى صوته : أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون ؟ وجهى به على شفير القبر وكأن القبر يناديه بلسان حاله : أيها الجبار العنيد : أجمعت الدنيا أم الدنيا جمعتك ؟ أتركت الدنيا أم الدنيا تركتك ؟ أعجلت النية أم الشية عاجلتك ؟ لقد خرجت من التراب وعدت إلى التراب . خرجت من التراب بغير ذنب ، وعدت إلى التراب بكل ذنب ...

لقد وورى الجنان الثرى وأضى صاحبه إلى ما قفتم ، وصار رهنا بعمله وكأني أسمع النداء من رب العزة يقول له : عدى رجعوا وتزكوك ، وفي التراب دفنوك ، ولو ظلوا معك ما نفعوك ، ولم يبق إلا أنا وأنا الحى الذى لا أموت .

وهكذا سحب الدهر عليه أذيال النسيان والفناء .

أتيت القبور فادبتها فأبين المظلم والمختصر
وأبين المبدل بسلطانه وأبين المزكى إذا ما افتخر
تساووا جميعا لساخير وماتوا جميعا ومات الخمر
تروح وتلدوا بنات الثرى فتمحو محاسن تلك الصور
فها سائل عن أناس مضوا أمالك فيما مضى محير؟

وورى الجنان يوم الخميس ، وجاء يوم الجمعة ، وأقبلت أفواج المصلين على المسجد كمادتها عندما يقع حدث أو تنزل نازلة تُضاعف الأعداد بحيث لا يصبح هناك شبر من الأرض إلا وفيه قائم أو قاعد أو راكع أو ساجد . وفي مثل هذه المواقف تنتشر كتبة التقارير في أرجاء المسجد ، ويصبح الموقف بشلل عصيا . فإذا كان سيدهم قد مات فإنه ما يزال يحكم من داخل قبره حتى أن عليه القوم إذا مروا بقبره جبهة أو ذهابا كانوا ينزلون من السيارة ليؤدوا له فحبة المسكرة أمام قبره .. ما هذه الوثنية وما تلك الجاهلية يا قوم ؟

اجعل برك كل عز يستقر ويثبت
فإذا اغتررت بمن يموت فإن عزك ميت

إذن مانوقف يحتاج إلى حكمة ، والحكمة تقول : ليست الشجاعة هي الثور ، بل أن تقول الحق دون أن تسمح للآخرين أن يتسلقوا على كتفك ، إن العمون مشرقة هنا وهناك ، والظلمة هم الظلمة ، والسجون هي السجون ولا بد للمسلم أن يقول كلمة الحق لذلك كان الموضوع الذى تحدثت فيه يوم الجمعة قد استوحيت من الأحداث : فالعاقل من يأخذ من أحداث الأيام عبرة ، ولدهر مدرسة أساتذتها الأيام والليالي .

يانايم الليل مسرورا بأوله إن الحوادث قد يأتين أصحارا

لقد كان موضوع الخطبة جوابا عن سؤال طرحته وقلت فيه : لماذا كانت صلاة الجائزة أربع تكبيرات تؤدي قياما لا ركوع فيها ولا سجود ؟ واستلهمت الحكمة وعلمت أن الجائزة توضع أمام المصلين ، فهو ركعنا أو سجدنا شوهم أن هذا الركوع والسجود لذلك العظيم الذى وضعت جثته أمامنا ، وجاء التكبير فيها إشارة إلى أن الله أكبر من هذا الجبار وأبقى سبحانه هو الثقل : ﴿ ولا تدع مع الله إلها آخر لا إله إلا هو ، كل شيء هالك إلا وجهه ، له الحكم ، وإليه ترجعون ﴾ .

وسبحان القائل : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ ثم إلينا ترجعون ﴿ لقد جاءت هذه الآية في سورة العنكبوت بعد سلسلة من تاريخ الأنبياء مع الجبابرة ، فقد ذكر الله تعالى في هذه السورة قوة نوح وقوم إبراهيم وقوم لوط كما ذكر مدين وعادا وثمود وقارون وفرعون وهامان ، ثم حكم عيسى بالفناء . كما شبه الذين اتخذوهم أولياء بشبه رابع يأخذ بالألياب فقال : ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا ، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ﴾ .

وانقضى يوم الجمعة ، وانصرفت وفي ذهني هذه الآيات :

تبكى على الدنيا وما من معشر جمعهم الدنيا فلم يفرقوا
أين الأكاسرة الجبابرة الأول جمعوا الكنوز فما بقين ولا بقوا
من كل من ضاق الفضاء ببجيشه حتى ثوى فحواه لحد ضيق
حرمن إذا نودوا كأن لم يعلموا أن الكلام لهم حلال مطلق

مصارع الظالمين

﴿ ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين ﴾ وحاشا لله أن يكون غافلا ، وكيف يكون غافلا وهو الذى قال : ﴿ فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين ﴾ . وحاشا لله أن يكون غافيا ، وكيف يكون ذلك كذلك وهو الذى يقول :

﴿ ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ، ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو راعاهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينتهمهم بما عملوا يوم القيامة ، إن الله بكل شيء عليم ﴾ .

فقد تزه سبحاته عن الغفلة والغيبة ، ولذا قال : ﴿ ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون ، إنما يؤخّره لهم ليوم لشخص فيه الأبهار ﴾ فإذا كان سبحانه وتعالى يهمل ، فإنه لا يهمل ، إن الله لا يجعل كعمله أحدكم . إن الله يمل للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته اقربوا إن شئتم : ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾ .
وجعل أن يقول أمير الشعراء :

إذا ما ملكك النفوس قاب يخ رضاهما فنها ثورة وفيها مضاء
يسكن الوحش للوثوب من الأتس ر فكيف الخلائق المغلاء ١٩
بجسب الظالمون أن يسبو دون وأن لن يؤبد الضعفاء

ولي السادات حكم مصر بعد أن هلك سلفه ، وقد كان امتداداً لمن كان قبله في اضطهاد كل عمل إسلامي ، بل كان عبدالناصر بجاراً بالظلم وتمنى زبانيته في الأرض فساداً ، فإن السادات جاء فقتل هذا الظلم ، فسُن القوانين الظالمة التي سموها فيما بعد « سيرة السمعة » وهي قوانين تكاد السماوات تنفطر منها وتنشق الأرض وتخر الجبال هدأ . أسمعت بهذه الديمقراطية التي كان يقول عنها : « إن لها أنياباً ومخالب » إنه قول ينطبق عليه قول علماء المنطق : « سلب الشيء عن نفسه » كأن تقول : الإنسان لا إنسان ، وهو ضرب من ضروب السفسطة .

وإذا كانت الديمقراطية التي كان ينضى بها ، كما كان يتغنى بسلفه بالحرية والكرامة - إذا كان لها أنياب ومخالب ، فماذا تكون الديكتاتورية ؟ وما الفرق بينهما ؟ إنها الديكتاتورية في أسوأ معانيها ، وشر مغزاها ومنهاها . لقد جاء يوم على هذا الحاكم قال فيه : « ما يدل القول لدى وما أنا بظلام للعباد » . هكنا قرأ الآية . وهي في كتاب الله : ﴿ وما أنا بظلام للعبيد ﴾ والذي لا يدل القول لديه هو الله وحده ، فهنا الوصف خاص بمن يقول للشيء : « كن فيكون » . ولكن ماذا أقول ؟ ومن بين علماء الأزهر من قال عنه : والذي نفسى بيده لو أن لي شيئا من الأمر لرفعت هذا الرجل (يقصد به السادات) إلى قمة لا يسأل عما يفعل . وقد ردّ عليه الشيخ عاشور فيما سموه « مجلس الشعب » وقال له : هذا كفر يا مولانا ! فقال له الشيخ الوزير : أنا أعرف بالله منك .

وذكرني هذا الموقف بذلك الشاعر الذي دخل على الحاكم ذات يوم فقال له :

ماشت لا ماشاءت الأتسار فاحكم فأنت الواحد القهار

وقد قبل لعبدالناصر ذات يوم على لسان أحد المنافقين :

بشرأى إن صلاح الدين قد غاد وأصبحت هذه الأيام أعياد
أجمال مالك من بين الأنام أخ في الشرق والغرب ممن ينطق الضادا
لو كان بعيد من بين الأنام فتى كنا لشخصك دون الناس عبدا

ويوم وقعت النكسة وهي في الحقيقة هزيمة ووكسة ، قام أحد أعضاء مجلس الأمة بقرص فرحا وابتهاجا بسلامة الرئيس كما غصبت شوارع القاهرة بالمصنفين واغنيين والراقصين المظالمين بقاء الزعيم بطل المزامير وقائد ثورة القصب والنهب والسلب ، كانوا يرقصون وهم المهزومون ، وكان الناس في إسرائيل يعلنون الخلد ويصلون على قتلاهم ، فاعجب معي لشعب منبزم بقرص ، وشعب منتصر يمدب قتلاه .. إنه الفرق بين الإحساس بانسؤولية وثلا ميلا . كانت إسرائيل تنادي بالسلام وهي تستعد للحرب ، وكما نادى بالحرب دون أن تستعد لما فوقت الواقعة ، وكانت خافضة رافعة . لقد طمع النفاق ، وكثر الشافقون ، وحيلة التماقم . حتى وقف أحد المدرسين الذين كان السادات تلميذا عدهم يقول في أحد المحافل أمام سيده السادات « إن في خلق السموات والسادات آيات لأول الأبيات » ثم أضاف قتالا : لقد منح الله سيدة مصر الأولى نصف الجمال ، وقسم النصف الآخر على نساء العائنين .

إن المنافقين في كل زمان ومكان عانة على انجتماع وقت السراء وسوس بنخر في عظام الأمة أوقات الضراء ، يراعون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا مذهبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء . وصدق الله تعالى إذ يقول : ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصورا ﴾ .

وحاء اليوم الذي قلّم فيه أحد أعضاء مجلس الشعب اقتراحا بأن يطلق على السادات لقب « سادات الخلفاء الراشدين » وقال له أحد كبار المشوليين في الولايات المتحدة في خطاب ألقاه في أحد المؤتمرات : إن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام اختص منها يوما خلق فيه المسيح بن مريم وأتور السادات .. والعجب في هذا الكلام أن هذا المنور يصدق هذا المرأة . لقد قالوا قديما في الأمثال : إذا كان المتكلم مجنونا فليكن المستمع عاقلا . ولكن صاحبنا هنا كان أشد مجنونا من المتحدث فقد قال للوفد الذي كان يرافقه في تلك السفارة : « انشروا هذا الكلام في الصحف المصرية عندما تعود » . ولكن شاء الله ألا ينشر هذا الكلام في مصر حتى لا يعصاب الناس بصدمة تتعلق بالمعقيدة وهي أغل ما يملكه المسلم . ﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله ، أفلا تذكرون ﴾ .

وتعجب معي لهذا الذي كان يشدني بالديمقراطية ويهدد بأن لديه مفرمة ، وأن من عاينته أمره واتبع غير سبيله فسوف يفرمه . والمعروف أن المفرمة إنما خلعت للحوم الحيوانات ، ولكن الرجل لما كان مضموس البصيرة قاسى القلب ، أصبح لا يميز بين لحم ولحم . وشاء ربك أن يهمل بين هذا الحاكم وبين أنطاب الختم يوما سموه : ثورة التصحيح ، ولم يكن في حقيقته كذلك ، إنما كان في الحقيقة : يوم لصراع على السلطة . ﴿ وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون ﴾ . وكان هذا اليوم يوافق الخامس عشر من شهر مايو ١٩٧١ ، تأمر كل من الفريقين على الآخر فكان الصدام العنيف : فريق مراكز القوى (كما أطلقوا عليه) وعلى رأسه شعراوي - جمعة ، وفريق على رأسه السادات . وشاء ربك أن ينفق هؤلاء الزبانية مريرة تكأس وسوء المصير وأن يدخلوا السجن التي دخلها أصحاب الدعوات فالمر لا يبل والذنب لا ينسى والدينان لا يموت . اعمل ما شئت كما تدين ثدان . ولا تحسن الله غافلا عما يعمل الظالمون .

• نائم الليل مسرورا بأوله إن الحوادث قد باتت أسحارا

قد سبق الظالمون إلى السجن ، فلقوا وبأل ترهم : ﴿ إنهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا بآياتنا كذبا ﴾ وكل شيء أحصيناه كتابا فنزلوا فلن نزيدهم إلا عذابا . لا أمان للدهر ولو صفا ، ولا أمان للمال ولو كثر ، ولا أمان للسلطان ولو قرب ملك .

مزال الأهم شيمتها لعذر وبعد صمو الثبالي يحدث الكسر

قتلوا التاريخ عن جبايرة العالم . اسألوا التاريخ عن هتلر وموسوليني ، ولبنين ، ومثاليين ، وجانكيز خان وهولاكو ، وعبد الناصر وشاه إيران ، وكان أتاتورك . وعن فراعنة مصر أين هم ؟ ﴿ فلو ربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثا ثم لننزعن من كل شيعة أيم أحد على الرحمن عينا ، ثم لننحن أعلم بالذين هم أولى بها صلبا ، وإن منكم إلا واردها ، كان على ربك حتما مقضيا ، ثم ننحى الذين اتقوا ، وننذر الظالمين فيها جثا ﴾ .

الأحقاد تتحرك

قد يختلف بعض الظالمين مع بعض ، ولكن تزول الخلافات وينحد الجهد إذا كان العدو هو الإسلام . لقد سارت مواكب الدعوة الإسلامية في المسجد سرا أحمد الله عليه ، فأصبح تاسي يملئون كل فراغ يحيط بالمسجد ، وأقل المسلمون بمسجلاتهم يسمعون

ومسجلون ، باتون رجالا وراكبين وقلوبهم تطير من الفرح ، فقد صارت صلاة الجمعة عدهم هيدا إسلاميا حقيقيا ، يلتقي فيه الأحباء والأخلاء الأنقياء يتعارفون على عبة الله ويلتفون على طاعته حل في علاه .

وذاث يوم من أيام عام ١٩٧١ فوجئت بعد صلاة العصر بثلاثة من المستبين عن الدعوة في وزارة الأوقاف ، يدخلون في غرفة الإدارة ويقولون لي : لقد جئنا من قبل السيد المذكور لمؤير (وكان من شيوخ الأئمة بعدما ترك وزارة الأوقاف) قلت : خبرا إن شاء الله . قالوا والشمامسة بادية في كلامهم وتكد الفرحة تعقد ألسنتهم ، قالوا : إن السيد الوزير أصدر تعليماته إليك بأن يردى خطبة الجمعة القادمة في مسجد الظاهر ببيروت وسوف يصل الجمعة هناك . وسألت : لماذا لا يصل مما هنا ؟ قالوا : لأن المسجد هناك أوسع وأرحب . فنت : وهذا أيضا أرض الله واسعة . وقلت : إني إذا تركت المسجد يوم الجمعة ، وفوجئ به رواد المسجد بهذا فسوف تكون هناك فتنة وشائعات ، وقد يخطأ الحساب / فتأني أوعم المواقف والفتنة تامة ، ونسأل الله العافية . قالوا : لا شأن لنا ، نحن مأمورون بكتابة هذه الإشارة في دفتر الأئمة ، ومن حقك أن تذهب إلى الوزير وتناقشه في هذا الأمر .. وكتبوا الإشارة وكان نصها : : على هام المسجد أن يردى خطبة الجمعة بمسجد الظاهر حسب تعليمات السيد المذكور لمؤير . ثم طلبوا مني أن أحتم بالموافقة ، ولكني أبليت ، فقد كنت موافقا بأن الله سيجعل بعد عشرين سنة ، وقد استقر في يقيني أن الأمر أشد من أن يكون خطبة في أحد المساجد الأخرى . وأخيرا عني أن أعظم ، فقلت لهم : من حقكم أن تكتبوا مشايخون ، ومن حقني ألا أوافق على ما تكتبون . فأنصرفوا . وكان هذا يوم الأحد وكنت قد عيأت لإلقاء درس المساء بين المغرب والعشاء ، وأحضت المصلين علما بما حدث ، وقد تعددت ذلك لأنني أعلم أن هؤلاء الذين أصفروا هذا الأمر كانوا يودون أن يُقضى الأمور لي على الكتان ، ويقلقهم أن يحاط المصلون علما بمثل هذه المؤامرات ، والله لا يهدي كيد الخائنين .

وبعد أن صلبا العشاء صافحتي أحد المصلين وقال هامسا لي أذن : اطمن فتن لفل من هذا المسجد ، وسوف يتنذر الوزير عما فعل ، وسألت : من أنت يرحمك الله ؟ فقال : عبد من عباد الله . قلت : سبحان الله ، وما يعلم جنود ربك إلا هو . وصدق الله تعالى إذ يقول : ﴿ إن ينصركم الله فلا غالب لكم ﴾ . فقد وقف العضوان المتحالفين للمطقة لي مجلس الشعب يبدان بهذا العمل ، وبمعلان الوزير مسئولة ما سيحدث من فتن إذا أصر على أمره ، وطاردت البرقيات إلى المسئولين . وفي يوم الأربعاء من نفس الأسبوع جاء الذين كتبوا الإشارة ليكتبوا إشارة أخرى تسخها .. وخطبت الجمعة في مسجدتي الذي كان يعتبر قلعة شاذة في منطقة دير الملاك .

لكني أردت أن أعرف ماذا وراء هذه الإشارة التي أراد بها الوزير أن يقتلني من مسجد زرعته فيه زرعاً فأخرج شطاه فأزهره وأراد أن يقتلني قبل أن يستغلظ هذا الزرع ويستوى على سوقه ؟ ما هو النافع لي هذا ؟ والناس يأتون من أقصى محافظات القطر زرافات ووحدانا . يأتون وهم يعلمون أن غم بكل خطوة بخطوة يحطون بها إلى بيوت الله رفع درجة وعمر خطيئة وكتابة حسنة .. وطلبت من أحد رواد المسجد وكان صديقاً للوزير أن يسأله : ما هو الدافع وراء تلك الإشارة ؟ وسمعت بنفسى وهو يحدثني في أسيرة فقال له الوزير : وهل يعجبك يا أحمد بيه جلوس الناس في الشوارع ؟ فرد عليه قائلا : كل المساجد هكذا يوم الجمعة . ثم سأله قائلا : يا فضيلة الوزير هل كان المقصود بتلك الإشارة أن يخطف هذه الجمعة في مسجد الطاهر ثم يعود إلى مسجده ؟ فأجبه الوزير : لا . لقد أردت أن يتفكر في المساجد وأن يذهب في كل جمعة إلى مسجد .. وانتهت المكالمة ، وعلمت أن المقصود من هذا التمريق الصف وثبتت هذا الجمع الذي يأتي كل أسبوع ليستمع إلى سجع الشكامل الذي أصبح دعوة منهجية لابد فيها من التسلسل والتتابع ، فقد أقمت هذا المنهج على أسس أهمها : القوة والقصة وتجديد الموعظة والضرب على الأحداث والحديث سحر .. ولكن يكون هناك سجع لابد أن يكون هناك اتصال في الحديث ، وهكذا أرادوا تمرير هذا الجمع ، ولكن يد الله تعمل في الحياء والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يصبرون .

عقارب البليضاء

ثم يكن هذا الموقف الذي حرم فيه الوزير بحر مر السحاب ، بل لقد ترك في نفسه جرحاً غائراً فأراد أن ينتقم لنفسه ، والنفوس إذا حقدت ظلمت وعميت عن الحق ، وصار صاحبها لا يعرف معروفها ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه ، لا يسمع إلا نفسه الأمارة . وإن لمع الله أعتاه وهم الذين يمسكون الناس على ما اتاهم الله من فضله .

لا قل لمن بات لي حاسداً أندى على من أسأت الأدب
نسأت على الله لي صمه وأنت ترض لي ما وهب
مكأن جزاك أن تخشى وسد عيت طريق الطلب

بن الحسن إذا غزا القنوب ، أشعل فيها نار العداوة ~~فصيرها الحامد كطلقات في~~
نحر خي بغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ضمت بعضها فوق بعض ، إذا أخرج
يده لم يكن يراها ، ومن لم يجعل الله له نورا ، فما له من نور .

صر على كبد تحود فإن صررك فتشـــــــــــــــــه
ونار تأكل بعضها إن لم تأكلـــــــــــــــــه

تواتر الاستدعاءات ، فكلمنا خطيب خطبة يوم الجمعة ، جاء الاستدعاء يوم السبت ، وكان نتحقق يوم الاثنين .. هكذا من كل أسبوع واختلفت أنواع التحقيق وتعددت مدحه ، مرة تكون التهمة الموجهة إلى أنى أثر الفتنة الطائفية لأن المسجد يقع في منطقة دير الملاك وهي إحدى قلاع الصليب ، وسألت : ما هو الكلام الذي أثار الفتنة في الخطبة ؟ وقال المحقق وكان يعمل وكيلاً لوزارة الأوقاف لشئون الدعوة : إنك تعتمد ذكر الآيات التي تتحدث عن النصارى . قلت : أليست قرآناً يقرأ في يوم القيامة ؟ وذكرني هذا الموقف بموقف أهل الحاد من صاحب الرسالة وقد طلبوا منه أن يقرأ بقرآن غير هذا القرآن ، فحزن الرسول لما سمع ، فأنزل الله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ابْنَائِنا يَدْعُونَنا لا يردوننا فاعلموا اننا نداء من الله أو بذكره ، قل ما يكون لي أن أردله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي فإن أخطأت فخطيئة وإن عصيت فإني عذاب يوم عظيم . قل لو شاء الله ما تلوونه عليكم ولا أدراكه به ، فقد لبث فيكم عمراً من قبله ألا تعلمون لمن أعظم لمن اتقى على الله كذبا أو كذب بآياتي إنه لا يلحق المحرمون ﴾ .

وقال له تعالى لرسوله الكريم : ﴿ فقلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا : لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل ﴾

وأخير فليد السيد اعقل بمقرته العنة وفهمه العميق وبصيرته الساعية : علمت أن تعدد الأمر ، ونكي ترينخا وترينك أجمل موضوع خطبتك : قل هو الله أحد ، ثم أنزل وصل بالصلوات .. وقت له : لو كان ذلك كذلك ، لوجهتم إلي نفس التهمة وهي إثارة الفتنة الطائفية ، ونحن في مذكرة الأهم : إنه يقرأ سورة الإخلاص ويقصد بها التعريض بالنصارى المشركين .. ومن لا جدوى من هذا التوجيه ، فاللغة بيننا هي لغة الذئب الذي قيل لنحويل : عكرت عنى الله وماذا يصنع أهل الحق يقوم لبسوا جلد امرء ، وقلوبوا ظهر الحية ، ولكن لابد أن نسبر القصة والذئاب تنوى . وهل يضر السحاب نوح الكلاب . إن كلمة الحق أقوى من كيد الكاذبين والله أشد بأساً وأشد نكيلاً .

عمر بن الخطاب

ثم أكن يوماً أتوقع أن يصل بهم الإسفاف إلى هذا الحبس في سلسلة الاستدعاءات ذهبت إلى صديق نفسه ، وإذا التهمة الموجهة هذه المرة يقال فيها : إنك تتحدث كثيراً عن عمر بن الخطاب . قلت : وأي شيء في هذا ؟ وقد قال عبدالله بن عباس : أكثرنا من ذكر عمر ، فبكم يد ذكروه ذكركم العدل ، وإذا ذكركم العدل فقد ذكركم الله ، فافقه هو المنفس الحكم

العدل . ألم يقل فيه رسول الله ﷺ : « لو كان فيكم محدثون لكان عمر ؟ » فالتقصود بالمحدثين أهل الإلغام . ألم يقل عنه رسول الله ﷺ : « لو كان نبي بعدى لكان عمر » ألم يقل له : « أنت سرّاج أهل الجنة يا عمر وليكن الإسلام على موتك ؟ » ثم ألم يقل عنه : « إن عمر ورجل ضرب الله الحق على قلبه ولسانه ؟ » . فأى شيء في الإكثار من ذكر عمر ؟ قال الحق الحنيف الأريب : إنك تقصد بذلك التعريض بالحكام . قلت : إذن فلا داعي إلى أن أذكر شيئا عن عدالة الإسلام ، ولنضرب صفحا عن ذكر حياة رسول الله وأصحابه فإن في ذكرهم تعريضا بالحكام كما ترعمون . ونادوا تفهمون هذا الفهم ولو كان فيه تعريض أو تصريح ليس الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر من مبادئ الإسلام ؟ وما وظيفة العالم إذا لم يكن ناصحا ومرشدا ؟ ألم يقل رسول الله ﷺ : « الدين النصيحة قلنا لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ؟ » ألم يقل : إننا إذا صلحا صلحت الأمة ، وإذا فسدنا فسدت الأمة ، العلماء والأمرء ؟ . إن العالم يجب أن يكون كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ . وكذا قال جل شأنه : ﴿ الَّذِينَ يَلْقَوْنَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ . وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ .

وتاريخ الإسلام ملء بمواقف العلماء من الأمراء . قال عمر بن عبدالعزيز ذات يوم للحسن البصري : عظما يا تقي الدين وأوجز فقال له الحسن : « يا أمير المؤمنين : صم عن الدنيا وأظفر على الموت » وأعد الزاد لليلة صباحها يوم القيامة .

وهكذا وقف أهل الدعوة موقف الناصحين الأسماء بوجهون وينصحون لا يتغنون من وراء ذلك كرسيًا زائلا أو منصبًا فانيا ، إنما كانوا كما قال الله تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ .. هؤلاء هم أصحاب الرسالات ، لم يبيعوا آخرتهم بدنياهم ، ولم يبيعوها بدنيا غيرهم ، لم يسموا ولم يلهثوا وراء الشهرة والكراسي المزورة ، إنما باتوا على الطوى وقالوا : « نحن في سعادة ، لو علمت بها الملوك ، لجلدتنا عليها بالسيف » .. ويوم يردد العالم على باب الأمير ، فإنه منهم في دينه ، ويوم يصير هواه تبعًا لحوى الحكام يمل ويحرم إرضاء لأهوائهم ، فإنه قد وقع فريسة للشيطان بل صار أستاذًا له . قال تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ وَلَوْ كُنَّا لِرَفْعَانِهَا وَلَكِنْ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ . فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ . ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ سَاءَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمِهِمْ ﴾ .

لا تخضعن لخلق على طمع فإن ذلك نقص منك في الدين
لن يقدر العبد أن يعطيك خردلة إلا بإذن الذي سواك من طين
فلا تصاحب غنيا تستمد به ولكن عنيها وعظم حرمة الدين
واسترزق الله بما في خزائنه فإن رزقك بين الكاف والنون
واستغن بالله عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وعيد وإنذار

في يوم من أيام شهر رمضان ، والحرب لاهب ، والصيف قانظ ، والأنفاس لاهنة ، والظلم شديد ، ذهبت إلى الوزارة للتحقيق معي ، وكان هذه المرة أمام رجل يشغل منصبا سموه : « مدير مكتب الأمن » وكان يعمل من قبل في سلاح الطيران وخرج منه برتبة اللواء ، ولم يكن تحقيقا بمعنى الكلمة ، إنما كان وعيدا وإنذارا وتهديدا . استمرض الرجل فيه عضلاته أكثر من عقله وتصورته أمامي سراها ببقية لا يثبت أمام الحقيقة ولا يصمد للأحداث . وبهدما أرغ كل ما في جعبته من فحيج وسموم ، قلت له : إنني سأتركك وبين أصابعك قلم وأمامك أوراق ، فاقض ما أنت قاض ، واكتب ما تشاء فإنك لن تغير من التقادير شيئا ، لقد هددني بالاعتقال والسجون وتخليل نفسه قادرا على كل شيء ، وخلع على نفسه ثوب الأسد المصور وهو في الحقيقة فأر صغير ، وكان مثله كمثل البعوض التي قالت للنحلة : أيها النحلة لئس مسكيتي فإنني راحلة عنك قالت النحلة : والله ماشرت بك إذ وقعت علي ، فكيف أشير بك وأنت راحمة عني .

لقد كنت أستمع إلى تهديداته فأستحضر قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ : إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ، فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا : حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفُتِّلَ لَهُمْ مَسْئَلُهُمْ سَاءَ ، وَاتَّبَعُوا رِضْوَانِ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ ولما هممت بالانصراف إذا به يتمص ويربت بيده على كفي ويقول : هل ستذكر هذا الكلام للمصلين ؟ قلت له : إذا وفقني الله فسوف أحرضه كما حدث ، وإذا به ينقلب من مهدد إلى متوسل ويقول : أرجوك ألا تذكر شيئا من هذا واعتبر كأن شيئا لم يكن . ثم أراد أن يلقتني بالكذب فقال : فإذا سألتك سائل : لماذا جئت إلى هنا ؟ فقل : جئت لأتسلم جدول الخطب والبروس في رمضان .. وهكذا كما جاء إخوة يوسف أباهم عشاء يكون قالوا : يا أيها إنا ذهينا نستيق وتركا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب . فمتى كنت أذهب لأتسلم الجدول ؟ ومتى كنت أذهب لأتلقى التوجيهات الخاصة بالخطب ؟ إن الخطبة يجب أن تكون موجهة (بكسر الجيم المشددة) فإذا صارت موجّهة (بفتح الجيم) أضحت لا تسمن من شبع ولا تغنى من جوع .

وعند الإغراء

لما لم يجد الوعيد ولم ينفذ التهديد لجئوا إلى أسلوب الإغراء ، ولكن أي إغراء ؟ لقد فوجئت بالسيد وكيل الوزارة مجلس مجانبى وقد تغيرت لحيته من محقق حازم إلى أخ ملأت قلبه الشفقة والرحمة في فقال في عبارة معسولة شممت منها رائحة الحديعة التي تركم العقول قبل الأنوف . قال لي هامساً : إنك مطلوب بالاسم للسفر إلى ليبيا ثم أضاف مازحاً : (وبيني وبينك فيها قرشين كوينين) فإذا كان الختم معك فاعلم بالمواقفة وسوف نقوم بتجهيزات السفر ونسر إجراءاته وأنت مستريح . ورددت على الفور : لست في حاجة إلى مال يأتي من وراء التجارة بالمعلم ، ولو كان معي الختم ما وافقت فقال مستنكراً : أترفض السفر إلى ليبيا ؟ ولي أحد أقراني قد بذلت في سبيل سفره قصارى جهدى ومع ذلك لم أستطع أن أسره له السفر ، وهذه فرصة إن لم تتغنىها ندمت على فواتها ، قلت : إننى مستعد أن أتأزل لقرينك هنا عن سفرى ، إن أمكن ذلك ، وأنا بهذا غير متألم ، بل أكون قدير العين مطمئن النفس ، فقال : عجباً لك ، أليس معك أولاد ؟ قد يكونون في حاجة إلى هذا السفر ، قلت له : إن الله تعالى قد كتب لنا الأرزاق ، ونحن أجنة في بطون أمهاتنا . وتذكرت قول رسول الله ﷺ : « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو تحاماً وتروح بطناناً » . وقوله عليه الصلاة والسلام : « إن روح القدس نفث في روعى أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب » .

إن الروح والرزق لا يملكهما إلا الله ﷻ وما تلوى نفس ماذا تكسب غداً ، وما تلوى نفس بأى أرض تموت ؟ .. وألح الرجل في العرض ، وصحمت على الرضى ، والظاهر - والله أعلم - أنه كان مضغوطاً عليه ليفتنى بالسفر حتى يستريحوا من وجودى في مصر داعياً إلى الله ولم يقتنع الرجل بالرفض ، فقال : لن أرسل برك إلى المستولين لأننى سأعطيك فرصة أخرى ، وانصرفت وانتهت المقابلة .

عود على بدء

وفي لقاء آخر أعاد الرجل على العرض ، وذكر لي أن الراتب الذى سأفاداه في ليبيا يعادل راتبى هنا عشرين مرة ، قلت له : اسمع هذه القصة : سألو الحسن البصرى - رضى الله عنه - عن سبب زعمه في الدنيا فقال : أربعة أشياء : علمت أن رزقى لا يأخذه غيرى فاطمأن قلبى ، وعلمت أن عملى لا يقوم به سواى فاشتغلت به ، وعلمت أن الله مطلع على فاستحييت أن يرأى على معصية ، وعلمت أن الموت ينتظرى فأعددت الزاد للقاء الله .

لا تعجلن فليس الرزق بالمعجل الرزق في اللوح مكتوب مع الأجل
فلو صبرنا لكان الرزق يطلبنا لكنه خلق الإنسان من عجل

إن شر ما يتل به الإنسان أن يصاب بمقلدة الخوف من المستقبل فيعيش في قلق ، وبمحا في فرح ، فيصير كما يقول القائل :

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء
إنما الميت من يعيش كئيباً كاسفاً باله قليل الرجاء

إن الرسول ﷺ أقام مملكة السمادة في النفس عندما قال : « وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس » .

نعم :

النفس تجزع أن تكون فقيرة والفقر غير من غنى يظفها
وغنى النفوس هو الكفاف فإن أبت فجميع ما في الأرض لا يكفيها

لقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يقرعون القرآن بتدبر ، فيقفون عند عجائبه ، ويحركون به القلوب ، أصبحوا ومهم الآخرة ، فجمع الله عليهم فهمهم ، وجعل غاهم في قلوبهم ، وأنتم الدنيا وهى راعية . كانوا إذا قرءوا قوله تعالى : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعلماوا الصالحات سواء محابهم ومما هم ساء ما يحكمون » كانوا إذا قرأوها ظفوا يكون ، ويسأل كل منهم نفسه : من أى الفريقين أنا ؟ أمم الذين آمنوا وعلماوا الصالحات أم من الذين اجترحوا السيئات ؟ لذا سميت هذه الآية : بكاءة المؤمنين . لقد علموا أن من أرضى الله بإسقاط الناس كفاء الله ما بين الناس ، ومن أسخط الله بإرضاء الناس وكله الله إلى الناس . ومن أصلح سريرته أصلح الله علاقته . لقد عرفوا حقيقة الدنيا فعاثوا في قوله تعالى : « من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم مضطرباً » ، ومن أراد الآخرة وسمى لها سعياً وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً » نظر الله إليهم في جوف الليل وأصلاهم منحنية على أجزاء القرآن ، كلما مر أحدهم بآية تبشر بأجرة بكى شوقاً إليها ، فإذا مر بآية تنذر من عذاب النار شفق شهقة كأن زفير جهنم بين أذنيه .

لقاء غاضب

ما أشد غضب هؤلاء الذين هاجت عقارب البغضاء في صدورهم فصدوا عن سبيل الله بعدما باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم ما أشد غضبهم على أهل الحق وما أكثر أذاهم للذين

يُودون الدعوة إلى الله على أنها رسالة ينفون بها وجه الله مُصداقاً لقوله جل شأنه :

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ .

ومصداقاً لقوله تبارك وتعالى : ﴿ الذين يلقون رسالات الله ويكفون ولا يفتنون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيباً ﴾ .

٤ لم يجد الوعد والإغراء بالمال عادوا إلى عادتهم وسيرتهم الأولى فكشروا عن أنياب الغضب ولوعنوا وهددوا ، وفات يوم صائف شديد القحط كأن فمسه أشرفت من بين الرمال لا من بين السحب ذهبت إلى ديوان الوزارة لتحقيق بهاء على استدعاء وصلى وكان على رأس الدعوة شيخ فصيح اللسان ولكن قلبه لم يكن كفتاحة لسانه بل كان يحنى على كرسية ومرت عليه في الوزارة ليل أن أدخل على السيد المحقق وهو وكيل الوزارة مررت على الشيخ بصفته ممثلاً للدعوة وعرضت عليه أن يحضر هذا التحقيق ليكون حكماً بيني وبين هذا الإنسان الذي لا يعرف للعلم كرامة ولا للطعام احتراماً ولكن الشيخ اعتذر عن الحضور بلباقة وفنيت حتى يجامل الوكيل حرصاً على كرسية وهو الذي كثيراً ما سمعاه يصرح على المابر ويصيح كالأسد المصور مادها بأعلى صوته قتلاً : إن انفصلة تذهب .. إن إسلام بحارب .. إن الباطل يهرد في عرصات الدنيا : الكلام سهل والبلاغة مواتية والبيان والبدیع .. والفصاحة والمعال .. كلها بين يديه .. ولكن إذا نزل أحدهم ميدان تجربة أصفر وجهه وجلاً ، وفرد من الميدان فراره من الأسد ، وهذا ما حلوا منه صاحب الرسالة العيسة صلوات ربى وسلامه عليه في قوله : « أخوف ما أخاف على أمي صائق عليم اللسان يجادل بالقرآن » .

سهما يمكن من شيء فقد دخلت على المحقق وقد أحضر معه شيلين من شيوخ الأوقاف فما مكانة في إدارة الدعوة وكان السؤال منه مرة .

« فلما تهاجم الإعلام ؟ »

وقت إن الإسلام لا يعرف الهجوم لأن الهجوم من صفة الباطل لكن الإسلام يعرف الدعوة إلى الحق وتصحيح المفاهيم المشرفة ، ولقد انخرع الإعلام عن سبيل الهدى ، واتبع غير سبيل المؤمنين ، فبدلاً من أن يكون عامل بناء صار معول مدم ، وهو سلاح له خطره ، حتى قل أحدهم أعطني شاة أمر بها شيئا . وكان يقول ماركس يقول : لأنسين الناس الله بالمسرح ولو كان في عصره الإعلام المرق لكان أشد خطراً وبعد أنرا في الفساد والإنساد .

ماى شيء في الدفاع عن الحق أو عندما يرفع اهل الباطل أصواتهم نستمع ونصت فإذا

ما انبرى لهم اهل الحق يؤذون ويستجوبون ؟

أمن العدل انهم يردون ال ماء صفوا وأن يكذب وردى

أمن اخفى أنهم يطلقون ال أسد منهم وأن تقيد أسدى ؟

وما أن فرغت من الإجابة حتى رأيت السيد المحقق يثور ويغور ويجمع ويتأجج كأنه يدبغ نهشته الثعابين أو لدغته العقارب فقلت له : أرجو أن تغير أسلوبك في التفاهم فقلت عدلاً لك ، ولا لغيرك إنما عبوديتي قد وحده ، لا شريك له ولا أسمع لك أن تضرب على المكتب يديك ، لأننى لست منها وأنت البريء ، ولست مسحرفاً وأنت المستقيم ، فأنا اهل حق ، لذلك فليس لا أحشاك ، وسوف أتركك عما قليل ، فانفض ما أنت قاض فالحكم قد نعل الكبير !

ولزلت هذه الكلمات عليه كأنها الصواعق خاصة وأن المكان كان به عدد غير قليل من العائنين بالوزارة فرجع إلى صوابه ، بعدما علم أنه سيقابل بكل ما يقوله برد حاسم ، وكعادة الباطل يرجع في الشدة إلى الاستشارة كما حدث من فرعون عندما قال لمن حوله : ماذا نمزج ؟ ومنى كاد يستشير أو يهزأ ؟ وهو الذي قال : ما أريكم إلا ما أرى وقال : أنا ربكم الأعلى وقال : ما علمت لكم من إله غيرى ، ولكنه لما رأى العما أمامه شمر بهرة عبدة في عفوانه وتضخم وخزى داخل بلسه المستكبرة فرجع يستشير .

هكذا نظر السيد المحقق إلى الشيلين اللذين استدعاهما لحضور هذا اللقاء العاضب وقل لأحدهما : ما رأى فضيلتكم في هذا الكلام الذي سمعته ؟ وكان يقطن أن الرجل سيجامله ويؤيده ويصمه بالحكمة والحزم لكن الرجل عني كان على مستوى المستولية أمام الله فقال له : ما كان ينبغي أن يأخذ التحقيق دور الخصومة بينك وبين هذا الإمام الذي يدعو إلى الله على بصيرة !!

لهبت وعفت صوته وخياً جيروته فوجهه بالسؤال إلى الشيخ الثاني يستشيره الرأي فقال له الشيخ : ومن الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إذا لم يكن الدعوة إلى الله هكذا ؟

ثم قال له إن الرجل لم يتجاوز حدود الرسالة ثم سأل له اخديش النبوى الشريف : ولأمرن بالمعروف ونهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعوهم عماركم فلا يستجاب لهم ؟ .

واستطرد قائلا : لو وضعنا الأمور في نصابها وسمينا الأشياء بأسمائها لقدمنا هذا الإمام
الشكر جزاء ما حمل عنا هذا العبء في الدعوة ؛ فإن الخير يجب أن يقابل بالخير ، هل جزاء
الإحسان إلا الإحسان !!

ثم قام الشيخان وعانقاني ودعوا الله لي بالتوفيق والسداد وشعر ذلك المحقق بانطفاء في
قلبه وكأنه يجلس على الأشواك واخصى ، تظله سحابة دكناء ونجم محترق !!

لقاء عاصف

في يوم من أيام شهر أغسطس والشمس تضرب وجه الأرض بسياتها الحامية ، وقد
سال منها لعاب كانهل يشوى الوجوه ، توجهت لتحقيق بدعوة من وزير الأوقاف وكان
شيخنا معهما ولما ذهبت إليه قيل لي : إنه قد سافر إلى مدينة الاسكندرية فلت سبحان الله قوم
تهب عليهم نسائم البحر تحمل في ثناياها فترات الندى ممطرة بأعراف الزهر وقوم يفتحهم
قيظ الهواجر من فيج جهنم لكن وكيل الوزارة أرسل إلي من يقول لي : إن السيد الوزير قد
كلفه بأن يحقق معي ودخلت لتحقيق وقد أحضر حوله بطاقة تؤيده فيما يقول وتؤمن على
كلامه .

وكانت التهمة الموجهة هذه المرة : إنني رددت على الذين أرادوا أن يعدلوا قوانين الله
في أحكام الأسرة والمتعلقة بالزواج والطلاق ولما بدأت أحدث وأرد دخل في الحديث شخص
غريب على التحقيق وسألته ما شأنك ؟ فقال وكيل الوزارة ألا تدري من هذا ؟ إنه المستول
عن الأمن في الوزارة فقلت : إن المسألة علمية لا تتعلق بالأمن إنما تتعلق بأحكام الله ولا شأن
له بذلك وكانت العاصفة كرماد اشتدت به الريح وأوعد وهدد كعادته ، وانصرفت من عده
وأنا أعلم انه قد بيت شرا مستظرا ولكن الله غالب على أمره .

عبد الحميد كشك

المجلد السادس

من كتاب

قصة أيامي

عبد الحميد كشك

بسم الله الرحمن الرحيم

استدعاء بسبب القذافي

كان الخلاف محتمدا بين حكومتى مصر وليبيا ، وكان بالطبع خلافا سياسيا وقد حدث
أن حاكم ليبيا تعرض للإسلام في أمور كان لابد من الرد عليها ودفع به ذلك الجموع
أو جوع إلى أن ينكر الاستدلال بالسنة النبوية الشريفة . ولقد سمعته بأذى وأسى عن صديق
الإدعة يقول هذا الكلام الذى فيه استهانة بسنة خير الأنام ، بل لقد قال كلاما لا يبيح
صاحب الرسالة العصاء .. وكان لابد أن يقول المنبر كمنته ؛ ليرد الحق إلى نصابه ، ويصل
البيس . ونوكره بخرمون .

وتفتت خصة بيئت فيها مكانة السنة من القرآن الكريم ، وأنها بمثابة المذكرة
تفسيرية لأيات الكتاب ، كما أنها تأتي مؤكدة لما فيه من معان ، كما تأتي مفصلة لما فيه من
مصرى ... وكان ذلك كله يتوفى من الله وفضله لكن الأمر الذى لم أكن أتوقعه أن يصنى
سنداء كعادته ، وذهبت لأقف على حقيقة هذا الموضوع فكان الاستجواب خدسا بمهجة
غدى : إذا تهجم العقيد ؟ فقلت : وأى شيء في هذا ؟ إنه ليس هجوما كما تدعون
بل هو دواعى الحق . لقد كان الأول بهذا السؤال أن يوجه إلى إعلامكم بمحتلف قوته

مقروءاً أو مرويّاً أو مسموعاً أو معروضاً .. قاتوا : ولكن تلك قوات شرعية . قلت : بل على قوات قانونية ، أما القوات الشرعية فهي المنبر الذي ينطق بلسان الإسلام .

وعجبت : أحرام على هلاكه الدوح حلال تخيير من كل جنس ؟

أو كما يقول القائل :

إذا قلت يا ليل استسلم سيوفكم وإن قتم يا همد استحيتم نفاق

أ إذا قال غبري ترددون قوله بشي اللغات ، هذا نطق الإسلام ونطقه الحق وقوله الصدق يوضع في قصص الانبياء ويكتفى بالقيود والأغلال : ما لكم كيف تحكمون أم لا تذكرون ؟ أم لكم سلطان حين قاتوا بكتابتكم يا كتم صادقين .

لكنني علمت أنها سياسة لذلك مع خمل ، ورددت قول شاعر النيل حامض إبراهيم :

أمن العدل أنهم يردون الـ ماء صفواً وأن يكدر وودي ؟

أمن الحق أنهم يصفون الـ آمد منب وأن تُثبّد أسدى ؟

عالم يخشى الله

دعكم هو الشهيد الشيخ محمد حسين نسفي ، نولي وزارة الأولاد وفوجئت بعد توليته الوزارة بأنه يطلب بالشفاء به في الوزارة وذعت إلى هناك ولي نفسي أفكار وأفكار : إن الرجل لم يرض على توليته إلا وقت قتيق ، فهو استطاع انخضون أن يهكروا ليصادوا وأن يسموا بالواقعة بسى وبه ؟ لكنني ما تشفتت به رأيت فيه الشهامة والرحولة وكرم الأخلاق ، فما أن علم الرجل بقدمي عليه حتى قد من باب غرفة المكتب واستقبلني بخفاوة تدل على أن العلم رحم بين أهله ، وأن الإيمان هو خير مؤلف للقلوب ، قال تعالى : ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ، لَوْ أَنفَلتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا آَلَفْتُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

وأخذنا تتجاذب أطراف الحديث فيما بيننا ، ونفسه . أنه عل أنه ما جاء في إليه إلا لأن ذهب إلى المسجد يوم الجمعة ليدلي هناك لكن لشدة توجده وضيق المكان لم يجد مكاناً يصل فيه ، فصلى على درج السلم . وكان اللقاء طلياً مشرقاً ، فقد كان يدور حول مهب الدعوة إلى الله . وبين الخطوط الأساسية ما المصح ، وأهم القصص حتى يجب أن يتحلل بها الداعية .

ولأمر الذي جعلني أشبه لهذا الرجل بالشهامة في حرص الهاتف دق في مكتبه وكان اشتمت من مجلس الوزراء ، ويهت من الحديث أنه يتيق : إن بحس الوزراء قد اجتمع

فعلبك بالخضور ، ورد الرجل بصرامة لا تنقصها الصراحة وقال : إنني في مقابلة مع الشيخ كشك . ولا أستطيع أن أحضر حتى تم تلك المقابلة ، ورأيت من الواجب أن أستأذن .. وما هممت بالانصراف وقف الرجل مودعاً واستغرق في الوداع وقفا وصلنا فيه من الحديث ما كان قد انقطع ، وكأنه لا يريد لهذا اللقاء أن ينقضي لولا الضرورة . وسألت الرجل الله فدهوت أنه له أن يكتم من أمثاله ، فأثله قليل ، فالرجولة عنة نافذة والرجل قليل .

جامعة النبا

تحدثت بانصادات يهاجني في أجهزة الإعلام ويقول لي كلماته وباللغة العامية والأحمر من كدة إهم استدعوا شيخ كشك وما لم يحضر قاموا بالمظاهرات ، ثم ختم هذا لكلام بكلمة تنفضر من فم كل من صبح الأفاضل . قال : . وأنتم عارفون الشيخ كشك جعل به . ولتبه بين ماذا أعمل . يا عملي - والله تعالى يزيد الحمد - كان لله . وفي الله . ومع الله . والله . في إن صلاق ونسكي وعجاي وتعالى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت به . ليته وشيخ مد عمل ، لكنه ترك العبارة هكذا صيغة ، لذهب فيها النفس كالمدف ، ولكن بحمد لله كنت أؤدي عمل وأشخص ضالعة ، وعن مرأى وسميع من الناس . ماذا كنت أعمل ؟؟ إنه الذي يحاولون أن يهروا انتراب على السماء فسوف يهرونه على أنفسهم ، ونفى السماء هي السماء ضاحكة السن بسامة الهيا ، لقد أثارت نكت الكلمة التي قاها بمحاور الناس عني . وضوا أسي لا محنة سأعقل عما قريب ، وأردت أن أهد نكت الوسواس عن صدور الناس ، فكان ذلك يوم الجمعة فقد خصصت الخطبة يومها على نكات على أشداً . وعشت فيه من تبين كريمين ، عشت فيها مع خليل الرحمن إبراهيم عندما أشعلوا له النار ، وانفعلت نكتها منك حجاب خليل ، وحامه الأمين حبريل وقال له : ألك حاجة لي يا خليل الرحمن ؟ فقال : وكيف أحتاج إليك وأسي الذي أرسلك ؟ أنا في حاجة إلى الله وحده . قال له جبريل : إذن فاسأله . قال الحليل : حسي بسؤال علمه بخالي . حسي لله ومع الوكيل .. وكان الحليل يردد هذه الكلمة عندما أتني في النار ، فهي أمان الخائف .. لم يقد ذلك استشهدت بموقف رسول الله ﷺ عندما طلب منه عنه أبوضب أن يدع هؤلاء القوم وشأنهم فأغرورقت عباه بالدمع ، وقال كلمته التي سارت بها الركبة ما تعذب المنون واختلف حديدان . قال : يا عمي . والله لو وضعوا الشمس في

يبنى وانتم في يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه .
فقال له عنه أبي طالب : يا بن أخى قل ما شئت فوالله لا أسلمك إليهم أبدا ثم أنشد :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم
حتى أوشد في التراب دفينا
ولقد علمت بأن دين محمد
من خير أديان البرية دينا

استدعاء من وزارة الداخلية

استدعاني النبو إسماعيل وزير الداخلية ، ودمت إلى مبنى الوزارة وأخذ يذكر لي ما حدث في جامعة المنيا ، وهو الموضوع الذى ذكره السادات في خطابه وأجبرتني بأن الجامعة أرادت أن تقيم حفلا ساهرا يقوم فيه بعض الخطرين باللقاء ، ولكن الطلبة المتدينين رفضوا إقامة هذا الحفل وقاموا بطبع إعلانات كتبوا فيها أن الشيخ كشك سيحضر إلى الجامعة لإلقاء محاضرة دينية . ثم أضاف الوزير قائلا : ونظرا - لك من رصيد في قلوب الناس فقد اجتمعت حشود غفيرة وتوافدت الكتل البشرية من جميع محافظات الصعيد على مبنى الجامعة ، فقام بعض الطلبة وأعلن أن الشيخ كشك كان في طريقه إلى إلقاء محاضرته ، ولكن رجال الأمن منعه فاضجر الموقف وصافت نظائره بشوارع المدينة ، ورفعت التقارير إلى رئيس الجمهورية بما حدث ، فقلت : وكيف لم أسمع بشيء من هذا ؟ فلم توجه إلي دعوة ، ولم أسافر ، ولم أسمع ، فكيف تكذب على هذه التقارير دون أى علم منى بما حدث ؟ والله تعالى يقول : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصيبوا على ما تعلم نادمين ﴾ . فقال لي النبو إسماعيل : « إننى من جهنم سأقوم بتصحيح ما حدث لدى رئيس الجمهورية » .. وعلمت أنه كلام لا مضمون له إلا أنه يقصد به مهددة الحواضر ، وانصرفت وأنا أردد هذه الكلمات : « حسي الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله » فقد استقر في مخيلتي أن هناك شرأ ليئت إذ كيف يحدث هذا الذى كتبت عنه التقارير دون أن يعلم صاحب شأن شيئا عنه ؟ إن هذا لشيء يُراد . لقد بلغ من المناسة أن يقول السادات عنى ما نسي له به علم . أتيس من الخطأ الجسيم أن يقول الإنسان ما لا يعلم ؟ وأن يُعلم قبل أن يتعلم . ولا يدف أن يتم وإذا أتم لا يتدم . سبحان هذا بهتان عظيم !! وكفى السجن من مصومين وكفى في هذه الأرض من ضالين وسبحان من سيقول للمظلوم يوم القيامة : أيها المظلم قدّمه ، ويقول للمظالم : أيها الظالم لا تتكلم ، هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون . سبحانك ربى يا صاحب العزة القائمة ، والملكة الدائمة ، يا من تقول للظغة يوم حساب : « هذا يوم الفصل جمعاًكم والأولين » . فإن كان لكم كيد فكيدون .

فيا بن آدم :

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً
فالظلم ترجع عقابه إلى الندم
تام عينك والمظلوم منته
يدعو عليك وعين الله لم تغم
الليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر ، والتمر مهما طال فلا بد من دخول القبر :
غدا تولى النفوس ما كتبت
وبحصد الزارعون ما زرعوا
إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم
وإن أساءوا قبيس ما صنعوا

دعوة من وزير الإعلام

في يوم من أيام شهر رمضان حمل البريد إلي خطابا كتب عليه « عاجل وهام » فوضعت في مكتبتي بالمسجد وذلك لاشتغالي بشئون المسلمين الذين جاءوا يستفتون في مسائل تتعلق بالأحكام الشرعية ، وأنساني الله أن أفتح هذا الخطاب لأعرف ما فيه ، وكان الله تعالى في ذلك حكمة بالغة ، إذ بعد أيام من استلاء الخطاب تذكرته ولما قرئ على عرفت أن فيه دعوة موجهة من وزير الإعلام إلى الدعاة الإسلاميين لحضور اجتماع مع رئيس الجمهورية في استراحته بمدينة الإسماعيلية وأراد الله أن أفتح الخطاب بعد فوات الموعد ، وكان الحق جلّ جلاله أراد أن يكفينا مؤنة التفكير في قبول الذهاب أو الرفض فهو سبحانه وتعالى يعلم أننى لا أحب التردد على هؤلاء ، ولا محالستهم « إذا رأيتم العام يغشى بيوت الأمراء فاتهموه في دينه » . وكان عبدالله بن عمر يقول : « لا تجمعونا ظهورنا جسورا إلى جهنم » . وكان الإمام ابن الجوزى رضى الله عنه يقول : « إنى لأظن طول الليل أنقلب في فراشى أبحث عن كلمة أَرْضى بها السلطان ولا أغضب بها الله فلا أجده » .

لقد أراد الله غيرا عندما أنساني أن أفتح ذلك الخطاب وشغلتنى بأمر المسلمين ، فقد عُقد الاجتماع بين بعض الدعاة وأنور السادات وكان ذلك ليلة القدر عام ١٣٩٩ من الهجرة - ١٩٧٩ ميلادية . وقد حدث صدام بين السادات وبين الأستاذ عمر التلمسانى قال فيه الأستاذ عمر للسادات : « لو كان بينى وبين أحد الناس خصومة لرفعتها إليك . أما والخصومة بينى وبينك فإنى أشكوك إلى الله فقال له السادات : اسحب شكوكك يا عمر ، فقال له : لا أسحبها لأننى أشكوك إلى عادل لا يظلم عبده أحد .

وكان هذه الكلمة وقع عظيم في قلوب أهل الحق لأنها كلمة حق عند سلطان جائر . فإن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه فقد يؤذع منهم .. قال عليه السلام : « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، وإلا يسلمن الله عليكم شراركم ، فيدعو خياركم

وعتبت تلك المؤسسات الأسرة والمسجد والمدرسة والإعلام بأجهزته مفرّوماً ومسموعاً ومرتباً ومعرضاً . فإن هذه المؤسسات إذا لم تتسبب فيها آتت أكلها ولم تنظم منه شيئاً ، وذلك إذا قامت على بناء النفوس بناءً أساسه القيم الأخلاقية والمثل العليا .. وأسألوا التاريخ عن مسجد رسول الله الذي تخرج فيه أساتذة الأخلاق وأساطين الفكر وجهابذة الإصلاح .. أسألوا التاريخ عن المصلح العظيم أبي بكر ، والزعيم العظيم عمر ، والحسن الكريم عثمان ، والفقير الفدح علي ، والفتى الحبيب ابن عمر والمحدث العظيم أبي هريرة والفقيه الجبار خالد ، والزاهد الورع أبي ذر ، والفيلسوف البارع سلمان الفارسي .

ماذا نال لي شيخ الأزهر ؟

بعد أن انتهى الاحتجاج وحملت بالانصراف ، أخذ شيخ الأزهر يهدي إلى مكتبه وقال لي : لماذا أغضبت الرئيس منك ؟ قلت له : لا أدري وأريد أن توضح الأمر لي ، فقال : لماذا لم تذهب إلى الاحتجاج الذي دعاك إليه في الإسمايلية في رمضان ؟ فقلت له : لأن الله أراد ألا أحضر . وشرحت له : كيف تسببت أن أضح الحطاب حتى تسببت الموعظ المضروب واستشهدت بذلك الحديث القدسي الجليل : « عهدي أنت تريد وأنا أريد ولا يكون إلا ما أريد » . فإن سلّمت لي فيما أريد كفيتك ما تريد وإن لم تسلم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد ولا يكون إلا ما أريد .

ثم سألت الشيخ : وما الذي أعلم فضيلتكم أنه غاضب مني ؟ قال : لقد كنت أجلس عن يمينه وقد سألت وزير الإعلام وقال له : أقم بمحضر ؟ فقال له الوزير : نعم لم بمحضر . فنهض الرئيس وأمس غضباً . قلت له : يا فضيلة الشيخ ولماذا لم تحاول أن تقول كلمة تطفئ بها غضب القلوب ؟ فقال : إنك تستطيع أن تقدم الآن اعتذار عما حدث . فقلت له : وهل أحضأت حتى أعتذر ؟ فقال : ألا تعلم أننا نمش في ظل الرئيس ورعايته ؟ فقلت له بلسان اليقين ومنطق الحق المبين : إن ولّيت الله الذي نزل الكتاب وهو يتوفى الصالحين . وألقيت السلام وانصرفت وأنا أردد آية الكرسي التي اشتملت على الحلال والكحل والجمل ووصف الله تعالى بالحي يتخبر الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، ووصله بالتمني العظيم . فهذا هو الذي نعمت في رعايته وعنايته ونحوه ورزقه . يرحم الله شيخ الأزهر فقد حق بالدر الأخرى وعلم أن ما عهد الله خير وأبقى . ولكن أدل المحرص أعان الرجال .

تأخذ لو عاش الفتى في دهره ألفاً من الأعوام مالك أمره
مطلوذاً فيها بكل نسيئة متعمداً فيها بنعمي هممه
لا يجره السقم فيها مرة كلا ولا ترد المصوم بهاله

ما كان هذا كله لي أن يني بحث أول ليلة لي لسيرو

قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لنفي الدين الحسن البصري : يا حسن عطى وأوجز . قال : يا أمير المؤمنين صم عن الدنيا وانظر على الموت ، وأعد الزاد لليلة صباحها يوم القيامة . وقد قيل للحسن رضي الله عنه : يا تقي الدين ما سر زميلك في الدنيا ؟ فقال : زهدت في الدنيا لذرة أسباب : علمت أن رزقي لا يأخذه غيري فأطمأن قلبي . وعلمت أن عملي لا ينجو به سوى فاشتغلت به . وعلمت أن الله مطلع على فاستحييت أن يراني على معصية . وعلمت أن ثنوت ينتظر فاعدت الراد لقاء الله تعالى .

يا ابن آدم :

لا تحضن مخلوق على طمع فإن ذلك نقص منك في الدين
لن يقدر العبد أن يعطيك غردلة إلا بالذن الذي سؤاك من طين
فلا تصاحب فيها تستعزبه وكن عليها وعظم حرمة الدين
واسترزق الله كما في خزائنه فإن وذلك بين الكاف والوثن
واستغن بالله عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

استمع أخى إلى تلك الصائح النبوية :

عيك بالإلهاس بما لي أهدى الناس وأذ صلاتك وأنت مودع وإياك والطمع فإنه الفقر
الحاضر ، وإياك وما ينظر به وأعلم يا أخى أنه من أصبح حزياً على الدنيا فقد أصبح ساحطاً
على ربه ، ومن شكاً مصيبة نزلت به فكأنما يشكو الله عز وجل ومن قعد إلى غنى لبس من ماله
فقد ذهب ثلثا دمه .

دنياك ساعات سرع الزوال وإنما العقبى خلود الخال
لهل تبسج الخلد يا غافلاً وتشغرى دنيا الشئ والصلال
دنيا ساعة فاحملها ساعة . النفس ضاعة عودها الضاعة

فتن وعجن

في سنة ١٩٨١ تلبدت السماء بالغيوم وغابت الشمس وكفهر الأمن وذلك عند وقوع
صده بين المسلمين والصاري على أرض مسجد الذير لي حتى الزاوية الحمراء لي ١٧ يونيو
١٩٨١ . سالت دماء وتحركت عواصف الفتن وأبدر خو بأوجم العواقب

كنت في تلك الأيام في إجازة سنوية ، ولما تراءت إلى سمعي تلك الأنباء قلت إن هذا شيء بُرد ، وسألت ربّ اللطف فيما جرت به المقادير فقد كانت كل الأحداث تشير إلى أن هناك أمورا خطيرة متوقعة ، واستأنفت الخطابة يوم الجمعة ٢٦ يونيو ١٩٨١ ، وكنا على مشارف شهر رمضان ، ودعوت المسلمين إلى اليقظة الثامنة ، وأن يكونوا على مستوى المسؤولية ، وألا يسترجعوا إلى معارك جانبية يكون وراءها شر مستنظر ، فإن معظم الناس من مستنصر الشر ، وذكرت أن هناك قوماً يهكمرون ليصطادوا ، وذكرتهم بأحداث حصلت في التاريخ ، استطاع اليهود أن يثيروها ويفخروا في غارتها .

وتحرّكت الأحداث .. وبعد أن انقضى رمضان فوجئت بتحقيقات موجهة إلىّ لم يسبق لها مثيل . فقد كان التحقيق يدور حول خطبة واحدة ، ولكنه هذه المرة ، دار حول عشر خطب مرة واحدة وقضيت الساعات الطوال بين سؤال وجواب . وكان من أغرب الأسئلة : لماذا لم تذهب إلى مكان الفتنة لتلقى كلمة بين المتصارعين ولقد كنت ساعتها في إجازة قضيتها في بلدي ، فماذا كنت أصنع ولم تصلني أخبار المعركة إلا بعد أن هدأت ؟ ولما استأنفت الخطابة ، وجهت اسمي إلى ما يرضى الله ورسوله بعيدا عن كل غرض دنيوي دنيء .. ولكنني شملت رائحة الشر تغسّد الهواء النقي وتعمّر الماء العذب .

وبعد انتهاء هذا التحقيق بأيام قلائل جاءني استدعاء من وزارة الداخلية سئلت فيه عن أمر لم يخص لي على بال : قال لي المحقق : هل ذهبت منذ أيام إلى أسوان ، وألقيت محاضرة دينية بها ؟ قلت : إن كان ذلك قد حدث فقد علمته ، إنني لم أذهب إلى هناك وبالتالي لم أحاضر . ثم سئلت : ما هو المنهج الذي تسير عليه في دعوتك ؟ وأجبت : إنني أستمّد منهجي من كتاب الله وسنة رسوله ، ففيهما المنهج الكامل الذي ينظم أصول العقائد وشعائر العبادات ، وشرائع المعاملات ، ومناهج السلوك ، ومبادئ الأحكام ، وقواعد النظام . قال تعالى : ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾ . وقال ﷺ : « كفى بقوم ضلالة أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إليهم إلى ما جاء به غيره إلى غيرهم » ثم تلا قوله تعالى : ﴿ أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ﴾ وقال صلوات ربّي وسلامه عليه : لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، ولو كان أخى موسى حيا ما وسعته إلا اتباعي .

وانتهى التحقيق ثم انصرفت .. وبعد أيام استدعاني السيوي سماعيل ليقرأ عليّ شكوى قدّمت ضدي ، وبعد أن انتهت من قراءتها على مسامعي سألته : هل وقع عليها كاتبها ؟ قال : نعم .. قلت : فما اسم صاحبها ؟ فذكر لي اسم أحد كبار شيوخه . قلت : إن كان ذلك كذلك ، فليس فيما كتبه همّة توجّه إلىّ إلا كما يقول القائل :

ولا عيب فيهم غير أن سيولهم .. بين قلوب من قراع الكتاب

ثم قلت : إن ما احتوته تلك الشكوى إن دلّ على شيء فالغالب على أن صاحبها قد هاجت عقارب البغضاء في صدره ، وتحركت تعابير الحقد في قلبه ، وأسأل الله له الشفاء من الحسد فهو الداء العضال ...

وانتهى التحقيق وانصرفت ، ولكنني كنت أتوقع أن الأمر ليس أمر شكوى يُقدّم من حاقّد أو همّة يختلقها حاقّد . لقد كنت : أرى تحت الرماد وميض نار ويوشك أن يكون له نار . فقد بدأت الصحف المالية للحكومة تُصدّق من نبرة التهديد بالاعتقال والوعيد للمستمسكين بالدين ، وسلّمت الأمر لصاحب الأمر مرددا قوله تعالى : ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ .. فحين عبّذه ، والوجود منك ، والقضاء حكته ، وكل الكائنات ضوع إرادته .. لقد تنزه عن الشريك ذاته وتقدّست عن مشابهة الأغيار صفاته ، بالبر معروف ، وبالإحسان موصوف ، معروف بلا غاية ، وموصوف بلا همة ، واحد لا من قلة وموجود لا من علة . كل شيء قلم به ، وكل شيء خاشع له . عز كل ذليل ، وغنى كل فقير وقوة كل ضعيف ، ومنزع كل ملهوف ، واحد بلا عدد وقديم بلا عمد ، ودائم بلا أمد ، علا فقهر ، وبطن فخبر ، ومثلك قدس لا يشغله سائل ، ولا يقصّه نائل ، من تكلم سمع نطقه ، ومن سكت عنه سره ، ومن عثر فعليه رزقه ومن مات فإليه منتقله . ﴿ وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون ، وانتظروا بنا منتظرون والله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه ، وما ربك بغافل عما تعملون ﴾ .

دع الأقدار تفعل ما تشاء	وطب نفسا إذا حكم القضاء
ولا تجزع خادثة الليالي	فما لحواث الدنيا بقاء
وكن رجلا على الأهوال جلدا	وشيمتك الساحة والوفاء
يغضى بالساحة كل عيب	وكم عيب يغطي الوفاء
إذا ما كنت ذا قلب قنوع	فأنت ومالك الدنيا سواء
ومن نزلت بساحه المنايا	فلا أرض تقيسه ولا سما
وأرض الله واسعة ولكن	إذا نزل القضاء ضاق الفضاء

سبحانك ربّ أدعوك إذا ما احتدمت أغنى ، فأجد في رحابك السكينة والطمأنينة :

يا رب حبك في دمي وكياني	نور أغرّ يذوب في وجداني
أنا لا أضام ولى رحابك عصمتي	أنا لا أخاف ولى رضاك آمالي

أنت الحق ووعدك الحق وقولك الحق ولقاؤك حق والساعة حق والجنة حق والنار حق ، والنيون حق ، وعمد حق .. اللهم لك خاصمت ، وبك حاكمت وعليك توكلت واليك أتيت ، فاغفر لي ما قُتلت وما أُخِرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت إلهي ولا إله إلا أنت .

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
إن كان أهل التقى فازوا بما عملوا فمن يجود على العاصين بالكرم

أدعوك بما دعاك به نبيك محمد ﷺ يوم الطائف ، وقد تكالبت عليه قوى شر من كل ناحية ، فما وهن وما استكان وما ضعف فقد سالت منه الدماء الزاكية عد ما رماه الصبية والسقهاء بالحجارة ، أخذ يردد تلك الكلمات التي تكاد السماوات تنفطر منها وتنشق الأرض لها وتخر الجبال لها جلالها : اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس . يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت رب . إني من تكلني : إني أعيد بتجهنمي أم إني أعدو ملكته أمرى . إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ولكن عفتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل في غضبك أو يحل علي سخطك . لك العتي حتى ترصني ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

حق جلال الله إذ يقول : ﴿ ولله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم . قل أغفر الله ثمخذ وليا فاطر السماوات والأرض وهو يطعم ولايطعم . قل إني أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين . قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم . من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين . وإن يسلك الله بصرك فلا كاشف له إلا هو . وإن يسلك بصر لهر على كل شيء قدير وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ﴾ .

إلهي ما أعظمك :

ما منسى قدر بكره أو رضا إلا اهتديت به إليك طريقا
أضئ القضاء على الرضا متى به إني عرفتك في البلاء رفيقا

الخطبة رقم ٤٢٥

في يوم الجمعة الثامن والعشرين من شهر أغسطس ١٩٨١ صعدت المنبر وكنت أشعر وأنا أصعد درجة بسخونة الأحداث وارتفاع درجة حرارتها ، فقد كان كل شيء ينذر بوقوع أشياء جسيمة وحضرة ورأيت في مقدمة الخطبة أصرخ بأعلى صوتي قائلا : اتق الله أيها الخضم ، فليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر ، والعمر مهما طال فلا بد من دخول لغير . إذا غرثت قولك فانظر إلى قوة العزيز الجبار من فوقك . اتق الله فالبر لا يلى . اتق الله فانك لا تفسى . اتق الله فالديان لا يموت . اعمل ما شئت كما تدين ثدان .

يا مالم الليل مسرورا بأوله إن الحوادث قد يأتين أسحارا

وضحت أردد كلمات فيها التوعيد للظالمين ، وكأنني كنت ألقى خطبة الوداع : ﴿ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون . إنما يؤخروهم ليوم تشخص فيه الأبصار . مبعضين مقضى رءوسهم . لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء . وأنذر الناس يوم يأتهم العذاب . فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجيب دعوتك وتب الرحمة . أو تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال وسكنم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال وقد مكروا مكروهم وعد الله مكروهم وإن كان مكروهم لتزول منه الجبال . فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله . إن الله عزيز ذو انتقام . يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار وترى المغرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد سرايلهم من قطران ، وشفى وجوههم النار ليجزى الله كل نفس ما كسبت إن الله سريع الحساب هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب ﴾ .

قد حدثت في هذه الخطبة عن العدة الاجتماعية في الإسلام . واستشهدت على ذلك بعصر الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز رحل الله كان يخاف الله يحبه من يعتقد أن الشر لا حق إلا به وحده ، وكان يقول : لو أن منادي نادى يوم القيمة كل الناس يحدون أخا ولا واحد خشيت أن أكون أنا ذلك الواحد . وقد ذكرت أن تركاة جمعت في عصر عمر بن عبد العزيز فلم يجد فقيرا أو مسكينا بأحدهما ، وكان أرحام الدولة عفت أن تلد مسكينا . فأنصبر قررا إسلاميا يفيض رحمة وأمانا وضمانية وسكينة ويشع نوراً وبهاء وسنا .

وضياء قتل فيه : « أيما شاب أراد الزواج فزواجه في بيت مال المسلمين » فزوج الشباب وبقي من المال شيء كثير وأصدر قراره الثاني الذي يقضى بأداء الدين عن المدينين فأدّى الديون من بيت مال المسلمين ، وبقي من المال شيء كثير .. فأصدر قراره الثالث : « إيما عبد كاتبه سيده فأداء ذلك في بيت مال المسلمين » فأعقق العبد ، وبقي من المال شيء كثير .. ذلكم هو عمر بن عبدالعزيز الذي سأل عامله على مصر : كيف تركت الناس ؟ قال : يا أمير المؤمنين تركت الناس وغنيم موفور وفقيرهم مجبور وظالمهم مقهور ومظلومهم منصور .. لقد وسع عدلك جميع الناس ذلكم هو عمر الذي كان في عصره يرعى الذئب الغنم ، وسئل في ذلك ، فقال : أحصيت ما بيني وبين ربي ، فأخلص الله ما بين الذئب والغنم .. وما عنم الرعاة بموته إلا عذب رأوا الذئب يأكل الغنم .

خملت أمرا عظيما فاصطبرت له وقمت فيه بأمر الله يا عمر

إن لإسلام بعدائه قد وسع ناس أجمعين ، وبرحمته ألف بين قلوب المؤمنين ، ولو عد من يبايحه الصافية ونهنا من شبه العذب المورود ، ما كان بيننا جانع ولا عريان ولا مغلوب ولا مهضوم ، ولا فترت الخفون من المدامع ولا ضمأت الجيوب في المضاع ، ونحت الرحمة الشفاء من المجتمع ، كما يحو نور الصبح مدد الظلام ، إنه الإسلام الذي يقول بلسان حبه ومقاله : « أيها السعداء أحسنوا إلى البائسين والفقراء ، وامسحوا دموع الأشقياء وارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » .

ولله لو أكرمنا كتاب الله ما أهنا أحد ، ولو طبق أحكامه لرغرت راية الخيب محمد على كل بلد ، ولو اتبعنا هدى الله ما رأيت في الطريق سائلا ولا في البيوت عاضلا ولا في السجون قاتلا . ألم يقل نبي الرحمة : « من كان لنا عاملا وليس له مسكن . فليتخذ له مسكنا . ومن كان لنا عاملا وليس له دابة فليتخذ له دابة . ومن كان لنا عاملا وليس له زوجة فليتخذ له زوجة » .. أهناك عدالة أرحب أفقا وأخمل رحمة من تلك العدالة . لسا في حاجة إلى أن نجرب الشرق أو الغرب والله ينادي علينا ويقول : « فأي تذهبون . إن هو إلا ذكر تعالين . لمن شاء منكم أن يستقيم » ألم يقل نبي الإسلام : « من كان أخوه يعمل تحت يده فليطعمه مما يطعمه وليس له ما يلبس ولا تكلفوه من العمل ما لا يطيقون ، فإذا كلفتموه فأعينوه » .

وحملت الخطبة وصليت الجمعة ، وألقيت الدرس بعد الصلاة وانصرفت .. ولم أكن أدرى أن هذه آخر خطبة وأن هناك نيات بيها الحاكم ، وأن الرياح قد تأتي بما لا تشتهي السفن ولكن الإيمان يهون دونه كل شيء « ويسألونك عن الجبال فقل ينفسها ربي نسفا فيلزمها قاعا صافصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمنا » . ولن يصح إلا الصحيح « فأما الزبد

فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » .. إن الله لا يجعل كعنة أحداكم ، إن الله ليلى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ، اقموا إن شئتم : « وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ، إن أخذه أليم شديد » .

صدقت ربنا وبلغ رسولك ، فالحرمان لا يدوم وإذا دام لا ينفع والظلم لا يدوم ، وهذا دم دمر :

وكم من جبال قد علت شرفاتها رجالا فزالوا والجبال جبال والناس لو تحولوا إلى كناسين لشيروا التراب على السماء فلسوف يثرونه على أمسهة وبقى السماء هي السماء ضاحكة السن بشامة أهيا .

إن الجواهر في التراب جواهر والأسد في قفص الحديد أسود ملا أمان للدهر ولو صفا ، ولا أمان للمال ولو كثر ، ولا أمان للسلطان ولو قرب منك ، ولا حيلة في الرزق ولا شفاعة في الموت ، ولا راد لقضاء الله ، ولا معقب لحكمه ، ولا راحة إلا بعد لقاء الله .

يا باري الكرم في عز وتمكين وكل شيء جرى بالكاف والنون يا من لطف بحالي قبل تكويني لا تجعل النار يوم الحشر تكويني

ليلة القبض

« ولبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والترات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون » .

يا أم حبيب أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مسته البساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب »

يا أم حبيب أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين »

« ولبلونكم حتى تعلم المجاهدين منكم والصابرين ولبلو أخباركم » .

« ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » .

صدق الله وبلغ رسوله ونحن على ذلك من الشاهدين أشدكم بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأئمة فالأئمة .

يئل المرء على قدر دينه

ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا غم ولا حزن ولا أذى حتى يشركها يشاكها وصبر عليها إلا كفر الله بها من خطاياها .

﴿ إنما يول الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

﴿ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴾

﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ ﴿ رَاسِعُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ مَلَأُوا رُءُوسَهُمْ وَأَنَّهُمْ إِلَهٌ وَاجِدُونَ ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَاصْبِرُوا وَابْتَغُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَنَعِيدَنَّ فِي مَلْعَانِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهَلِكَنَّ الظَّالِمِينَ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدَ وَاسْتَغْنَوْا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِدٍ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيَسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَجْعَلُوه وَلَا يَكَادُ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَبَّانِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَادٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ .

ما أعد الله حكم الله وما أسرع حسابه وما أحكم نضائه وهل أهلك هؤلاء إلا ما قالت لهم رسوله ﴿ إِنَّ مِنْكُمْ لَأُولَئِكَ الْبَشَرِ مِثْلَكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى كُلِّ نَفْسٍ فَجَرٌ مُبِينٌ ﴾ .

صليت المشاء يوم الأربعاء الثاني من شهر سبتمبر ١٩٨١ واستمعت إلى أسئلة المصلين وكنت كمادني آخر من يعرف من المسجد ذهبت إلى بيتي وأخذت أدرس العلم وأمل على الموضوعات في كتاب فتاوى علي، وقد جعلت يوم الأربعاء موعداً للإسلام وبعد أن انصرف أحيى وصديقي عبد الرحمن الزبي الذي كان يقود بالكتابة ذهبت لأنام وكان بجانبني طفلي (مصطفى) الذي بلغ الثالثة من عمره وأخذ كمادني بمضغتي بوابل من الأسئلة حتى

قلت له يا (مصطفى) لقد حان الوقت لنام فقد أوشكت دقائق الساعة أن تعلن الثانية . قبل المحر وما أن فرأت أذكر اليوم . اللهم أسلمت نفسي إليك ، ووجهت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك وأجأت ظهري إليك ، وغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك ، آمنت بكاتبك الذي أنزلت وكتبك الذي أرسلت .. ما أن فرغت من قراءة هذا الدعاء وقرأت قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى اللَّهِ لَقَوْلُكَ الْمُؤْمِنُونَ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْنَا وَمَا أَلْهَيْنَا وَعَلَى اللَّهِ لَتَبُكَ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ .

ما أن فرغت من قراءة هذه الآثار الكريمة والآيات المبركة حتى سمعت صوت أقدام تكاد تلك سلم البيت دكا حتى كأن أصواتها أصوات جند يقتحمون موقعا حصينا وعلمت منذ الوهلة الأولى أنه بلاء قد وقع سألت الله أن يلهني الصبر عليه وسرعان ما سمعت بالباب طرقات عيفة تكاد تصنع الأذان صخاً وفحت الباب وإذا هجوم عيب بعدد كبير من الحد وقد دخلوا البيت وأخذ كل موقعه في أرض المعركة دخلوا على سعة أطفال لأفزعهم وأفنفهم وكانت ساعات رهبة كأنها الشدائد التي تدهل فيها كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها .

كأن الشمس قد كورت والنجوم قد انكدرت والجبال قد سبرت وكأن السماء قد انطمرت والكواكب قد انثرت ، والبحار قد فجرت وانفجرت قد بعثت !!

وكانه قد فتح في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض لذلك علمنا الرسول أن نسمي هذه من كل ضار بطرق بلبل إلا طارقا بطرق بخير وهذا دعاء بحرف قيمته من ابتلى بأحداث اللبال ورأى أن تفتت بملطف الله بمن وجد الله فسادا فقد ؟ ومن كان الله معه فمن عليه ؟

وإذا بلغت من الزمان بشدة وأصابتك الأمر الأشق الأصعب

فاضرع لربك إنه أدل لمن يدعوه من جبل الوريد أو قرب

ولقد أمرت بأن أرتدي ثيابي للذهاب معهم فمجلت بذلك حتى لا أترك لأهل لحظة للبكاء والحزن العميق ، وأخونو بينهم ، وذكرت ساعتها ساعة رحيل الإنسان من الدنيا إلى الآخرة وقد ترك كل شيء وراء ظهره ﴿ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وترككم ما عرضناكم وراء ظهوركم ﴾ ذكرت ساعة ترفرف الروح على نضج الميت وتنادى بأهلها يا أباي لا تلعن بكم الدنيا كما لعنت بنا وبرحم الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو يقول للدنيا : يا دنيا غري غيري إني تعرضت أم لي تشرفت هبات هبات !! لقد ضللتك ثلاثاً لا رحمة لها فمركك قصير وخطرك حقير آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة

الطريق !! ويرحمه الله عندما وقف بين سكان المقابر يقول : السلام عليكم دار قوم مؤمنين أنتم السابقون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون أنتم فرطنا إلى الجنة ، ونحن لكم تبع ونسأل الله لنا ولكم العافية يا أهل المقابر إن يوتكم قد سكنت وأمواتكم قد قسمت ونساءكم قد تزوجت بغيركم هذا خير ما عندنا فما غير ما عندكم ثم انصت قليلا وقال من حوِّه : لو شاء الله لم أن يتكلموا لقالوا إن خير الزاد التقوى !

ما أشبه هذه الساعة التي خطفت فيها من بين صفات السبعة وحذبت بمعف من قوم غلاظ شداد لو وزعت قسوة قلب واحد منهم على أهل الأرض ما بقى للرحمة سبيل إلى قلب إنسان ممن يسكون تلك المعصورة لقد أتونا بغته دون ما مقدمات ، ولو أنهم أرسلوا إلى بالحضور إليهم ما امتنعت لحظة فكثيرا ما أرسلوا وذهبت وما تأخرت إن الذي كان له أسوأ الوقع في قلبي توديع هؤلاء الأفعال الذين باتوا يشكوك نهرهم ضلهم العباد وقد أحرر صاحب القلب الرحيم والخلق العظيم محمد صلوات ربي وسلامه عليه قلب : من رددع مؤمنا فليس منا ، وقال : إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا ، وقد فتح الله أبواب النار لدحسها امرأة بسبب هرة حبستها لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت جوعا . وفتح الله أبواب جنة لرجل كان عصب ، لكنه نزل بئرا فشرب منها فوجد كلبا يهتف الذي فقال قد بلغ هذا مثل الذي بيع في فملا له خفه ماء وسقاه فشكر الله له فغفر له فأدخله الجنة ، فهل من مذكر ؟ فهل من معبر ؟ ثم لمست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة ما يتفجر منه الأنهار وإن منها ما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها ما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون .

والليالي من الزمان حبال متقلات يلدن كل عجبيا

إن خروج الإنسان من بين أهله بغته ودون مقدمات في ساعة متأخرة من الليل وقد هدأت العيون ونامت الطيور أو كثرها وهجعت الخيون وغقت الملوكة أبوابها ولم يبق سوى باب الله إن هذه الساعة تدفع الإنسان دفعا أن يستعد في كل لحظة وحين لقاء الواحد الديان .

ترود من التقوى فإنك لا تدري إذا جن ليل هل تمشي إلى الفجر
فكم من فني أمسى وأصبح ضاحكاً وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري
وكم من عروس زينها تزوجها وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر

وكم من صغار يرعى طول عمرهم وقد أدخلت أجسادهم ظلمة القبر
وكم من صحيح مات من غير علة وكم من سليم عاش حيناً من الدهر

إلى أين

حملت في سيارة بين الحرس المسلح وكأنني مجرم حرب أو هارب من وجه العدالة وأخذت أقرأ ، بس ، فقال لي الحرس لا تحسبن علينا فنحن ننفذ الأوامر ووجدت ألا أنشغل عن قرعة القرآن بالرد عليهم فقد أسلمت كياني كله لمن بيده الأمر وأنا لا أدري من هؤلاء الذين أجدني بينهم كما لا أدري إلى أين يذهبون في ولماذا ؟ وما المصير ؟ ووضعت كل احتمالات بين يدي وتذكرت قوله جل جلاله : ﴿ فأتينا قولوا فم وجه الله إن الله واسع عليم ﴾ وتذكرت قول القائل :

ولست أبالي حين أقبل مسلماً على أي جنب كان لي الله مصرعي !!

يا اليقين في الله يريح النفس ويطمئن القلب والإيمان سكين إذا تمكنت من شغاف لقلوب تكاد تجعل التنجيل ممكا والملاح الأجاج عذبا فرأنا سلسيلا وما قمر لفكيك أن تضغاه فلا بد أن تضغاه فامضغه بعزة والمؤمن القوي هو الذي يفوض الأمر لله عند الشدائد .

كن عن همومك معرضا وكل الأمور إلى القضا
وانعم بطول سلامة تسليك عما قد مضى
فلربما اتسع الضيق وربما ضاق القضا
ولرب أمر مستحضر لك في عواقبه رضا
الله بفعله ما يشاء فلا تكن متعصرا

وقفت بنا السيارة أمام مكان علمت فيما بعد أنه قسم الوايل وجلت وحدي في مكان شديد الحرارة أغلقت أبوابه ونوافذه وتصبب الجبين عرقاً غزيراً وفتح الباب بعد ساعة ليدخل على أفراد عرفت بعضهم ولم أشرف بمعرفته الآخرين .

وكان من بينهم فضيلة الأخ ، عبدالمتعال الجابري ، والحاج ، حسن أحمد عيسى عاشور ، وأفراد آخرون اختلفت أعمارهم كان معظمهم من الشباب الذي ضبط متلبساً بصلاة العجر وتحركت الساعات وصلينا الفجر وأحضرت لنا سيارة ذهبت بنا إلى مكان كنا نحن أول داخله لقد تجاذبنا أطراف الحديث فيما بيننا ما الذي جمع بين هذه الأفراد قوم متدينون وآخرون سياسيون شباب وشيب ولكن كانت نهاية المطاف إن الأمر لله وحده ، وغداً تبين الحقائق وينجل الغموض ، فالليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر والعمر مهما

قال ملائكة من دعوى القبر في ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملائكة من قومه صجروا منه في إن تسجروا منا فلما تسجروا منكم كما تسجرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويمل عليه عذاب مقيم في نعم إن فيه بوح من النجاة وسبيل الإسلام كما كان وما زال سبيل النجاة في وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم وهي تجري بهم في موج كالجبال في فلما كانت العاقبة في تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين في .

في تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين في .

فكم زالت رياض من ربها وكما نادت بحبل في الوادي ولكن لحلة الإسلام تمر على مر العواصف والعوادي ويحك في حي الإسلام باني بقاء الشمس والسبح للهداد

في يريدون أن يظفروا نور الله بأفواههم وبأن الله إلا أن بهم نوره ولو كره الكافرون . هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون في .

نعم إلى أين ؟

وتوقفت بنا السيارة أمام مؤسسة السجون في طرة وأمام سجن الاستقلال تحت حراسة مشددة وجنود مدججين بالسلاح كأنهم يستعدون لغزو معركة فاصلة على أرض فلسطين في هذا الجو الرهيب وتلك الأصوات التي ارتفعت تهتك حجاب السكون أمراً بشؤون واحداً واحداً حتى ينفثونا تنفثاً دقيقاً حتى يدخل أحدها إلى الزنزانة وليس معه أي شيء إلا ثيابه التي تسترته فالفلم سموع ، والورق سموع ، وكل شيء سموع ، وبعد أن تم التنفيس تحت الزجر والنهر والردع وزعنا على الزنازير وكان في كل زنزانة عشرة ودخلت الزنزانة رقم ١١ على ٢ .

ونعق علينا باب الزنزانة وقد صرف لكل واحد ما يهديه للوم عليها ونفضها بها وما نه حسنا وتعارفا حتى أخذ النعاس يغالبنا ، فقد كانت الليلة التي أخذنا فيها من ديارنا ، ونترحم فيها ، انتزاعاً من بين أحضان أمهاتنا ، كانت ليلة عصبية على الأنفس والأبنة ولم يندر . لا وقد عشنا النعاس ، وكان رحمة من الله وأما ذكرني ذلك بقوله حل شنه : في إذا بعثكم النعاس أمة منه في .

وقوله تبارك اسمه : في ثم أنزل عليكم من بعد الفم أمة ناعسا في .

واستيقظا على وقع أقدام الحراس تفرع المكان جنبه وذهاها كما كان لأصوامهم وقع ثقل على الأذان ومرعب ومفرع للنفوس ، وكأننا أسرى حرب في أهدى الأعداء وما أن استيقظنا حتى أخذ كل منا يسأل الآخر لماذا جاء بنا إلى هذا المكان ؟ فمن قائل : إنه بسبب أحداث الزاوية الحمراء وما سمى بالفتنة الطائفية !!

ومن سائل : لماذا جاء بالشويعيين مما ؟

ومن قائل : لماذا جاء بالسياسيين والصاري ؟

إنها أنماط من البشر يوح بعضها في بعض لا يكاد يجمع بينها قاسم مشترك أعظم ، لقد عطل في هذه الليلة على حد قول المستقلين (١٩٣٦) اختلفت مذاهبهم ومشاربهم وتنافست مكارهم وانجاسهم ولكن هذا سيظهر ما كان مستورا وتوضح الأمور ولم تعرب الشمس في هذا اليوم يوم الخميس الثالث من سبتمبر حتى كانت البحاري قد ضمخت فأغرقت البساطين وكان موقفاً عصبياً فباب الزنزانة قد أعلق والأرض قد غطتها المياه النجسة وماء الشرب قد انقطع وقد جاءوا لنا بطعام تأباه النفوس الضيقة كما وصفه الأح الاستاذ سليمان الشبيبي ه . حتى كان يعمل مدرسا للعقيدة في معهد شبين الكوة الأزهرى وهو رجل موهبة الله على يور صبره دكاه قلبه وصف الشيخ سليمان ضمام السحن فقال :

أما نحن فهو قطعة من جبال العصور الوضي ، لا يعرف حقيقته إلا عنده طمقات الأرض ، وأما الفحل فإنه حشيب مبلول ورموسه تصيح أن تكون أرجلا للضال .

وأما المول فإنه يصلح لفض المظاهرات السلمية ، وأما البصارة فهي ضمام الأتيم تمل في البطون كمل الخميم ، وأما النحوم فما أكل منها إنسان صحيح إلا أصيب بهزله ممومة حادة .

قد جاءوا لنا بنز هولي قطع الأسمت أقرب وجن اعطين عليه وصف الشيخ وعسل أسود حامض تشتم النفوس من رائحته وطعمه ولكن فمن اضطر في محصة فإنه لابد أن يكره على الأكل .

إذا لم تكن إلا الاسنة مركبا فلا يسع المضطر إلا ركوبها

لقد كان اليوم يوما عموما فمطربا وكانت الليلة ليلاء ، وكان شرها مستطرا ولكننا كنا نستعذب كل هذا المذاب ابتغاء مرضاة الله إذ كان هدفنا ساميا ضاهرا زاكيا فكان حسنا كسجن يوسف الصديق الذي قال : في رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه في

فمن يرض أن ينام على الحرير فوق السرى في معصية الله ورضى أن ينام على الخصر راضيا طاعة الله ، وقال ما قل في السحر عندما سحر وروح الله كرهه فلن نسحر . وداعا يا مقبرة الأحياء يا منسك الأعداء ، يا بحر الأصدقاء ، يا مرق الأحياء نعم .. إن أصحاب المبادئ السامية والقيم الأخلاقية ، والمثل العليا ، يجمعون في الليمونة الملتحة شرابها حلوا لذيذا .

ومن تكن العلاء همة نفسه بكل الذي يلقاه فيها محب
وما أنا بمن تأسر الحمر إليه وبملك سمعه البراع انقلب
بى النوم عن عينه نفس آية . لا بين أطراف الأستة مطلب
إذا أنا لم أعط المكارم خلفها فلا عزى حال ولا ضنى أب

فقد تعلمنا ثبات على الشئ من أسناد الإنسانية الأكبر ، وفائدة المسلمين الأعظم ، وصاحب لرسالة العصاة ، عندما قال في ثبات الضيف وسمو نجوم : ه واقه لو وصعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يطهره الله . أو أهتك دونه .

إن موقفه من نزع تراحم الشمس في الجلاء وتناضح الجوره وترنم بالفوس من غياهب الضمت وبعون الدجى وحضض العزاء إلى بادح المصاء ، ترنم بها من كفة المادة ، إلى لطافة روح ومن مدارج الجمال ، إلى مسابح الأملوك في أبراجها .

به تصامد الثابت ، إذا لملمت الخطوب واحتدمت الحن .

فليس هو الذي قال يوم الطائف لربه : إن لم يكن بك على غضب فلا أبالي ؟! ليس هو الذي وقف يوم حنين يملأها غلبة ملحمة مدوبة في حموع الشركيين : أما السى لا كذب أنا ابن مسنن سبى أبا القاسم يا رسول الله !

يا داعيا للواحد الديهان يا هزما للبقى والظلمان
يا والها صوت العدالة عاليا ومؤدنا في الناس بالقرآن
صل عليك الله يا علم الهدى ما هت السام وما ناحت على الأهل الحمام
ولست أبالي حين أقل مسلما على أي جب كان في الله مصرعى

إن أصحاب المبادئ ليس أمامهم هدف إلا رضا الله ، وليس لديهم غاية إلا رفع راية الحق ، وإنسان حال كل منهم يقول :

فلنك تحاور : والحياة : مومرة ولينك يرضى : والأتمام غضاب
وليت الذي بينى وبينك عامر وبينى وبين العالمين حراب
إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذي فوق القراب تراب

الخطاب المشنوم

علمت أن المسلمين في مسجد عين الحياة قاموا بمظاهرات بعد صلاة الجمعة لما علموا أنني قد تم إلقاء القبض على كآ قام المصلون في مسجد البور بنفس المظاهرات احتجاجاً على اعتقال عدد من الدعاة إلى الله وكان الناس ينتظرون الخطاب الذي سيلقيه السادات يوم السبت الخامس من سبتمبر وقد سمى بعض أصحاب الأقلام وحيلة تقمائم وشياخه : سموا الخامس من سبتمبر بثورة ثالثة فتكون الثورة الأولى يوم الثالث والعشرين من يوليو سنة ١٩٥٢ ، والثانية يوم ١٥ مايو سنة ١٩٧١ ، والثالثة يوم ٥ سبتمبر سنة ١٩٨١ ، وهكذا يفعل الساقطون بالمجتمعات ، إنهم موجودون في كل زمان ، وإنهم عالة على المجتمع في السراء ، وسوس يخر في عظام الأمة في الضراء . هل يسمى يوم الظلم ثورة ؟ ثورة على من ؟ ثورة على الظلمين ؟ أم ثورة على المادى والقيم ؟ إن كان ذلك فثباتها ثورة طائلة والظلم مرتعه وخيم ، والظلم ظلمات يوم القيامة ، قال تعالى : ففأخذناه وجوده فبذلناهم في اليه فانظر كيف كان عاقبة الظالمين . وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينجرون . وأتبعناهم في هذه الدنيا لعة ويوم القيامة هم من المفلوجين .

إن عبدالحاصر كان ظالماً ولكن السادات فمن هذا الظلم ومن له القوانين الخائرة .

لقد أجرى استفتاء على القرارات التي اتخذها ضدها وأدجم بمقتضاها السجون حتى صارت تمهلة استفتاء في مصر تضحك النكالي ، وصارت هناك بكته تردده على ألسنة الناس في الانتخابات والاستفتاءات تقول هذه البكنة : إن الرئيس الأمريكى كارتر طلب من السادات أن يرسل له النبوى لإسماعيل لبحرى الانتخابات بينه وبين ربحان ، وذهب النبوى وأجرى الانتخابات على ما يرام واتصل به السادات وسأله قاتلا : يا نبوى ، من الذى فاز في الانتخابات أكارتر أم ربحان ؟ فقال النبوى : لا هذا ولا ذاك . فل السادات إذن فمن ؟ فل له : سيادتكم يا فدم ؟ أهنفى على الظلم وتكون نتيجة الاستفتاء كالعادة : خمس تسعات !!! إن هذا لشئ عجاب !!

وكم ذا مصر من المضحكات ولكنه ضحك كالبكاء

تيلكت وبنا وتعلبت يا من قنت وقولك الحق :

﴿ ونادى فرعون في قومه قال يا قوم ليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون - أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين - فلولا أني عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين ، فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين . فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين - فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين ﴾ .

برحم الله أمير الشعراء إذا يقول

باله من بهيمة	عقله في أذنيه
أقر الهتان فيه	ونفس لير عيبه
ملأ الحو صراحياً	حبسه منييه

ووقف السادات بخطب في الخميس من سبتمبر وقد فقد صوابه ، وطاش لبه ، وكأنه أصعب - تسار فأشرب أنياه ومحنه فأوعد وهدد وزهد وزهد وحمل على الخدعات الدينية . وحسن الإحسان المسلمين بسبب الأسد كما سبه كثر لدعاة الإسلاميين . رمى هذا باحسون وذلك بالباطل ، وذلك بأنه رمى كالكنك ، ونفى أن يقول : ما علمت لكم من إله غيري أو أن يقول : أنا ربكم الأعلى . كما خصص في بيت من بيانه بتهمة كاذبة خاطئة ، ذكر فيها أن الرئيس السوداني عمر البشير قد شكك في إلهه ، وأنتى أحاسنه ، وماذا يحدث لو صح هذا ؟ أهناك أحد فوق مستوى التوجيه ؟ كفى من عادة الأمراء والصالحين أن يسألوا لضمائم المخلصين النصيح ؟ ثم يقل أحد الناس لعمر من الخطاب ان الله يا أمير المؤمنين ؟ فبه أحد الخالمين فقال الصديق : لا خير فيكم إن تقولوها ، ولا خير فيما إن لم تقبلوها . ثم يقل عمر ذات يوم : رحم الله امرأ أهدى إلى عبدي ؟ ألم يقل لأهله اتقوا الله يا آل عمر فإن الناس ينظرون إليكم كما ينظر الطير إلى السمكة ؟ ألم يقل الله تعالى نسبه ومصصمه ﴿ يا أيها النبي اتق الله ﴾ ثم يقل خليفته أبو بكر بعدما يوبع بالخلافة أيها الناس لقد وثبت عنكم ولست بغيركم من حيث فأعيبون وبأسأت تقومون أطعمون ما صنعت الله فيكم فإن عصيته فلا طاعة من عنكم . الصدق مائة وكذب خيانة . القوى فيكم ضعيف حتى أحد الحق منه ، ونصيف فيكم قوى حتى أحد الحق له .

﴿ فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيهلك لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق وقد سوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون ﴾ .

ي تعجب فاعجب لأمر هؤلاء الذين يتأججون ناراً إذا قبل منه اتقوا الله في الرعية ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبس المهاد ﴾ جل جلال الله إذ يقول : ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون فيها ﴾ لقد كان لحساب السادات في الخميس من سبتمبر أسوأ الأثر على قلوب الناس فقد أوعد بأنه لن يرحم . ونسى حنقه ، نسي أن من لا يرحم لا يرحم ، ونسى أن الرحمة لا تنزع إلا من شقى . ونسى ما رواه أبو بكر عن سيد الخلق عن الأمين جبريل عن رب العزة أنه قال : إن أردتم رحمتي فأرخوا حلقي .

حتى قول نضاد القمصون : الراحون برحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء

وقوله : منهم من وإن من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به ، ومن شق عليهم شفق

صدق رب العزة إذ يقول : قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذا أمسكنكم عشية إمدد و كان الإنسان فترراً .

يوم التحقيق

مرت بنا الأيام ثبينة متباعدة كأنها سلسلة من الخيالات تمشي أحوالاً فتنش في نسجها كد ، والناس قد دبوا وصاروا أشباحاً حاصة كبار السن الذين أصبحوا لا يستطيعون أن يدوموا شتاتد الخس ، والذين قد أصبحوا بأعراض مزمنة ، وأصبح الطعم لا يلائم حائثه نصحية ، فمرىب الصمص لا يند إلا جنباً قد قطع من جبال الملح . ومرىب السكر لا يند إلا عسل أسود حامضاً تركم ورحته الأوف ، ولولا أن تداركنا حتى يصف بره نكنا تحت برى أحاسنا همددة !!

أعلموا أن التحقيقات قد بدأت وبين آونة وأخرى كانوا ينادون على الأسماء التي سيحقق معها . وكان موعدى مع التحقيق يوم الخميس الرابع وعشرون من شهر سبتمبر

دائما يصعب نصب عيوننا قوله تعالى : ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾

مصرع السادات

لا تركزن إلى القصور الفاخرة واذكر عظامك حين تمسى ناخرة
وإذا رأيت زخارف الدنيا فقل يارب إن العيش عيش الآخرة
تباركت ربنا وتعاليت الوجود ملكك والقضاء حكمتك أنت مالك الملك وملكت
الملوك أنت الواحد في ذاتك لا قسم لك ، الواحد في صفاتك لا شبه لك ، الواحد في
أفعالك لا شريك لك .

ولى في فناء الخلق أكبر عيرة لمن كان في بحر الحقيقة راق
شخص وأشكال تمر وتفقض ففنى جميعا والمهيمن باق
أنزلت يا إلهي على نبيك كتابا فيه نيا من قبلنا وخبر ما بعدنا وحكم ما بيننا . هو
الفصل ليس يا غفرت من تركه من جبار قصه الله ، ومن اتقى الهدى في غيره أذله الله . ونقد
قص الله تعالى علينا في هذا الكتاب قصص ندين تجبروا وتكبروا ونسوا أن للكون إلها يدير
أحكامه فيفعل ما يشاء ، كما نسوا أن في السماء ملكة قد كُتب عليها ﴿ ونضع الموازين
انقسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى
بنا حاسبين ﴾ كان من هؤلاء جبابرة رحى غره ملكه فنادى وقال : ﴿ أنا ربكم الأعلى
فأخذه الله نكال الآخرة والأولى إن في ذلك لعبرة لمن يخشى ﴾ . وغره سلطانه فقال :
﴿ يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا
لعل أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين ﴾ . وغره جبروته فقال : ﴿ ما أريكم
إلا ما أرى ﴾ .

وقص علينا قصة رجل غره ماله فصحه قومه خمس نصائح :
قالوا له : ﴿ لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين - وأبغ ليما أتاك الله الدار الآخرة
- ولا تنس نصيبك من الدنيا .
- وأحسن كما أحسن الله إليك .
- ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين ﴾ .

ففى صبيحة هذا اليوم جيء بقافلة من السيارات وفى مركب ملح تتقدمه الدراجات
البخارية لتنى تمرق مروق السهم من الرمية وقد انضفت لصفارات تفصح الطريق لسيارتنا
التي حشرنا فيها حشراً ، وأخذ المركب يتهاذى شيئاً فشيئاً لا يخضع لقواعد المرور لأنه فوق
القوانين كلها حتى استقر بنا المقدم أمام المبنى الذى سيجتمع معاً فيه ، ودخلت على المحقق
ووجه شسته ، وكان أكثرها يدور حول الخطب ، ومن الأسئلة التى مازلت أذكرها هذا
السؤال الجند : لماذا تهاجم نبلى ؟ وكان نبى هذه قد أصبحت ذاتها مصونة لا تمس !! ومن
أرادها سوء قصمه الله وكأنها كناية الله في أرضه أو مبعوثه العناية الإلهية ، ونمى الهداية
الربانية سيدة المصونة ، والجوهرة المكنونة !!

قلت : إنما كنت أطالب بتأخير فوازيرها حتى عسى غيام ، فقد صرفت الناس عن
صلاة غيبه في رمضان ثم قلت : لقد صارت كاضلال صير فوازيرها ونفصر فوازيرها ،
وتواتت لأسئلة :

من كنت تقصد نفوذك عن دين يمتثلون به - يبدو حدوده ؟
من رأى نبى في هد ؟ رأى نبى في نيت كسبه ؟ ليس لدينى كم آخر صادق
المعصية - صبيحة ؟ فنوا . من ؟ قد . له وكسبه وبرسوه وألمة المسلمين وعدمته .
بـب ماذا تهاجم عيد دام ؟

قلت : لأنه بدعة وفدت عب من بررس فيس في إسلام ما يسمى عيداً ، لا عيد
القطر . وعيد الأضحى ، فحرام علينا أن نضهر البر بالأم يوم واحد ، ونعقها ثلاثاً وأربعة
وستين يوم .

من : لماذا تهاجم الكرة ؟ قلت لأنها تحولت إلى رياضة مذمومة وأصبح ضررها
كالحمر ونيسر ؟ توقع العداوة بين الناس ونقص عن ذكر الله وعن الصلاة .

وسئت : لماذا تهاجم الإعلام ؟

قلت : لأنه أصبح يهدم ولا يبنى ويبدد ولا يحسن ويورث ضعف الوازع الدينى
والنفس لأحلاق ، والإشغال لأجتماعى ، والناس على دين إعلامهم . وقد قيل أعطى
شاشة أخير بها شعباً ، فهل شى هذا لإعلام تنى صور حول فيلم " مسرحية ،
أو - مس - ، أو فوازير وقد سررت أسموه الساقطات في حلايه ، هل مثل هذا يبنى نفوس
القوية تنفخ بالصدق المتحلية بالأمانة لقد استطاع لإعلام أن ينسى الناس أن شهر رمضان
شهر تقرب والصيام والبر والتقى والتقى والقيام ، ويسر . وهكذا كانت الأسئلة . وهكذا
أحببت وتم تحقيق وعدت إلى اسحق أنظر ما سوف تتحقق عه القضاء . وكان لإيمان .

لقد غرّه المال فأناشاه ذكر الله قال إنما أوتيته على علم عدى فقال له صاحب العزة والجبروت : ﴿ أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسأل عن ذلوبيهم المجرمون ﴾ . لقد سيطر عليه سلطان المال وضفى عليه رنين الذهب وبريق الفضة ﴿ فخرج على قومه في ربهته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم ﴾ . وقال الذين أوتوا العلم وبلكم لواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون ﴾ .

﴿ نسي قارون أن الناس أن الدنيا إذا حلت أو حلت وإذا كست أو كست ، وإذا جلّت أو حلت ، وإذا أمت نعت ، وإذا أُرْجفت جفت ، وكه من قور نسي وما نسا ، وكه من مريض عدنا وما عدنا ، وكه من ملّت رفعت له علامت فلما علامت !!

قال تعالى : ﴿ ففسخنا به وبداوه الأرض فما كان له من قوة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين ﴾ .

صلقت يا ربنا وبلغ رسولك الذي قال : « إن الله لا يجعل كمجلة أحدكم . إن الله يحب نظام حتى إذا أخذه لم يفلته . أقرءوا إن شئتم : ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾ .

وبشاه ربك أن يعقب على هاتين القصتين في سورة القصص قصة العبرونية الحاكمة والفريونية الكاذبة بقوله : ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ﴾ . كما شاء ربك أن ينجم حسرة نفسها بقوله : ﴿ ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون ﴾ .

وعند الزيارة

دع المقادير تجري في أعينها ولا تينن إلا حال البال
ما بين خمسة عين وانباتها بغير الله من حال إلى حال

ووعدتنا إدارة السجن بمناسبة قرب عيد الأضحى شارك بفتح باب زيارت حيث مروره لأهل ، ولكنهم جعلوها زيارة سلكية . أي يقوم بها وبينهم حاجر سنكى بنوه . الزيارة بحيث يكون بين الزائر والمرور حائل سنكى لا يسمع كل منه الآخر إلا إذا تكلم بصوت مرتفع فما ضمت بصوت العشرات ترتفع في وقت واحد ، وهو وقت الزيارة . وبعد كل منهم يمدى على الآخر بيده عن حاله وحال زوجته وذويه .. الخ . هذه الزيارة

التي وعدنا بها كان لها أسوأ الأثر في النفوس ، حتى أنني أذكر عندما التقيت بالذكور هداية رشوان ، وكان محتفلاً بما قلت له : هل ستور إن شاء الله ؟ فقال : لا ، إنها زيارة لا تليق إلا بالفردة وليساً لفردة .. وعقدت كل زائرة جلسة في تلك الليلة لينالوا تلك الزيارة هل يقبلونها ؟ وعقدنا جلسة في زيارتنا ، واختلقت الآراء بيننا . فما من قبل الزيارة وقال : شيء أحسن من لا شيء ، وما من رفضها وقال : إن ضررها أكثر من نفعها إذ أنها ستثير الأحرار ولن تتمكن من إجراء أي حديث مع الأهل حيث اللقاء غير مباشر . وسئلت الرأي ، فقلت : أما لا أبل ولا أرفض ولكن أفوض الأمر إلى الله وحده ، ودعوت الله قائلاً : اللهم رضا بفضلك وبارك لنا في قدرك حتى لا تحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت .

وجاء الليل وقد انفلتت أبواب الرنازين ، والزيارات سبباً صبيحة الغد والفتوب واجفة وقد برح بها الشرق للأهل والأهياء ولكن لا يملك ما في يد إلا الله وحده .. وقبل المحر جاء من يوقضى ويكاد يعاصب بالحجون من شدة الفرح ويقول : قم لقد قتل السادات ولكني لم أعرف التفاتاً فقد ظننت أن هذا نوع من الشتات التي يقصد بها تغيير الجو الكتيب . ولكني صموت على المنقل كنه بهف بصوت واحد : لا إله إلا الله . وكادت جدران السجن تهتز من مدبر الحاجر التي ملل وتكبر حتى اضطر مأمور السجن أن يذبح نياً موجهاً قال فيه : لقد تولى الرئيس السادات وأعنت حالة الطوارئ ، من أسوان إلى الإسكندرية وازدادت الأصوات حماسة ، فقد أصبح الحار فيها لا يراه فيه وسجان صاحب العزة القائمة والمنسكة الدائمة . سبحان من يقول : ﴿ إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا ترجعون ﴾ ومن يقول : ﴿ وإنا نحن نحيي ونميت وإلينا انصير ﴾ . ومن يقول : ﴿ إنا نحن نحيي ونميت وإلينا انصير ﴾ .

كيف بلغنا نبأ موته ؟

كما مجموعين من سماع الإذاعة وقراءة الصحف بحث صرنا مجموعين من الاتصال بالعالم الخارجي لا ندرى عنه شيئاً كما يقول القائل :

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها فلا نحن بالأموال فيها ولا الأحياء
إذا جاءنا السجن يوماً لحاجة عجبنا ولما جاء هذا من الدنيا

وكان معا أخ اشهر بإذاعة الآباء عن طريق الأخوة الذين بهم اعتقدتم وعملون
أحدث الأنصار من الخارج ورأت بذرة تسجن أن يسفل هذا الأخ مدى مديح الآباء بحيث
يعزل في الزنازين الأرضية حتى لا يتمكن من إذاعة الآباء وشاء ربك أن يكون يقفه حراً
فيوم مات السادات جميعاً ببعض اعتقلين ليلاً حيث وضعوا في الزنازين الأرضية بجانب هذا
الأخ فسألهم هل من جديد حدث فأجروهم بأن السادات قد قتل وبأن الأخ أصبح بأعلى
صوته وكان جمهورياً صاح قائلاً : بيان هام وظل ينادي حتى سيقظ الجميع ونظروا إذاعة
هذا البيان فقال : أيها الأخوة لقد قتل السادات اليوم والله عن ما أقول وكيل وشهيد وكان
هذه الكلمة كانت شرارة كهربائية فقام الجميع مكرمين مهلحين حيث أهرت جيت السجين
وكنز زلزال يرح الأرض رجاً ويس الجبال بساً و قد تجد إدارة السجن معزاً من تأكيد الخبر
ولي تصباح أمرت إدارة السجن بنشاب بعض الإخوة الذين سمعوا بشرة الأخبار في المديح
وأبعدها المعتقلين .

وهكذا كانت المناشة بل سعاة حاكم اسند ربه حتى جاءه اليوم مدى قال به
﴿ ما يبدل القول لدى ﴾ وقال به : لن أرحمهم وسبع من عدي المتقين أن بعضهم أراد أن
يقفه بساكن الحقاء الراشدين كما سبوا فاروقاً من ليه لأن البيت الحبيب صدمهم عن
طريق الحسين بن علي رضي الله عنهم أجمعين والتاريخ حتى تغريات ضغاة لقد قال المروء
من كعان من قل : أنا أهي وأبيت وقال فرعون : أريكم لأعل وقال : ما غنيت لكم
من به غري ، وقال : ما أركمكم لا ما أرى . وقال قرون : أوتيت على عنه عدي . قال
تعالى : فكلوا أخذوا بلذته فهم من أرسلنا عليه حاسب ومهم من أخذته الصيحة ، ومهم من
حسم به لأرض ومنهم من أغرق وما كان الله ليصمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .
ان لقوى الشر مهما تحالفت وإن الطغاة مهما فكروا لم يدروا فضلتهم كمثل العنكبوت
الحدث بنا وإن أوهن البهوت ليت العنكبوت لو كثر يعضون .

بعد قتل السادات بين رجال حشته ولي حصص شيع وصوائبه ما نعتبه حصصهم من
الله . فقامهم الله من حيث لم يتصوروا وقد حاب من فترى قتل يوم الرية بعدد جمع الناس
لنبت يوم منوم وعمل مرأى ومسمع من العالم أجمع وهي ضرب أخيرة الإعدام .

وإذا الميتة أنشبت أضفارها ألقت كل قيمة لا تنفع

﴿ أيها تكلوا بذكركم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾

﴿ قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ﴾

إن يد الله تعمل في الخفاء فنروها تعمل بطريقها الخاصة وليس لأحد أن يستعملها
أو يتفرد عليها فإقوله تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا إلى نوح أخاهم صالحاً أن أعبدوا الله فإذا هم
فريقان ينفصمون . قل يا قوم لم تستعملون بالسبيل قبل الحسنة لولا تستفرون الله لتعلمكم
لرحمن . قالوا أطعنا بك ونحن معك قال طاعتكم عند الله بل أنتم قوم تفتنون . وكان في المدينة
سبعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون . قالوا نقاصوا بالله لبيته وأهله ثم ليقولن لوليه
ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون . ومكروا مكراً ومكرباً مكراً وهم لا يشعرون . فانظر
كيف كان عاقبة مكربهم ألا دمرناهم وقومهم أجمعين . فذلك يومهم عاقبة بما ظلموا إن في
ذلك لآية لقوم يعلمون . وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ فف عد قوله تعالى : ﴿ وهم
لا يشعرون ﴾ وعد قوله تعالى : ﴿ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً إن فرعون
وهامان وجودهما كانوا خاطئين وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتله عسى أن ينفعنا
أو نتخذة ولداً وهم لا يشعرون ﴾ وعد قوله تعالى : ﴿ وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن
جبب وهم لا يشعرون ﴾ وعن قوله تعالى في سورة يوسف : ﴿ وأوحينا إليه لتبينهم بأمرهم
هذا وهم لا يشعرون ﴾ فف عد هذه الآيات فعد يد الله تعمل في الخفاء ونحو أن قوب بني
إسماعيل بن أصميين من أصابع الرحمن كقلب واحد تصرفها كيف يشاء ﴿ ولا تحسبن الله
غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخروهم ليوم تشخص فيه الأبصار ﴾ من أعنت قوته عه شيئاً ؟
الله تعالى لا يمحوه شيء في السموات ولا في الأرض وقد قال سبحانه : ﴿ ولو يؤاخذ الله
الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم
فإن الله كان بهباده بصيراً ﴾ .

ما ابن آدم إذا اغترنك قوتك فلماذا استحكمت فيك شهوت وإذا غرك غناك فارزق
عباد الله يوماً .

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً فالظلم ترجع عقابه إلى الدم
تام عيك وانظلم منته يدعو عليك وعين الله لم تغم

ماذا بعد قتل السادات

لقد أنفوا الزيارة التي أعلنوا بها فقد حدثت أحداث حسام فقد رحلت إلى سجن
أبي زعل وموت بها الذكريات الأبية عر السنين الحاليات لهذا هو السجن الذي كما فيه من
قبل سنة ١٩٦٧ وقد سابت حاله حتى أصبح لا يطاق حيث أسراب الدباب نهاراً وجحافل
البعوض ليلاً بالإضافة إلى ما تحويه دورات المياه من سوء دونه أي سوء أضف إلى ذلك سوء
التغذية والتهوية وما حل بها من إرهاب شديد فقد كان ينادي على بعض الأسماء في منتصف

الليل ليذهب بهم إلى سجن الاستقبال حيث دارت رحى العذاب بعنف ولقد عشنا في هذا الجلو الكتيب من التاسع والعشرين من أكتوبر إلى السابع والعشرين من نوفمبر حيث ذهب بنا إلى مستشفى ليمان طرة ولقد كان الله لطيفاً بنا حيث لم نمكث في هذا المستشفى أكثر من يوم ولست أدري لماذا سمّوه مستشفى فنيس فيه ماء ولا غطاء ولا هواء ولا دواء ولكننا لا نقف كثيراً عند الأسماء !!

أسماء مملكة في غير موضعها كالمهر يحكى انتفاخاً صولة الأسد

ولقد ذهب بنا من هذا المستشفى إلى سجن ملحق طرة حيث غادره السياسيون الذين تم الإفراج عنهم في محفل مهيب . ومكثنا بالملحق يوماً حيث ذهب بنا إلى عنبر المعتقلين بالقصر العيني حيث تنفسنا الصعداء فكانت الزيارة لا تقطع من الأهل والأحباء والأبناء والأصدقاء وتم الإفراج عنا بعد ذلك في اليوم السابع والعشرين من يناير ١٩٨٢ خرجت من السجن إلى البيت ولكن لم يصرح لنا بالعودة إلى المسجد وظللت رهين البيت حتى كتابة هذه السطور في يوم الأحد التاسع والعشرين من شهر شوال ١٤٠٦ السادس من شهر يوليو ١٩٨٦ .

مجال التأليف والكتابة

في سنة ١٩٦٩ رأيت أن يتعاون اللسان مع القلم وأن يكون بجانب المسمحة مكتبة حتى يسيرا في طريق تنبئ العلم فألفت كثيراً من الكتب خرج منها إلى النور خمسة وأربعون كتاباً وإليك أسماؤها .

- ١ - طريق السجادة .
- ٢ - البطولة في ظل العقيدة .
- ٣ - رياض الجنة .
- ٤ - تفحات من الدراسات الإسلامية .
- ٥ - بناء النفوس .
- ٦ - أصحاح النفوس المطمئنة .
- ٧ - حياة الإنسان .
- ٨ - مع التوحيد والأخلاق .
- ٩ - اليوم الحق .
- ١٠ - صبر من عظمة الإسلام .
- ١١ - إرشاد العباد .
- ١٢ - أضواء من الشريعة الفراء .
- ١٣ - البيت والجزء .
- ١٤ - شفاء القلوب .
- ١٥ - حقائق وحديث عن الروح .
- ١٦ - حديث من القلب .
- ١٧ - الصلاة رأس العبادات .
- ١٨ - الإسلام وأصول التربية .

- ١٩ - الوصايا العشر في القرآن الكريم .
- ٢٠ - ووله الفردوس .
- ٢١ - الهدى والنور .
- ٢٢ - جدد السفينة .
- ٢٣ - أعد الزاد .
- ٢٤ - الفتوحات الربانية .
- ٢٥ - رحلة إلى الدارة الآخرة .
- ٢٦ - صم عن الدنيا وأفطر على الموت .
- ٢٧ - الصراع بين النفس والناس .
- ٢٨ - احلص العمل فإن الهدى بصير .
- ٢٩ - صاحب الرسالة المعصية .
- ٣٠ - صحابة مباركة .
- ٣١ - فضل القرآن يوم آخر .
- ٣٢ - مصارع الطالبين .
- ٣٣ - الصلح مع الله .
- ٣٤ - الناس بغير ما تناصروا .
- ٣٥ - الوقوف بين يدي الله تعالى .
- ٣٦ - حل مائدة الإسلام .
- ٣٧ - غناء الروح .
- ٣٨ - حالات من نور .
- ٣٩ - ساعة صفاء مع النفس .
- ٤٠ - في رحاب السكينة .
- ٤١ - الإسلام شجرة ضياء .
- ٤٢ - إذا ذكر الله نزلت النصائب .
- ٤٣ - رسائل رحمانية الفحات .
- ٤٤ - من جوار الخلق إلى رحاب الحق .
- ٤٥ - منطق الحق المبين .

وسوف أشيد إشارة موجزة إلى ما اشتملت عليه بعض هذه الكتب من موضوعات .

طريق النجاة

وقد اشتمل على الموضوعات التالية :

- القرآن العظيم وأثره في العمر .
- من قضاه القرآن الكريم .
- أضواء من السنة على طريق الهدى .
- العقيدة والصحة .
- الطريق الأقوم .
- القرآن : طريق العصمة من خطوات الشيطان .
- دروس حادثة .
- عواقب الإعراض عن ذكر الله .
- توجيهات ربانية .
- مسالك الشيطان مع الأنسان .
- نتائج الإعراض عن ذكر الله : النتيجة الأولى .
- النتيجة الثانية .
- توجيهات نبوية .
- وقفة اعتبار وعظة .
- نتائج الإعراض عن ذكر الله النتيجة الثالثة .
- من صور يوم القيامة .
- عناجذ الإعراض عن ذكر الله النتيجة الرابعة .
- حرص الرسول ﷺ على أنه
- البطولة في ظل العقيدة .
- وقد اشتمل على الموضوعات التالية :
- الحروب الصليبية .
- كيف بدأت تلك الحروب ؟
- نهضة مباركة .
- طريق السجادة .
- فخر جديد .

الصبونية حركة سياسية عصرية
خطوات تنفيذ المخطط الاستعماري الصهيوني .
هل هناك حملات بعد ما ذكرنا .
الحروب الصليبية وأثرها في أوروبا .
الحضارة الإسلامية في أوروبا .
أثر الحروب الصليبية في انحطاط العالم الإسلامي .

رياض الجنة

وقد اشتمل على الموضوعات التالية :

رحلة مع القرآن العظيم .
أقوال الأئمة فيه .
أقوال المستشرقين فيه .
البحث على مدارسة القرآن .
فضل تعلم القرآن .
آراء المفسرين من علماء الغرب في القرآن الكريم .
الترغيب في تلاوة القرآن .
دعوى باطلة .
اعرف للقرآن حقه .
حاجة العالم إلى الإسلام .
الرشوة المفسدة .
من الفلس ؟
حرمة الدماء في الإسلام .
حرمة المال في الإسلام .
الإسلام : شرعية العدل والرحمة .
حق الرحمة على الراعي في الإسلام .
الإسلام شرعية الأخلاق .
محمد نبي الرحمة ﷺ .
شرعة الحق في الإسلام .
الرسول رحمة مهتدة .
المساواة في الإسلام .
العدالة في الإسلام .

الرباط في سبيل الله .

العزة في الجهاد .

عماد الدين والجوش الغازية .

بعد وفاة عماد الدين .

نور الدين ومدينة الرها .

الحملة الصليبية الثانية .

ذكر الله في الجهاد .

أعناق البطولة والعقيدة .

صلاح الدين الأيوبي .

شهادته من الأعداء .

الجهاد المقدس .

صلاح الدين ومبدأ الشورى .

مع سير الأحداث .

حول بيت المقدس .

مزة المسجد الأقصى .

إن الدين عند الله الإسلام .

صلاح الدين وموقعة حطين .

صلاح الدين وبيت المقدس .

نهاية صلاح الدين .

خواطر وذكريات .

الحملتان الصليبيتان : الرابعة والخامسة .

حصار دمياط .

الحروب الصليبية السادسة .

عودة بيت المقدس إلى أيدي المسلمين .

ملك فرنسا والحملة الصليبية السابعة .

موقعة دمياط .

نهاية الحرب الصليبية السابعة .

لقاء بين الاستعمار والصهيونية .

تراجعت لجنة باترمان

ما هي الصهيونية ؟

مؤتمر يال .

محمد : جعل من العبيد سادة .
 زيد بن حارثة
 بلال بن رباح
 سلمان الفارسي
 أهمية الدعوة .
 ذكر الله تبارك وتعالى .
 حقيقة الذكر . ما هو الذكر ؟
 فضل الإكثار من ذكر الله
 فضل مجالس الذكر
 أدب الذكر .
 فضل من قل لا إله إلا الله .
 فضل التمسح والتحميد .
 الترهيب من عدم ذكر الله .
 فضل الاستغفار .
 الذكر المضعف وجوامعه ..
 ما يقوله من اغتاب أخاه المسلم
 أذكار البر
 المؤمنون الصادقون

بناء النفوس

وقد اشتمل هذا الكتاب على الموضوعات التالية :

العقيدة وأثرها في التربية .
 التربية في مكة
 كل مولود يولد على الفطرة
 العقيدة الصحيحة
 العقيدة ومرافقة الله تعالى
 الداء وشمواه
 الإيمان وإخلاص
 إنما الأعداء بالنيات
 الإخلاص في الجهاد

الغفاق

كلمة عن الوفاء
 الرياء وأثره في النفوس
 الإيمان وبناء النفوس
 سورة النحل ووحداية الله تعالى
 عالم الحيوان
 عالم النبات
 نعم الله على خلقه
 العلم الحديث ووحداية الله تعالى
 خطرات في الحب الإلهي
 وتنه تأمل
 ولا يظلم ربك أحدا
 فضل الله على عباده
 عمل النحل وفوائده
 إلهي ! ما أعظمك
 العقاد والرد على المبشرين
 الإيمان والعدم
 هذا خلق الله
 عالم الطير
 لغة قرآنية
 الحكمة الإلهية العليا
 صاحب اللواء المقدود
 قواعد البناء القوية
 العدل ونتائجه والظلم وعواقبه
 صلة الرحم
 الظلم ظلمات يوم القيامة
 الوفاء بالمهود في الإسلام
 مشيئة وحكمة وتوجيه

وجه الحقيقة في قوله تعالى : ﴿ لَنُفْسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَوقِنًا ﴾ رأى جديد في تفسير الآيات القرآنية من أول قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي الْأَرْضِ نَافِلِينَ ﴾

الأرض موقين ﴿
بشرى للمؤمنين
المسجد الأقصى
عمر في بيت المقدس
محمد ﷺ أستاذ الإنسانية الأعظم
نظرة الإسلام إلى الأموال العامة
مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
مولف مرقف من الغرام
محمد نس الرحمة
معركة القادسية
من أخلاق الإسلام
أين طريق النصر ؟
عوامل النصر

ورثه الفردوس

ويشتمل على الموضوعات التالية :

قد اطلع المؤمنون
المؤمنون
صفات المؤمنين
فضل المساجد
فضل تطيب المساجد
فضل السعي إلى المساجد
فضل الصلاة في المساجد
على كل عصر صلاة
كرة الخطى إلى المساجد
أبواب الخير كثيرة
كيف نحمو خطايك وترفع درجاتك ؟
فضل المشي في نظم إلى المساجد
فضل الخروج لأداء الصلاة

رحمة الإسلام

الشهود الجسي
ما عقوبة من أتى هذا العمل ؟
ما رأى الفقهاء ؟

لاستعده

آراء الفقهاء فيها

ما الملاح ؟

ماذا يقول العلم ؟

برهني

الزهري والجمهور المعنى

السبلان

إصابة المرأة

الفرقة الرجولية

الفرقة الشككية

ماذا يقول نعيم عن الشهود الجسي ؟

مكة الربا - ما هو الربا ؟

ما حكمه ؟ حرمة الربا بطريق السنة

قوة الإيمان بالله

فضل الجهد في سبيل الله

نفعات من الدراسات الإسلامية

وقد اشتمل على الموضوعات التالية :

قرآن قانون الله السماوي لعاده

صراع بين الحق والباطل

دروس في العقيدة

فضل لا اله إلا الله

صدى سره

سنة الله في عبادته

عصاة وعبرة

مطلق الصلة الإلهية

عقد على يد

دعاء مأثور
أحب الأشياء إلى الله وأبغضها إليه •
فضل الجلوس في المساجد
الشهادة بالإيمان
بجائس مباركة
أوتاد المساجد
للمساجد آداب
تغطي رقاب الناس !
المرور بين يدي المصل
دفع النار بين يدي المصل
صلاة
الصلاة مطهرة من الذنوب
خطبة حنى ^{صلى الله عليه وسلم}
الله تعالى يسأل الملائكة عن عبده
أول ما يحاسب عنه العبد يوم القيامة
مكانة صلاة في القرآن
عناية إسلام بالصلاة
أقوال ثناء في تارك الصلاة
الحمد شرعى لتارك الصلاة
موقف جليل
المحافظة على أدائها في وقتها
رؤيا سوية كريمة
شروع صلاة
شروع صحتها
متى تكون الصلاة مقبولة ؟
الصلاة مفروضة
الواف
فضل مواف
صلاة التطوع في البيت
أقده صلاة التطوع

السنن الراتبية
سنة الفجر
عناية الشرع بأدائها
ما ورد من الدعاء بعد أدائها
سنة الظهر
ما عددها
سنة المغرب
سنة العشاء
مبين عبر مؤكدة
ركعتان ثم أربع قبل العصر
ركعتان قبل المغرب
ركعتان قبل العشاء
صلاة الوقت
عدد ركعاته
اليوم على طهارة
قيام الليل
مارل الناس ثلاث
أحباء الليل تلاوة القرآن
وقت قيام الليل
عدد ركعات قيم الليل
الضريبة الفاضلة

مع التوحيد والأخلاق

وقد اشتمل على الموضوعات التالية :

الرسالة الخالدة
هذا خلق الله
لا مجال للصدقة في هذا الكون
يكون يتحدث عن وحدانية الله
آية داطقه بالحقمة والقدره
آية أخرى
آية الله في الماء

الموت حق على جميع العباد

وفاته النبي ﷺ

موقف الصحابة بعد وفاة الرسول

كيف غسل رسول الله ﷺ

لنا في موت رسول الله عبرة

بقاء الله وحده

أبو حنيفة ومسلم بن عبد الله

حسن الله

عنه بن عبد الله

اصححو مع الله

كنتم صينة

من يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله

الخوف من الله

ما يرقق القلوب

نذرة عن وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

وفاته عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه

كيف تشهد عمر؟

شهادة أبي بكر الصديق لعمر

شهادة علي بن أبي طالب لعمر

وفاته عثمان بن عفان

سحرة وجوده

حسنة عثمان

وفاته عن كرم الله وجهه

كيف توفي رضي الله عنه؟

فصل في كلام الصالحين وهم على فراش الموت

عبد بن مروان

معد بن جل وسلمان الفارسي

بلال بن رباح

عبد بن المبارك

برهيم سحبي

ابن سكر

عمر بن عبد الغيس

بن مارك

نوحاسم حيد

مروان بن الحكم

يوسف بن سباط

إمام الشافعي

محمد بن حنبل

تذكرة لأولي الألبان

بن دهم

في زيارة الخور

حديث عن موت وحقيقته - إلى الجمع في الصور

ساعة صعد مع النفس

صدق هو الأسر في - النفس المضنة

لصدق مع النفس

صدق به وأثره في تبسّر الأمور

لصدق محبة

لصدق قول نصيرق بن حن

بن تصدق الله بصدقك

صدق سلوك

لصدق من أمهات الفضائل

لصدق والصدقة

جمعة لعبادة الإسلامية

مسيرة لصوم

انصيام بين إيمان وتقوى

روح والنور واليلة القمر

آية الدعاء بين آيات الصيام

صيام التطوع بعد رمضان

الإسلام شجرة طيبة

وقد اشتمل على الموضوعات التالية :

اعرف القرآن حقه
من حق القرآن على كل مسلم
مضائق أهل البيت - ومنهم
شهداء لأحد من عصاة العرب - كثر
بور القرآن من ذرعات لأفوك
مخارج رابية
دلت عقل من به
سيد الله
مخبر به لأمه خير به
يوم الحشر
فهو من به
لا يسر من روح به

الصرع بين النفس والمان

وقد اشتمل على الموضوعات التالية :

(نعى في الضاعة)

صدق الله العظيم يد يقول : من كان يريد العاجنة عجا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم
جعلنا له جهنم يصلها مذبذوبا ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن
فأولئك كان سعيهم مشكورا . كلا قد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك
محطورا انظر كيف فضلا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفصيلا .
عندما يصنع آيات الله ويصيح كلمته في كتبه وبعد خلوته نضال دروب ونفوس
به : ما جعل القرآن إذا عرس حروس على النفوس وتنحس عواقب واستنح المعر به
كلامه وحيد متى ننس في حكمه نباله والعبرة به لا نجد لها تفسير أعظم من
كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمع إليه بغير وهو يقول في هذا : ندى نغن بصده : ارض
بما قسم الله لك تكن أغنى الناس .

من حوار اخلق

إلى رحاب الحق

وقد اشتمل على الموضوعات التالية :

معت حق
مبع القرآن في بيت نعت
حبه ودر
كذلك حاحدين
صور حق الإسلام
معدة في نعت
فوه أحياءه من بعد موته
صحت موسى به سلام
دعوى نعت به
نعت الحشر
أحياء نعت لإبراهيم عليه سلام
معت في القرآن كثر
عده لأرحه
معت به نعت
دلالة أحياء الأرض على نعت
المفوض الثاني في الاستدلال على البعث
كسمة الله في بيت البعث
عود على بدء
شبه المكرس ودحضها
النضج في الصور
عجب الله
حديث عن صور
ما هو الحشر
أول من تشق عنه الأرض ؟
أرض غشتر

إلى أين نصير الأرواح ؟

كلمة عن تلاق الأرواح

أعمال لأحياء والأموات

المثارة

الناس على مراتب في لقاء ربهم

السؤال في البرزخ

الأحاديث الدالة على حقيقة نعم القبر وعذابه

غير بيعة

الأسباب شجيرة من عذاب القبر

عطمة لاستعداد للموت

أدب مكر

استحب لاجئ في محض مكر

فصل من فـ لا به لا الله محض

فصل سبوح ونحميد وسبح

فصل لا سحر

ذكر آخرة خمس

دعوة أسأل الله قبرنا

كنت دائماً أدعو الله قائلاً : اللهم إني أسألك علماً نافعاً ورزقاً واسعاً وشفاءً من كل داء وكثيراً ما سألت الله أن يوفقني لتفسير كتابه حتى أتوح عماني بهذا العمل الجليل وقد وفقني الله تعالى فعكفت على كتابة التفسير تفسيراً توحيت فيه البسر والوضوح والتركيز والعناية بالأبحاث العلمية وقد وصلت في تفسير حتى كتابه هذه السطور أول ذي القعدة ١٤٠٦ لسابع من يوليو ١٩٨٦ وصت إلى قومه جل شأنه في سورة التوبة :

« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن هم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقا في التوراة والإنجيل والفرقان ومن أولي بعدده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم »

وقد كان من بشر الذين أن يفتح هذا الكتاب (قصة يمي) بهذه الخاتمة سعيدة « الفوز » إنها أمنية كل مسلم وهدف كل مؤمن ورجاء كل محض منهم جمع من

الذين فازوا بهذا الشرف الرفيع والذين وصفتهم بقولك الكريم : « المتأبون المأبدين »
الحامدون الساترون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر
والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين »

يا الهى

رضاك خير من الدنيا وما فيها يا مالك النفس قاصيها ودانيها

فليس للنفس آمال تحققها سوى رضاك فذا أقصى أمانها

فظرة مك يا سؤلى ويسألى غير إلى من الدنيا وما فيها

سبى ربهم يا رسول الله

انت الذى من نورك البدر اكسى والشمس مشرقة من نور بهك

انت الذى لما رفعت الى السما بك قد سمع وترى لبرك

انت الذى ناداك ربك مرحبا ولقد دعاك لقربه وجبت

وخضعت دين الشرك يا علم الهدى ورفعت دينك فاستقاء هناك

ماذا يقول المادحون وما عسى ان تجمع الكتاب من معاك

صل عليك الله يا علم الهدى ما اشتاق مشتاق إلى منرك

خاتمة

سأل الله تعالى حسن الخاتمة .

وبعد ..

في هذا كتاب قصة أيامي حاولت جهد طاقتي أن أضع فيه تجارتي في مجال الدعوة في هذه المستعرة نيت فر - من الزمان شرفني الله تعالى فيها بالدعوة إليه علي ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين . وقد سألت ربي هللت قدرته أن يكون من يكتب مراحلي يستضيء به ساري في سبيل الله فيه جهد متواضع كنه - مع من أحرى في مراحلي مدبراً واستأجنتها لأبيه وسبيل

وبعد حصلت من هذه التجارب إن أن الدنيا ما هي إلا مرحلة للآخرة فمن عمل ن - بعمل حسب قبل حسب شانه قبل هرمه وصحته قبل سقمه وعده قبل فتره وفرغه قبل نعمه وحياته قبل موته . فليوم عمل ولا حسب وعده حسب ولا عمل .

عدا توفى القوس ما كجيت

وبحصد الزارعون ما درعوا

إن أحسوا أحسوا لأنفسهم وإن أساءوا فلا يصعوا

أحمد لله أوله وآخره وصلى الله على سيدنا محمد

المؤلف

عبد الحميد كشك

فهرس

٥	مقدمة
٧	قصة أبيامى
٧	المولد والنشأة
٩	صعود المنابر
١٢	مرض الوالد
١٣	وفاة الوالد
١٣	الواقع المر
١٥	بين المسكن والمهد
١٥	مجيء الام إلى القاهرة
١٧	على أبواب الامتحان
١٨	مفاجأة
١٨	إن الفرج مع الضيق
١٩	أمام اللجنة
٢١	مع الشيخ أحمد الكرمى
٢٢	البحث عن صديق
٢٣	العام الجديد
٢٤	هل من صديق
٢٨	وجاءت السنة الثالثة
٢٩	في مساجد الجمعية الشرعية
٣١	إخوان كرام
٣٢	دعوة مستجابة
٣٤	أمنية تحققت
٣٥	عام حاسم
٣٦	شدة أعيا تيسر
٣٨	في يوم الامتحان

٢١٦	قاهر الجابرة
٢١٨	موقف حرج
٢١٩	مضارع الظالمين
٢٢٢	الأحقاد تتحرك
٢٢٤	عقارب البغضاء
٢٢٥	عمر بن الخطاب
٢٢٧	وعيد والدار
٢٢٨	وعد والغراء
٢٢٩	لقاء غاضب
٢٣٢	لقاء عاصف
٢٣٤	عالم يمشي الله
٢٣٥	جامعة المها
٢٣٦	استدعاء من وزارة الداخلية
٢٣٧	دعوة من وزير الإعلام
٢٣٨	دعوة من شيخ الأزهر
٢٤٠	ماذا قال لي شيخ الأزهر
٢٤١	فمن وممن
٢٤٥	الخطبة رقم ٤٢٥
٢٤٧	ليلة القبض
٢٥١	إلى أين
٢٥٢	ثم إلى أين
٢٥٥	الخطاب المشهور
٢٥٧	يوم التخليق
٢٥٩	مصرع السادات
٢٦٠	وعد بالزيارة
٢٦١	كيف أبلغنا بأمره
٢٦٣	ماذا بعد قتل السادات
٢٦٥	جمال التأليف والكتابة
٢٦٧	طريق الجهاد

٢٥٩	الاجتمع الممزق
٢٦٩	عوامل النصر
٢٦٩	مقارن المهدم
٢٦٩	مجمع مفكك المعرى
٢٦٩	لفاق رجعى
٢٦٩	الإيمان قوة والنفاق ضعف
٢٧٢	ذات ليلة
٢٧٣	سيف الحياء
٢٧٣	موقف ليل
٢٧٤	دعوة غريبة
٢٧٥	الغربت الساعة
٢٧٦	يوم النكسة
٢٧٧	مع البهائين في أي زعر
١٨٠	حقيقة البهائية
١٨٣	ماذا قال الباب في دعوته
١٨٦	مخالفات الباب
١٨٧	مناذج من تفسيرهم
١٨٨	مناذج آخر
١٩٠	لا جهاد في البهائية
١٩٧	عقائد البهائين
١٩٩	أيام بقدسها البهائيون
٢٠٢	فتح باب الزيارة
٢٠٧	لهم عجب
٢٠٨	موقف حرج
٢١٠	يوم الإسراج
٢١١	والمرد الناس نال للتهنة
٢١٢	والعنة عجيبة
٢١٣	فرس الفنى وبقرة الفقى
٢١٤	العودة إلى المسجد

٢١٧	رياض الجنة
٢١٨	بنام النفوس
٢١٩	شبهاء القلوب
٢٢٠	صور من عظمة الإسلام
٢٢١	نفحات من الدراسات الإسلامية
٢٢٢	ورثة الفردوس
٢٢٣	مع التوحيد والأخلاق
٢٢٤	أصحاب النفوس المطمئنة
٢٢٥	الصراع بين النفس والمال
٢٢٦	من حوار الخلق إلى رحاب الخلق
٢٢٧	في رحاب السكينة
٢٢٨	منطق الحق المبين
٢٢٩	أعد الزاد
٢٣٠	دعوة أسأل الله قبولها
٢٣١	خاتمة

٢٣٢	حقوق الطبع والنشر محفوظة لدار افتار الإسلامى ٢٠٢٠
٢٣٣	مكتبة افتار
٢٣٤	مكتبة افتار
٢٣٥	مكتبة افتار
٢٣٦	مكتبة افتار
٢٣٧	مكتبة افتار
٢٣٨	مكتبة افتار
٢٣٩	مكتبة افتار
٢٤٠	مكتبة افتار
٢٤١	مكتبة افتار
٢٤٢	مكتبة افتار

مقدم لكم من صفحة **اروع الكتب** علي الفيس بوك



<http://www.facebook.com/EBookZ>

اخوكم **محمد المغازي**

moghazi@live.com

www.moghazi.com

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ
أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ

ملحوظة: لم نقم لا بالمسح الضوئي ولا بالكتابة كل ما قومنا به هو اعادة النشر الالكتروني وتسهيل وصوله للناس ولا نبغي من وراء ذلك الا ارضاء الله والمساعدة في نشر الثقافة للناطقين بالعربية.